

بمناسبة
العام
الدولت
للكتاب

الكتاب



بقلم / رئيس التحرير

وكيف يعرف تاريخ الأمم ، ومستوى تقدمها ورفقها لو لم يفض في بحر الكتب ويطلع على ما تفيض به من سيرة وأحداث ومقارفات شتى في مختلف أيامها وليلاتها ؟ إذاً فالكتاب من أهم مقومات الإنسان المتحضر ، ومن أهم دعائم الأمة المتقدمة ، ومن أجل الأشياء التي تعتد عليها المجتمعات في ازدهارها ، وارتفاع مستوياتها الفكرية والعقلية .

إن الفكر يظل جامداً لا يتفنج ويزدهر ويتطور إن لم ينفذ بالكتاب ، وبما يحويه من عناصر تؤدي إلى تطوره وازدهاره وتفتح ، والعقل يبقى معطلاً عن الإنجاز إن لم يضله الكتاب بالآراء المتطورة ، والأفكار الناضجة ، وبكل ما يحتوي عليه من نظريات واختراعات حفظها بين دفتيه ، ونقلها جيلاً بعد جيل ، وعصرًا بعد عصر ، والناس لا يتساوون في أفكارهم ، ولا يتمثلون في عقائدهم ، ولا يتشابهون في أفهامهم ، فبعضهم يصل بفكره إلى صميم المشكلة ، وبعضهم ينفذ بعقله إلى لبها ، ولا يقدر عقله أن يمس لبها ولو مسًا خفيفًا سطحيًا ، وبين هؤلاء وأولئك عقول وأفكار تختلف مستوياتها باختلاف تكوين أصحابها ، يزيد بعضهم عن الآخرين ، ويقل عن الأولين ، والناس مستويات مختلفة شتى ، ولهذا أصبح الكتاب من أهم الضروريات ومن أجل الأشياء التي يجب الاهتمام بها والحفاظ

بحق للناس أن يحتفلوا بالكتاب ، وأن يقصدوا دوره في بناء المجتمع ، وأن يشيدوا به ويكرموه ، فالكتاب أهم دعامة من دعائم تقدم الأمم ، وتطورها ورفع مستوياتها ، الفكري والعقلي ، ذلك أن الكتاب ما هو إلا عصارة من عصارات الفكر ، ونتاج من نتاج العقل ، والفكر والعقل قوام الإنسان ، وأساسه الذي يعتمد عليه في عطاءاته في هذه الحياة ، والكتاب نتيجة ارتفاع مستوى الأمة ، وبعبارة أخرى تعد من الأمم المتخلفة فكريًا وعقليًا ، وأي أمة من الأمم تستطيع الحياة في هذا العصر المتقدم بدون الكتاب ؟ وكيف تقدر على مجابهة الحياة ، وحل مشاكلها وفك رموزها بدون الكتاب الذي يدلها على مفاتيح هذه الرموز ، وتلك المشاكل ، والحياة كلها مشاكل ورموز ، والكتاب يضع أمام الأمة كل الحلول ، لأنه ينقل عصارة الفكر ، ونتاج العقل إلى كل من يهيم السبر بخطى ثابتة ، ووعي عميق .

إن الإنسان ما كان ليصل إلى مستوى غزو الفضاء ، وارتداد الكواكب ، لو لم يضع الكتاب ملجأ له ومرشداً ، وكيف يستطيع الإنسان أن يحفظ تحاربه ، ويسجل خبراته إلا في الكتاب ؟ وكيف يقدر أن يسفيد من تجارب غيره ، وخبرات العلماء المتطورين إلا بواسطة الكتاب ؟ وكيف يدرك ما بلغته الأمم ، وما وصلت إليه من رقي وحضارة لو لم يكن الكتاب دليله؟

تستفيد مما نقرأ ، فهي ليست جديرة بالبقاء ، على عكس تلك الأمم التي تتقدم عن جدارة ، وتسود عن حق ، ونظّل هكذا نتقدم وتسود حتى يدركها الغرور فنحصر عن جادة الصواب فنسقط صريخة ذلك الغرور ، ونتيجة هذا الانحراف ، والكتاب بين هذه المفارقات يسجّل ويحفظ ويروي للتاريخ ، وكلما تقدّم العصر ، وتطوّرت الحياة ، تقدّم الإنسان ، وتطوّرت أفكاره ، الأمر الذي يؤدي إلى كشف المزيد من أسرار الحياة ، وكلما تكسّن الإنسان من كشف المزيد من هذه الأسرار أصبح تقدمه مسرعاً نتيجة السيطرة على المزيد من هذه الأسرار التي يتولد عنها أسرار أخرى لا تنفد ولا تنتهي إلا بانتهاء الحياة نفسها ، وكلّ هذه الحركات يرصدها الكتاب رصداً ويسجلها بين دفتيه ، وقد كانت هذه الأسرار نظريات ، ونظريات وتخمينات ، تنبئها عقول الفلاسفة والمفكرين ، ويأتي بعدها من ينقضها ، أو ينقصها أو يزيد عليها ، وقد يأتي من يقلبها رأساً على عقب ، ويظّل الكتاب يرصد ويسجّل أيضاً ويحفظ ويروي عن أولئك المهولاء ، ونظّل هذه النظريات والتخمينات تتصارع فيما بينها ، وتتقاتل بعق الفكر ، وحدة العقل ، بعضها يتهاوى فيسقط ، لعدم صموده أمام فناء العقل بعق الفكر ، وبعضها يتأرجح بين إيمان أن يقتات من العقل والفكر فيبقى ، أو يعجز عن أن يستمد أيّ قوت منها فيموت ، وبعضها يتطور فينبو ويزدهر ويعيش ، ويظّل الكتاب يسطر ويسجّل ويحفظ ويروي ، يفيقي على الصالح للعيش في هذه الحياة ، ويلقي الطالع الذي لا يقدر على الصمود أمام صراع الفكر والعقل ، ونظنّ هذه الكتب تنقل جيلاً عن جيل خلاصة الأفكار المتضاربة ، والآراء المتصارعة ، والنظريات الصاعدة أمام جبروت العقل والفكر ، لتلقّيها عقول الأجيال القادمة وتصهرها أفكارهم النافذة لتحيلها إلى حقائق ثابتة ملموسة ، ومن هذه الحقائق الثابتة الملوّسة ترى العجب العجيب ، وعندما تكبر تفكرك إلى الوراء ترى نواتها يوم كانت نظرية من النظريات ، ورأياً من الآراء ، يوم كانت نقطة ، أو كائناتية ، حتى تبلورت ، وتطوّرت ، وأصبحت حقيقة ملموسة ، وتلك طبيعة الحياة ، وهذه أسرار الكون ، وما زال الإنسان يبحث عن المزيد من الأسرار وما زالت النظريات تتولد ، ويأتي بعضها من بعض ، وتجرح إحداهما الأخرى حتى يربث الله الأرض ومن عليها ، وما زال الكتاب يسطر ويسجّل ، ويحفظ ما يسطره ويسجله ، وينقله من عصر إلى عصر ، ومن جيل إلى

عليها ، وتطويرها وتنميتها .
إن الكتاب علامة من علامات العصر ، ودليل رمي الإنسان وتقدمه ، وعنوان حضارته ورفعته ، والكتاب أيضاً له نوعيات متمايز بعضها عن بعض ، وبالكتاب ونوعيته نقيس مستوى الأمة ، ومدى تقدمها ، وبه أيضاً نعرف نوعيات المجتمع ، وطرق عيشها ، وسبلها التي تسر عليها في نوعية جماهيرها ، ودفعها إلى خوض معركة الحياة ، ومعركة الحياة معركة قاسية مريرة ، لكن المجتمعات الحية ، والأمم الراقية تخوضها وتتصر عليها ، ونظّل أبداً في صراع معها ، وكفاح ضدها حتى تبقى في مستوى متقدم ، وإذا ما هُزم صراعها مع معركة الحياة ، وفتر حبابها ضدها ، ظلت ساكنة جامدة إلى أن تنفذ قدرتها على الصمود ، تفنصر المعركة ، ويتقدم عليها من هو أجدر منها وأقوى على التصر أمام معترك الحياة . ولهذا نقرأ كتب التّسير ، ونصفح كتب التاريخ ، ونقلب صفحات كتب الجغرافيا ، فنجد العجب العجيب ، نجد أنواعاً رائقة من البطولات ، وألواناً زاهية من الفتوحات ، وأشكالاً مختلفة من المواقع المتفجرة المتحركة ، بطولات برزت فسادت وتقدمت بمجتمعاتها إلى الملاء ، وفتوحات طلعت وغيّرت وجه التاريخ ، وحضارات قامت ومحت ما قبلها من حضارات ، لكن سرعان ما بادت هذه الحضارات ، وزالت الفتوحات ، وبضت تلك البطولات ولم يبق منها إلا نكرها ، فالبطولات تحرك مجتمعاتها وتنفخها إلى المجد والسؤدد ، والفتوحات ترفع رؤوس الأمم وتعطيها مزيداً من الفخر ، وتنفخ بها إلى تغيير معالم الكرة الأرضية . فالدليل على حركة الأمة ، وصراعها ضد معركة الحياة ، والجزر دليل على جودها وانحارها أمام معركة الحياة ، وهكذا تبرز بطولات وتغنى ، وتسود أمم وتنهزم ، وتقوم حضارات وتبدي ، والكتابات يسجّل هذه الأحداث ، ويرويها للتاريخ ، وينقلها للأُمم ، ويحفظها للعصور ، ولهذا ترى دور الكتاب وأهميته وخطورته ، دوره في نقل هذه الأحداث من جيل إلى جيل ، وأهميته في حفظ العبر التي يرويها ، وخطورته في ضرب المواقف التي يطرحها على الناس .
إن الأمم التي تقرأ وتعي ما نقرأ ، وتستفيد مما نقرأ هي الأمم التي تقدّر على تلافي ما وقعت فيه الأمم الأخرى من أخطاء ، وتتدارك ما ألمّ بها من كوارث من جزاء هذه الأخطاء ، لكن الأمم ليست كلّها سواء ، ذلك أن بعض الأمم تقرأ ولا تعي ما تقرأ ، ولا

جيل حتى تنتهي مهمته ، ولن تنتهي مهمته إلا بانتهاء هذه الحياة نفسها .

فأي طعم لهذه الحياة بدون الكتاب ، وأي تقدم لأمة لا يكون الكتاب مصدر تقدمها ورقبها ، وأي قيمة لأمة لا تهتم بالكتاب ، وينوعيته ؟ إن الكتاب أخلد وأبقى من أعراس الحياة الأخرى ، لأن الكتاب عصارة الفكر الثمر ، والرأي السديد ، ونوب الفؤاد ، وخلاصة الوجدان الحي ، فلا الذهب بائس من الكتاب ، ولا الثروة ولا الفنى باقى وأخلد منه ، فهو غذاء للروح والعقل ، وهو طريق إلى فهم الحياة وفك رموزها ، وحل ألغازها ، وهو المقياس الذي نقيس به تقدم الأمة ، ونطور المجتمع ، وهو الوعاء الخالد الذي تحفظ به خلاصة عقول المتكرين ، والمبارقة والقادة من أبناء البشرية جمعاء ، وهو هزمة الوصل الكبرى بين الحاضر والماضي ، وبين الحاضر والمستقبل ، وهو أهم حدث في تاريخ بني الإنسان .

إن الكتاب لم يقتصر على نقل عصارة الأفكار والعقول ، وتسجيل ما أنتجته من علوم مختلفة بشقوة ، وإنما استطاع الكتاب أن يسجل كل حركة من حركات الإنسان ، ويرصد كل نبضة من نبضات فؤاده . إن الكتاب سجل حافل لأحاسيس الشعراء ، ومشاعر الأدباء ، وترجمان صادق لمواظفهم ، وصورة تنعكس عليها معاناتهم النفسية ، وأنفساهم المتصاعدة المعبرة عن دواخل وجدانهم ، وحركاتهم الباطنية . وإذا كان الكتاب العلمي يسجل نظريات العلماء ، ويكتب مخترعاتهم وأسرارها ، فإن الكتاب الأدبي يروي حركات الأدباء وأسرار حياتهم ، ويدون أشعار الشعراء ويعكس مشاعرهم وأحاسيسهم ، وكل نبضة من نبضات قلوبهم وأفئدتهم . وإذا كان الكتاب العلمي يعتمد على العقل ، فإن الكتاب الأدبي يعتمد القلب والعاطفة ، والكتاب العلمي إن دخلته العاطفة أفسدته ، والكتاب الأدبي إن خلا من العاطفة قلّت قيمته ، وأصبح كتاباً جامداً لا يحرك قارئه ، والشعر والأدب هما ذوب الفؤاد ، والعاطفة عبادتهما ، أما العلم المجرد فعبادة العقل وحده ، وإذا كان العلم يتلمس المحسوسات فإن الشعر والأدب يتلمسان المواقف والمشاعر والأحاسيس ، وكلها لا تحس إلا بالعاطفة .

إن الإنسان لا يخلو من العقل والعاطفة ، وإذا خلا من أحدهما اختلف توازنه وأصبح إنساناً شاذاً غير عادي ، والإنسان الشاذ لا حكم له ، لكن بعض الناس

تفهمهم ميولهم إلى حبّ البحث العلمي المعتمد على العقل البحث ، والبحث العلمي كما قلنا عباده العقل ، وليس معنى ذلك أن هؤلاء الناس الذين دفعتهم ميولهم إلى البحث العلمي وحده ، ليست لديهم عواطف يتبنون بها ، وإنما حبهم للعلم هو الذي دفعهم إلى البحث فيه ، كما أن الناس الذين دفعتهم ميولهم إلى الشعر والأدب ليسوا مجردين من العقل ، وإنما حبهم للشعر والأدب هو الذي دفعهم إلى البحث فيها ، والإنسان لا غنى له عن هذا ولا ذاك ، كالروح والجسد تماًماً لا يستغني أحدهما عن الثاني فكلهما مرتبط بالآخر ، وكما أن الإنسان عقل وعاطفة ، فهو جسد وروح أيضاً ، والعقل للجسد ، والعاطفة للروح ، وجسد بلا روح كعقل بلا عاطفة ، فهي عناصر يعتمد عليها الإنسان ، في حياته وفي تقدمه وتطوره . وميزة الحياة أنها حركة دائمة مستمرة ، والإنسان يعيش في معتركها إما منتصباً أو منهزماً ، والكتاب سجل أحداثه ، ومقياس انتصاره أو انهزامه ، ورواة أسرار ، ورواية تاريخه ، ووعاء عواطفه ومشاعره ووجدانه .

إن الكتاب في هذا العصر المتقدم يحتل أكبر منزلة وأهمها ، لتربية النشء وتقويمه ، فالكتاب الجيد المجاز يربي جيلاً جيداً ممتازاً ، والكتاب الرديء يؤثر على النشء فيطبع جيلاً ضعيفاً رديئاً ، والمجتمع الحي المتطور يعرف كيف يختار كتبه التي ينشئ بواسطتها جيلاً قوياً يستطيع أن يضطلع بأعباء الحياة ، وحيية هذا العصر حافلة بالأعباء الثقيلة ، والمقدرة الكثيرة ، وإذا لم يستطع المجتمع أن يختار لنفسه الكتب الناضجة التي تربي في روحه وفي عقله حب هذه الحياة ، ومعرفة مشاكلها وحمل أعبائها وحل عقدها ، لا شك أنه سيخسر جيلاً من الأجيال التي يعتمد عليها في بناء مستقبله بناءً يتناسب وتقدم العصر ، وازدهار الحياة . والكتاب متوفرة ، لكن هذه الكتب المتوفرة حافلة بالطيب وبالخبث أيضاً ، والطيب يربي جيلاً طيباً ، كما أن الخبيث يربي جيلاً خبيثاً أيضاً ، والنشء طري المود ، تستطيع أن تقوم بسهولة ويسر أيضاً ، ولهذا أصبح لزاماً أن تختار له من الكتب ، النوعيات الممتازة الجيدة التي تقوم بيسر وسهولة ، وتوجهه الوجهة الصالحة حتى يشتد عوده ، ويقوى بناؤه ، وبعد ذلك تلقي به في معترك الحياة ، ولا شك أنه سيكون محضناً مطعماً ضد أمراض الكتب الأخرى الرديئة ، التي لو قراها بعد ذلك لأدرك رذاعتها وضعفها ونفاهتها .



ليفى نرجى

شعر / عبد الله أحمد حسين

بَيْنَ كَأْسٍ وَقَيْنَةٍ وَمَقَارٍ
كَيْفَ نَرْجَى لثَوْرَةَ وَاِنتِصَارٍ
أَيُّسُوسُ الْبِلَادِ أَحْلَامُ أَطْيَارٍ
وَتَسْمُو بِهَا خِصَالُ الصَّغَارِ
يَتَلَبَّثُ الْفَارَسُ الْهَمَامَ جَبَانٍ
وَيَذَلُّ الْحُمَى غَرِيبَ الدِّيَارِ
وَعَدَا الْعَاجِزُ الْجَلِيلَ فِي النَّاسِ زَعِيمًا يُحَاطُ بِالْأَكْبَارِ
وَالزَّعَامَاتُ حَقَمَتَهَا يَذُ الْغَدْرُ فَالْتَأَى حِمَى الْأَغْرَارِ

• • •

كَلَّمَا عَاتَى فِي الْبِلَادِ فِسَادُ
رَدَّ أَمْرُ الْفَسَادِ لِلْأَقْدَارِ
وَفِسَادُ الْبِلَادِ سَوْءُ عَقُولِ
عِنْدَمَا سَلَطَتْ يَدُ الْأَثَرَارِ
وَسَبَابُ الْبِلَادِ لَيْسَ يَرْجَى
إِنْ تَمَادَى بِحِطَّةٍ وَانْحِدَارِ
كَمْ أَهَانَ الْيَمِينَ وَجَّهَ بِلَادِي
ثُمَّ أَهْوَى عَلَيْهِ كَفَّ الْيَسَارِ !
كَلَّ فَرَدَّ فِي أُمْتِي هُوَ شَعَبُ
وَلَهُ دَوْلَةٌ وَرَبٌّ اقْتِنَادِرِ !
وَلَهُ رَايَةٌ تَتَوَدُّ السَّرَايَا
وَحُدُودٌ مَصَانَةُ الْأَسْوَارِ !

مُثَقِّق — عبدالله أحمد حسين

إن بعض الأمم القوية الطامعة أدركت خطر الكتاب ، وراحت تنشر شباكها عن طريقه ، وجندت له بعض العقول المريضة ، ودفعت به إلى الأمم التي تريد غزوها وتسليم أفكارها والسيطرة عليها ، والعقول المريضة هي التي ترضى لنفسها أن تكون أداة هدم وتقويض لقضاء أحر مادي ، ولهذا أصبحت الغزوات ، غزوات فكرية بعد ما كانت غزوات عسكرية وإمادية ، وأخطر غزو على الأمم الضعيفة في هذا العصر المتطور المتقدم ، هو الغزو الفكري ، وعن طريق الغزو الفكري تَنَسَّرَ الحروب النفسية المتفتنة ، وكل ذلك يتم عن طريق الكتاب ، حتى أصبح الكتاب لدى بعض الأمم أداة هدم ، ضد الأمم الأخرى ، ووسيلة للتأثير النفسي أَيْضاً ، ولقد قرأنا وشاهدنا الكثير من هذه الكتب الخبيثة التي تحفل سطورها بالكلمات والعبارات السالبة ، التي صبغت بكل عنائية ، وبكل دهاء ومكر ، ولعلها تنطلي على كثير من القراء ، وتؤثر عليهم تأثيراً بالغا ، لكن الذين يدركون أسرار هذه الكتب ، والغرض من وضعها من جراء كثرة مطالعاتهم وقراءتهم يتنبهون لها ويعرفون مغزاها والهدف من ورائها ، وربما كانت هذه الكتب مشوقة ، بل إن هذه الكتب الموضوعة لهذا الغرض لا بد وأن تكون مشوقة في أسلوبها وفي عباراتها وفيما تسوقه من قصص وأحداث ، وفيما تنشره من صور جييلة مغرية ، حتى تصل إلى الهدف الذي ترمي إليه .

إن الكتاب أخطر سلاح في هذا العصر ، وأهم وسيلة لتقدم الأمم وازدهارها ، كما أنه أهم وسيلة لتأخر الأمة التي لا تعرف كيف تميز الطبيب من الخبيث ، والكتاب أصبح ضرورة من ضرورات العصر ، ولهذا وجب على الأمة أن تختار كتابها المفضل الذي تعتمد عليه في تربية جيل حي قوي ، وتنشئته تنشئة تتناسب وتطور الحياة ، وتقدمها ، والكتاب هو الغذاء الذي يعتمد على العقل والفكر والشعور ، فبِهِ كل العناصر التي يتغذى منها العقل ، ويتطور الفكر ، ويقتات الشعور . والكتاب الممتاز هو الذي تتوفر فيه كل العناصر الطيبة المفيدة .

عبد الله أحمد حسين

الشعر الكويتي الحديث



خليفة الوقيان

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

اني لاهوى ان ارى قبسا
بين النجوم لمالم ارقى
حيث التفت فثم ساجعة
تسقى الهوى من سلسل رقا
الارض للانسان يعمرها
وعلى معارج وعرها يرقى
يسمى ليفرس في مرامها
حبا ، ويحصد جنيها رزقا
لا الظلم ، لا الاحزان تسحقه ، لا محنة من كاسها يسقى

(خليفة الوقيان)

والبحر عن عالم مشالي

بقلم الدكتور

ابراهيم عبدالرحمن محمد

عن المسرح الذهني ، فقال : « واخيرا احبى — ولا
ينبغي ان تكون المعرفة عن كتب سببا في اغفال حقه —
هذا الجهد ... لهذه الدراسة ... » فلا تزال لهذه
العبرة صداها في نفسي كلها استشعرت شيئا من

(١) احب قبل ان نمضي في دراسة شعر خليفة
الوقيان ، ان استعيد هنا عبارة للزميل الدكتور
محمد حسن عبدالله ، استهل بها حديثه عن تلك
المقالات التي كنت اتوم بنشرها في مجلة (البيان)

تحبها من ان تبيل مع هوى النفس على اختلاف
بواعثه .

واحب ان اعترف منذ البداية بانه تربطني بالاستاذ
« خليفة الوقيان » موضوع هذه الدراسة صلة صداقة
وثيقة تعود الى تلك الفترة التي كتبت معارفا فيها
للتدريس بجامعة الكويت ، مما اتاح لي ان اعرفه
عن كتب دارسا واعيا لفنني اليه ، اول الامر ، يبحث عن
« عبدالله بن المعتز » وكتابه طبقات الشعراء « كشف
فيه عن ذوق مرفه في فهم النصوص الشعرية
واستجلاء غوامضها . ثم ازدادت معرفتي به في ندوات
شعرية كنت ادعى لتقديمها في مكتبة « حولي »
حيث استعنت اليه في تصديده وجدانية مؤثرة يقول فيها:

ما كل امر اذا ارضاك يرضيني

وليس دينك فيما تبغني ديني

يا حابس الصور عن عيني من سفة

ومسدل الليل كهفا كاد يطويني

هل انت تبلغ نفسي حين تاسرني

ام انت تملك روعي حين تعميني

طورا اراك بسوط الجور تجلسني

وتارة تبغني ودي فتفتريني

ان كنت تملك شيئا لست املكه

فان لي عنك كنزا بات يغنيني

وقد كانت هذه القصيدة من اكثر ما قبيل في
الندوة تأثيرا في النفس ، واصح لغة ، واصفاه
ديباجة . وهي قصيدة يغلب عليها الشعور بالفقد
والمعاناة ، وهي عواطف شاعت في تصائده الاخرى حتى
اخذت شكل الظاهرة الفنية . وهذه الاحاسيس ،
وان كانت قد ظهرت ، منذ وقت مبكر ، في اشعار
« صقر الشبيب » و « عهد العسكر » وغيرها من
شعراء الوجدان في الكويت ، غير انها لم تكن ظاهرة
فنية عامة بقدر ما كانت لوسا من الشكوى للظروف
خاصة فردية تعود في شعر « عهد العسكر » الى وطأة
التقاليد الاجتماعية التي كانت تحد من حريته ، وفي
شعر « صقر الشبيب » الى هذا الجهد العنيف للحياة
والناس من حوله . ولكن احزان « الوقيان » بدت لي
وقتها ولا تزال تبدو ، احزانا غريبة مثرة للتأمل
في حقيقة الظروف التي دعت اليها ، فهو شاب يتبع
بيسر واضح في ظروفه الاقتصادية ، ويشغل وظيفة
لها مكانتها ، ويلقى من فرص الدراسة ما هو جدير
بان يحقق له طموحه الثقافي والوظيفي . وقد كان من
التوسع ان تقوده هذه الظروف الطيبة الى الرضا
بواقعها والاطمئنان اليه ، ولكنه قد اخذ ، على العكس

الخرج في الكتابة من واحد من اصديقائي الشعراء
والكتاب - ولقد واجهت هذا الموقف حين شرعت في
كتابة مقالني عن شعر الاستاذ احمد المسدواني ،
ولكنني تغلبت على ترددي بفضلها لهذا الشاعر من مكانة
مرموقة في حركة الشعر الحديث في الكويت تجعل من
المستحيل على الدارس المنصف تجاوز نتاجه الفني
لاهيبته وقبته . واجدني هذه المرة اواجه موقفنا
اخر لا يعود الى اني اكتب عن صديق محسوب ، ولكنه
يعود الى امر اخر له قبته ، هو ان هذا الصديق
كان لا يريد ، فيما بدا لي ، ان اكتب عنه تواضعا
وتحرجا وحياء . وآية ذلك انه التوى برسائي اليه
التواء شديدا ، حتى اذا ما لاحت عليه كتب الي
يقول : « ... في البدء لا بد من ابلاغكم امتثاني لما بذلت
في الكويت او خارجها للتعريف بي ، ولسوف يسرني
ان اسع بلحوظاتكم النقدية الصريحة البهيدة عن
المجاملة ، لان ذلك سيسعدني كثيرا كما انه سوف
يفيدني ... » ولا ينبغي فيما اعتقد ، ان تكون المعرفة
عن قرب قيما على اراء التقاد تجاه اصديقاتهم من
المؤلفين والشعراء فيقولون حقوقهم في التنويه بنتائجهم
الفني ، او تكون هذه المعرفة طريقا الى الاطراء الكاذب
الذي يضع افعال الادباء فوق مكانتها الحقيقية .
واجدني مضطرا الى الاعتراف بان الحركة النقدية في
العالم العربي المعاصر تعاني من المجاملة المفرطة
احيانا والاهمال او المعاداة الجائرة احيانا اخرى .
وبعبارة اخرى ، ان كثيرا من النشاط النقدي في العالم
العربي يفتقر الى الموضوعية ، ويخضع للهوى في اكثر
الاحيان . ويكتفي في هذه المناسبة ان نذكر بموقف
الاستاذ عباس المعاد من تيار الشعر الحديث الذي
كان يغنيه « شوقي » في تصائده ومبرحياته التي
كانت حدثا في الشعر المصري على ايامه ، فقد تورط
هذا الكاتب الكبير لهدم مكانة شوقي الشعرية في
احكام تجاهلت في اسراني واضح ، ظروف المعاصر ،
الثقافية وطبيعة الفن الشعري . . . ومهما يكن من شيء
فنحن محتاجون ، في ظروفنا الحاضرة ، الى ان نكون
صادقين في مواجهة انفسنا والحكم على افعالنا ،
سواء كانت هذه الاعمال سياسية او اجتماعية او فنية ،
حتى نكتسب احكامنا صفة الموضوعية الصارمة التي

من ذلك ، يصدر في اشعاره جيعا ، على اختلاف موضوعاتها ونغمها الفني ، من هذه الاحاسيس الاسبية . وربما استطعنا الكشف عن طبيعة هذه الاحاسيس في ضوء ما جاء في اشعاره ، وخاصة قصيدته « زيف » التي نخضعها لمناقشة الى فهم اشعاره الاخرى :

سرت بالامس كليباً متعباً

مجهد القلب بدرب الحائرين

حيث يرخي الليل في هداته

ظل ثوب اسود التمسج حزين

علّ روعي ان تـرى من ظمإ

خيـط نور في دروب المدجنين

فلكم انتفتحت ليلى نائلها

اسال الاقمار عن سر دفين

ولكم احرق قلبي لاجع

من حنين لشئون وشئون

الف سر في فؤادي حائر

ليتني اهتك استار القرون !

حيثما قلبت طرفي لا ارى

غير زيف عشيت منه الميـون

ووجوه مسح العار بها

عاره من خجل في المـالين

صفق الدهر لها من عجب

وتلقاها لقاء الفـلاتين !

ولا نعرف نصا يمكن ان يصور الحيرة التي يعيشها « خليفة الوقيان » مثل هذا النص ، وهي حيرة كما ترى غامضة لا يكاد الشاعر فيها يقف عند قضية معينها من تلك القضايا السياسية والاجتماعية التي راينا « السبتي » و « العدواني » و « الفاي » يتغنون بها في اشعارهم غناء انسانيا مشجيا . ولكننا نسلرّع فنقرر ان قارئ القصيدة لا يخطئ ان يرى ، من خلال هذا الغموض ، احساسا صادقا يصدر عنه الشاعر في معانيه المختلفة ، مما يدل على ان هناك من الاسباب ما يجعل هذه المواقف الاسبية تغلب على اشعاره كما سوف نرى . وهذا من شأنه ان يقودنا الى الكشف عن حقيقة عواطفه التي يحرص على تفكيرها في قصائده . ونستطيع كما قلنا ان نجد مفتاحا لها في ابياته التي نلقاها من القصيدة ، بل نستطيع ان نجدها في عنوان القصيدة ذاته ، وهو عنوان يرمز الى ان معاناة الشاعر النفسية تمسود الى هذه المارقة الحادة التي تهتل بها بيئته العربية

عابة والكويتية خاصة . او قل هذا الزيف الذي يغلب على كل مظاهر الحياة من حوله سياسية كانت او دينية او اجتماعية ، بحيث لم يعد قادرا شأن غيره من الشعراء ، ان يرى الحقيقة لكثرة ما صيغها من « الزيف » الذي عشيت منه الميـون ! ومعنى هذا ان احزان الشاعر انسانية عامة وليست وليدة احساس رومانسية غائبة على نحو ما راينا في شعر « عهد العسكر » او التزاما سياسيا او اجتماعيا كما راينا في شعر غيره من الشعراء واذ رحنا نكشف عن طبيعة هذه المواقف التي يصدر عنها « خليفة الوقيان » استطعنا ان نجد صداها في هذه الابيات التي يقول فيها :

يا زارع الشوك في دربي ليوهني

اني ارى الشوك بعضا من رياحيني

لي عن شموسك نور استضيء به

وشمعل في دروب العمر يهديني

يقودني لسبيل لست اعرفه

وغاية من وراء الليل تدعوني

فلا حصونك بعد اليوم تحبسني

ولا سياطك عما رمت تثنيـني

اكاد اسمع لحن الحب يغمـرنـي

خلف المسافات عن قرب يناديني

اني عشقت خيوط الشمس تنسجها

سمر السواعد بين الماء والطين

اني عشقت الصباح العذب ترسمه

فوق المحاجر صيحات المساكين

لتدحن الليل في اسفاله مـزقا

وتجعل الارض جبلى بالبراكين

وقد تحدثت هوية هذه المواقف في حوار شعري

بديع منشور في مجلة « البيان » بين الشاعر

والاستاذ علي السبي . وقد اتبعث هذا الحوار من

قصيدة له بعنوان : « المبحرون مع الرياح » ويقصد

بهم هؤلاء المظلومين الذين يتخذ من وصف حالهم رمزا

على الفوضى والظلم والتخلف التي يعيشها العالم

العربي المعاصر من حوله ، فيقول في تصايف انساني مؤثر :

يا مبحرون وفي محاجركم

نهران من نبع الهوى شقا

اني لالحكم ، وان عثبا

طال السرى ببناهة غرقى

اوراقيم في غصنها يبست
وبد الشتاء تليها سحفا
وجذوعكم عريانة سجدت
والرياح تحرق عريها حرقا
اثوابكم مزرق وما خلعت
حتى م فوق جلودكم تبقى !

وحيرة هؤلاء « البحرين » وضياهم وسعيهم
الدائب في سبيل الخلاص هي التي تحمل الشاعر
على التعاطف معهم ومصاحبتهم في حيرتهم بحثا عن خلاص
موهوم يشقون في سبيل ادراكه . ومعنى ذلك ان
حيرة هؤلاء المساكين ليست حيرتهم وحدهم ولكنها ايضا
حيرة الذين يسعون في خلاصهم - حيرة « خليفة الوقيان »
وغیره ممن يدركون ما يتردى فيه المجتمع العربي المعاصر
ولكنهم يعجزون عن معونته ، ولا يجدون ما يفعلونه
سوى ان يسيروا في ركب « الضائعين » :

كم رحلت اخلع فوقها جزعا
ثوبي ، وكم لمليتها رتقا
الرياح تسرح في شراعمكم
غربا ، وابحر فيكم شرقا
اني سار شقما اذا حترقت
اجفاتكم ، بازا هري رشقا
قلبي لكم في كل مفترق
زيت السراج يليلكم يشقى !

وقد اثار هذا التعاطف الاستاذ « علي السبتي »
فنشر من نفس الوزن والقافية والروي ، قصيدة
ينكر فيها على الشاعر هذا التعاطف ويتشكك في
قدرة هذا الجيل العربي الذي يغلب الزيف على
حياته ، على التطور بنفسه . وتنبغي الإشارة ،
لكي نذكر علة هذا الشغف ، الى ان الشاعرين يصدران
عن اتجاهين مختلفين من الالتزام ، احدهما سياسي
والاخر انساني ، ومن ثم اختلفت نظرة كل منهما
الى هؤلاء الضائعين من ابناء جيلهم . « فالسبتي »
كما رايناه يلزم نفسه باتجاه سياسي بعينه
يحملة على الايمان بان « الثورة الاجتماعية » على
نظم المجتمع وتقاليدته المخلقة بغية القضاء عليها ،
هي الطريق الصحيح الى تطور المجتمعات العربية
المعاصرة - وقد دعاه ذلك كما راينا ، الى الدعوة
الى « حرية الحب » في مجتمعة في اشعار راح
يتحدث فيها عن سطوة « المال » الذي يزيغ
العواطف ويشترى حريات العذارى ، « والرهيب »
الذي يدمر احلام المحبين ، الى غير ذلك من تقاليد
المجتمعات العربية التي تحول بينها وبين الانطلاق

في طريق التطور . وقد كان لهذا الالتزام السياسي
اشاره على روح التناول التي تشيع في اكثر قصائده
والتي تشخصها احداث قصيدته « بيت من نجوم
الصيف » وهي القصيدة التي يتخذها عنوانا
لدويان شعره - وعلى العكس من ذلك ، فان روح
التشاؤم تغلب على معارضته « لخليفة الوقيان »
وذلك على الرغم من انه يصدر عن نفس الالتزام
السياسي :

لا يبحرون ولا عيونهم
نيمان من نهر الهوى شقا
هم ناثيون ودابهم
ان يخلوا بالمال ان يبقى
جريتهم عشرين موجة
فعرفتهم اني بهم اشقى
مسخت نفوسهم فهم عرب
يتشبثون بسابق انقى
البخل اعياهم ومسكة
لا تستطيع لفتها رتقا
لو كنت مثلي عشت بينهم
لكرحت ارضا تحل الرقا
يتججسون بانهم حمم
أما دعا داعي الحمى حقا
ويجولون بانهم شرف
لدار ان يبقوا ، وان تبقى
وهم اذا ما غيمة خطرت
قطعوا الفضاء لغرها سبقا
ما همهم ! فالدار مزرعة
والشعب سقاء بها يشقى !

وقد لخص الاستاذ « خليفة الوقيان » في « رده
على هذا الرد » كل ما يشعر به تجاه هؤلاء المظلومين
بحيث نستطيع ان نعد هذه القصيدة « مانستو »
الشاعر في دعوته . ونجزي منها هذه الايات الدالة
التي يقول فيها :

اني لاشقى حينما اشقى
للبحرين كانهم غرقى
مجدافهم في اليم منحطم
وشراعهم في لجة شقا
وسفائني في الليل ضائعة
إما سرت غربا وان شرقا

قد تاه هاديهما وضعهما

هاد سئمت لفتقه رتقا

.....

اني لاهوى ان ارى قيسا

بين النجوم لمالم ارقى

حيث التفت فثم ساجمة

تسقى الهوى من لسلس رقا

الارض للانسان يعمرها

وعلى معارج وعمرها يرقى

يسمى ليفرس في مرابعها

حبا ، ويحصد جنيتها رقا

لا الظلم ، لا الاحزان تسحقه ، لا محنة من كاسها يسقى

.....

اسقى سراج الركب مقتبلا

من ذوب انفاسي وان اشقى

ويختلف الشعاران ، كما ترى ، في نظرتها الى

علة هذا الوازع المضمي الذي تعيشه الشعوب

العربية المظلومة فردد « السبتي » الى « اتكالية »

الجاهل العربية متعلقتا بالماضي وكونها

الى الدجس والزيف والانتهازية مما يجعله

يشك ، اخر الامر ، في خلاص قريب لها من محتنها

الحاضرة . واما « خليفة الايتان » فيصدر عن

عواطف انسانية بـ محبا ، وعربية متقائلة ترد هيندا:

الزيف والتخلف الذي يعيشه العرب في حاضرم

الى هؤلاء الذين يتوزعونهم بين الشرق والغرب ،

وهو يرى ، على عكس السبتي ، خلاصهم في عالم

عربي يعمره الحب والعدل والعمل . وقد دعمته هذه

النظرة المتفائلة الى البحث عن خلاص لهؤلاء «المبحرين

التائهين » الذين يتخذهم كـ راينا رمزا على الشعب

العربي في محتنة الحاضرة .

وقد راينا هذا الخلاص يأخذ ، عند الشعراء

الكويتيين الذين درسناهم ، اشكالا مختلفة ، فكان

خلاصا سياسيا مرة ، واجتماعيا ودينا مرة اخرى .

ولكننا واجدود في هذا الشعر شيئا مختلفا نستطيع

ان نلخصه في عبارة واحدة « الخلاص بالثقل » ،

مخلقة الوتيان ، كما اعرفه . يأخذ نفسه ، على

الرغم من اغراءات الحياة من حوله ، بمثابة صارمة

في سلوكه وتكبره وصلاته بالناس . هي مثالية اتخذت

طريق البحث الدائب عن عالم تسوده القيم الانسانية

بكل ما فيها من عدل مطلق وحب خالص ، او قل ،

ان شئت ان تختصر ذلك كله ، انه راح يدمعو الى

الانسانية المتكاملة في شتى مظاهرها ، وهي مثالية

مد بلغت في بعض اشعاره حد الدعوة للثورة على
واقع الحياة الذي يحول بين المستضعفين وبين
العدل والخير والحب :

اني عشقت خيوط الشمس تنسجها

سمر السواعد بين الماء والطين

اني عشقت الصباح العذب ترسمه

فوق المحاجر صيحات المساكين

لتدفن الليل في اسماله يرقا

وتجعل الارض حبلى بالبراكين

(٢) وقد اتخذ تعبير الشاعر عن هذه العواطف

المثالية في اشعاره مظهرين مختلفين اولهما يتجلى في

الاسراف الواضح في تصوير معاناته من واقعه وغربته

بين قوميه في قصائد عديدة عرضنا لتباين منها فيما

مضى - ولكننا نقف هنا عند ابيات من قصيدة

اخرى بعنوان « غربة » يقول فيها :

غريب ان مضيت وان اتيت

وناء ان دنوت وان ناييت

اقلب في وجوه الناس طرقي

واسأل في الدروب اذا مشيت

وكل يبتغي في السير قصدا

واسمى لست اعرف ما ابتقيت

كلني واقف في الدرب حولي

يموج باهله اني مضيت

ولا تحتاج هذه الابيات الى ان نعلق عليها بشيء،

فالحيرة والغربة والضياع قد غلبت على معانيها

وصورها ، او قل قد غلبت على حياة الشاعر فاحالتها

الى شعور متصل بالفتد ، وهي احاسيس على الرغم

من حداثتها وقدرتها على التأثير في نفوسنا غامضة

لا يكاد الشاعر فيها يكشف عما يحركها من دوافع

— وهو نفسه يعترف بذلك في ابيات اخرى يقول فيها:

يمزقني الى ما لست ادري

حنين من لواجه اكنوت

ويعصف بي شتاء من ضياح

كناء ما له في الارض بيت

وردت من المناهل كل ثفر

وجبت من المسالك ما ارتضيت

لعمل الشوق يجنني بعيدا

لافتاق لها دنفا سعت

ولا نعرف نصا في الشعر الكويتي الحديث ، على

كثرة نماذجه وتعدد شعرائه ، بـ صور الغربة والحيرة

البيان — ١١ —

التي يعيشها الشعراء المعاصرون مثل هذا النص ،
وهي غربة تأتيه أولاً من هذا التناقض الذي يحسه بين
واقع حياته وحياة الناس من حوله ، وبين
« عالم المثل » الذي يتغنى به . وتأتيه ، ثانياً ، من
هذا الصور المفروض عليه ، أو هذا النسل الذي
يتردى فيه كلباً مضى في دعوته :

وكنيت مع الفدير العذب نبعا

سقيت الظاهنين وما اترويت

وبين التمرات جعلت نفسي

شهاباً غير اني ما اهديت

وفي كل الكؤوس صهرت روحي

رحيق الشارين فما انتشيت

الرضى ان اكون بكل درب

سراجاً ما به في الليت زيت !

واذن فينبغي ان نفهم هذه العواطف المعقدة التي
تحفل بها القصيدة من جناف النفس وحيرتها
وغلبة الحزن عليها ، وظلماتها الدائم الى الخير والحق ،
بوصفها رمزاً على هذا الاسى الذي يملأ قلب الشاعر
بسبب فشله في تغيير عالمه الذي يعاني من تخلف قبيح
وظلم تقاليدية : انها ليست عواطف فردية غائبة ،
ولكنها عواطف جماعية ان صح هذا التفسير ،
وبذلك يصبح الغموض الذي يصفه الشاعر على
هذه القصيدة او غيرها غموضاً فنياً خالصاً لانه
يسلمنا ، كما نرى ، الى حالة من الضياع والخوف
والتنزز تعكس واقعنا العربي في شتى مجالاته :
السياسية والاجتماعية والدينية والثقافية ، وتدلنا
على ان سبيلنا الى تغيير هذا الواقع سبيل هي
الاخرى لا تزال تعاني من الخيرة والغموض ! اننا
لا نعرف ماذا نريد ، وان عرفناه احياناً فلا نعرف
كيف نصل الى تحقيقه !

(٣) وقد حبلت هذه المعاناة النفسية الفاضة
الشاعر ، على الهرب اخر الامر من واقعه الى تلك
العوالم المجهولة التي كان يحلم بها ، والتي اتخذت
رموزاً مختلفة في اشعاره ، فكانت تعلقاً بالماضي
في بعض آثاره كما نرى في قصيدته : « كاتبة »
و « المهلب » . و « كاتبة » مكان يرتبط بتاريخ
المسلمين في ازهى فترات ارتباطها وثيقاً ، وقد كانت
مسرحاً لحرب دينية مقدسة بين المسلمين بقيادة خالد
ابن الوليد وبين الفرس ، وكان نصر المسلمين القاطع
فيها سبباً لخلي بينهم وبين العراق والشام . ولعلنا
نستطيع الان ان نفهم دلالة الرمز في « كاتبة » كما
يريد الشاعر ، انه محاولة لتصوير هذه المفارقة
الحادة بين واقع العرب اليوم وماضيهم بالأمس .

وقد امتتح الشاعر قصيدته بهذا الغناء الحزين
الذي يكشف فيه ، منذ البداية ، عن احزانه ،
او قل يصور حالته النفسية التي تغيب به عن الوجود
من حوله بكل ما فيه من طيبة وكائنات . وقد ساق
ذلك من خلال عديد من الصور الرومانسية التقليدية
التي تعتمد على معان مألوفة في الشعر العربي القديم
والحديث ، من مناجاة « الورقاء » ذلك الطائر

المطاني الحزين ، والحديث عن مظاهر الطبيعة من
الحقول والرياح والفدير ، الى ذلك ذلك من المظاهر
الحسية التي تنفجر اليها الطبيعة الكويتية :

ورقاء يا روض الصبا المتضوع

صبي الجمال على الخمائل واسجعي

وتنقلني بين الرياض والقدير ، الى ذلك ذلك من المظاهر

لا تسكيبي دمعاً ولا تتوجعي

لك في الحقول مسارح وملاعب

فتلقني في ساحها وتطلعي

ولك الجداول والفدير مصفق

شوقاً اليك الى الهوى فتبقي

فالحقل والروض التضرير مراع

لك والرسوم الباليات مراعبي !

وكل قبيح هذا النغم التقليدي موكولة الى هذه
المفارقة النفسية التي تعكسها هذه الصور . وهي
مفارقة قد استغلها الشاعر في تصوير واقعه النفسي
عن طريق التفتي بهذه الاحداث التاريخية التي تحرك
عواطف المسلمين على اختلاف مذاهبهم وبيئاتهم :

ابكيت يوماً صرح « كاتبة » الذي

درست معالمه كقفر بلقع

يا ساحة المجد الاثيل ودارة

للخالدين وكل فذ جـدع

كم صنت يا درع العروبة قلبها

وغدوت في يوم الوغى كالاضلع

ورفعت في « ذات السلاسل » راية

خفاقة للمجد لم تنزعزع

ما لي اراك كتيبة فكتاب

اودى الزمان بذكرك المتضوع

الصمت ران على الطلول فلقها

بعد الالى بانوا كليل مفزع

فكان جفلس خالدا ما حل في

« ماء الكواظم » في الهجر الموجع

والخيل والفرسان في صولاتها

واليسفي في اوكاره لم يصرع

واذا كانت « كاظمة » رمزا على تاريخ العرب في احداثه المجيدة ، فان « المهلب » هو الآخر رمز على العرب انفسهم - فقد اتخذ الشاعر من وصف رحلات هذه السفينة ايام كانت تجوب البحار في ماضيها القريب طريقا لوصف حياة العرب القدماء بكل ما كان فيها من اصرار على مواجهة الاحداث وتحديها - كما اتخذ من الحديث عن حاله بعد ارسائه على ساحل الخليج في « الشويخ » بالكويت وما آل اليه من تعطل رمزا على الحاضر العربي بكل ما فيه من ضعف وتزق وضياح :

عصف الجوى بفؤاده فتذكرا

ولسوى الاسى بزمامه فتكدرا

قد راعه ليل التوى لما دنيا

فهوى كسر من منيفات الذرى

ومضى يجر جناحه جرا كما

زحف الجريح على التراب معفرا

.....

كم غاية خلف المحيط سعى لها

تدنو البحار له ويقترب الثرى

كم صارع الانواج في ترحاله

كم طوع الاقدار في ليل السرى

الريح تكبو دونه في رهبة

ان شقها يوما وان هو ادبرا

كم صفحة للجد قد خطت على

الواحه في كل صوب لو درى

ويبخر الشاعر في رصد هذه الصورة التقديرية في هذه اللغة التقليدية القديمة الى وصف حالته بعد ارسائه على شاطئ الخليج فيقول :

لما مررت على الشواطىء ساهني

ان المهلب في الرمال تحجرا

وكانه ما كان في صولاته

بين الكفاة الخالدين مظفرا

.....

فسألته هل قد اناخ به الوني

ام للمهود والجود تنكرا

فترقرقت في مقتفيه جمعة

لما رأيته مطرقا واستميرا !

وقد كشف الشاعر نفسه في الابيات الاخيرة عن مدلول هذا الرمز حين وقف عند وصفه للواقع العربي وفتة طويلة ، راح فيها يأسى لضعفهم وتفرقهم ، ويتعسر على ماضيهم ، وهو اسى قد امتزج بالوئاس لهم ، والحرص على احياء ماضيهم :

اين الالى كم صارعوا ليل الردى

بل اين فوق الموج اسناد الثرى

فوق الثريا اشرفت راياتهم

عربية خفاقة بين السورى

وينبغي ان نلاحظ حين نقرأ هذا الشعر حرص الشاعر على تخير رموزه من بيئته الكويتية ، كما فعل في « كاظمة » - او بيئته العربية كما فعل في قصيدته عن « عاليه » و « بيروت » . كما ينبغي ان نلاحظ هذا التقليد الفني الغالب على لغة القصصيين واساليبها وصورها ومعانيها وموسيقاها وهو تقليد لا نجد له تفسيرا سوى ما نعتقد من انه محاولة للتوفيق بين ما يعرض له من معان وما يعير به عن هذه المعاني من اساليب ، ونستطيع ان نلاحظ بالإضافة الى ذلك ، هذا التعاطف الذي يحمل الشاعر على ان يثبت الحياة في هذا الجهاد من حوله ، ليتحدث اليه في نغم مؤثر كانه صديق تربطه به وشائج عتيقة ، وهو لون من السلوك الفني يكاد يكون ظاهرة تميز اشعار « خليفة الوقيان » .

(٤) وتعد قصائده الوجدانية لونا اخر من الهرب الذي دفعته اليه ظروف الحياة من حوله ، وتدور هذه القصائد القليلة ، في اكثرها ، حول الحديث عن ذكريات حب قديم ، وهي تعكس بسبب ذلك شعورا عميقا بالفرق والمعاناة الا في قصيدة واحدة يغلب عليها روح التفاؤل هي « عقد البنفسج » . ولدينا من هذا الشعر الوجداني ست قصائد بعضها منشور والبعض الآخر لا يزال مخطوطا لم يتيسر للشاعر بعد اذاعته على القراء . وقصيدته « عاليه » من اكثر هذا الشعر تصويرا لهذه العواطف الاسية التي راينا الشاعر يتقن بها في قصائده على اختلاف موضوعاتها . ويتحدث الشاعر فيها كما قلنا عن ذكريات حب قديم في « لبنان » . ولهذه القصيدة قيمة فنية خاصة لان الشاعر فيها قد اقترب ، على عكس اشعاره الاخرى التي اشرنا اليها ، من الشكل الشعري الجديد ، فتنطو بوسيقى شعره تطورا واضحا ، وتخلص من هذا البطل الموسيقي الغالب

و « بين المد والجزر » و « الليل » و « لقاء »
وهي قصائد اختلطت عواطف الشك والخوف والرفض
والأمل فيها اختلاطا واضحا . وبهذا ان نقف منها
عند هذه الابيات من قصيدة له بعنوان « خيال »
يصور فيها انشغاله بالبال كبار انعكست على مفهومه
لعاطفة الحب اولا ، وصورة المرأة التي يريدها ثانيا :

اريدك شيئا يفوق الخيال

يبدد في ناظري المحالا

وحلما يرف على كل جفن

ويأبى اذا ما دننا ان يطالا

واهوى بعينيك الف سؤال

لاني عشقتك يوما سؤالا

.....

اريدك نورا يدوم ويبقى

اذا كل حي على الارض حالا

ويدرا يمزق وجه الليالي

يشع على الكون اما تعالى

وشمسنا تطل على كل صوب

تعاث الاقول وتلأبى ارتحالا

ولحنا يمر على كل نجر

وايس يمل اذا ما توالى

وحين يتساءل المرء عن صورة هذه المرأة التي
يتغنى الشاعر بحبها وجبالها لا يكاد يقدر على
تجسيدها لانها صورة موهومة تحملنا على الاعتقاد
بان المرأة في هذه القصيدة او غيرها ، رمز على هذا
« العالم المثالي » الذي يشقى الشاعر في سبيل
تحقيقه ويريده خلاص امته ، وهو عالم لا يزال عسير
التحقيق ، وقد عبر عن ذلك في هذه الابيات :

اريدك في الحب شيئا كبيرا

لاني رايتك يوما خيالا

واهواك لا عايات الزمان

تحفر في وجنتيك الزوالا

وليس يضمرك زحف السنين

على كل حي اذا الدهر طالا

ولعل في هذه الابيات القليلة التي جاءت في دراسة
عنه من قصيدة لم تصلنا ، ما يؤكد ما نذهب اليه من
تفسير رمز المرأة في شعره بوصفه وسيلة فنية
تعكس تطلعه نحو عالم مثالي كما قلنا :

لا زورة منك تشفي ما اكابده

من الحنين وتظفي غل اقداحي

على قصائده ، كما انها تعكس عنايته « بالصورة
الشعرية » التي يتخذ منها وسيلة فنية الى التعبير
عن معانيه ، وهي خصائص على كل حال تميز فيه
الشاعر عن غيره من الشعراء الكويتيين ، وسوف
نقف عند هذه الظاهر وقفة متأنية في اخر هذا
المقال حين نتحدث عن الشكل الفني في اشعاره .
وبهنا هنا هذه المعاناة وهذا الشعور بالفقد الذي
يغلب على معاني القصيدة والذي يتجلى في هذه
الابيات الحلوة المؤثرة التي يقول فيها :

كل شيء ها هنا ضاع .. تقضى .. وتغير

وامحي ما كان بالامس من الايام اكبر

سكرة المصفور في الروض اذا ما الصبح اسفر

وارتعاش الزهرة الشمسوى عليها الظل نور

ونيف الثلج في « عاليه » هونا يتحدر

وانا احضن عينيك بروحي ، يا حبيبي !

وقد مضى الشاعر على هذا النحو يتخذ من
وصف مظاهر الطبيعة التي انقضت وزالت ، وما
يرتبط بها من كائنات وطيور ، وسيلة الى التعبير
عن احساسه بالفقد العاطفي : فالمصفور والطلالة
الصباح وارتعاش الزهرة ، ونيف الثلج ، كل تلك
ظواهر طبيعية تحدث في اوقات وظروف معينة ،
وهي ظواهر دقيقة لا يكاد يلتفت اليها الناس في
حياتهم العادية ، وانما يرون بها ولا يرونها . اما
الشعراء من ذوي الاحاسيس المرهقة فانهم يفتشون
عند هذه الظواهر الدقيقة وتفاصيل متناهية ويوتفون
الناس معهم ويحولونهم على الالتفات اليها بفضل ما
يكشفون عنه من العلاقات الدقيقة التي تربط بينها
وبين الحياة الانسانية في شتى مظاهرها العاطفية
والنفسية . واي شيء ادعى لحزن الشاعر من صيت
المصانير وسكون الزهر وانتشاع الظل عن النور ،
وانتطاع الثلج عن السقوط :

ايه عاليه ، ايا وجها من الخلد جيلا

صبح القتان قد بات بعيني اصيلا

لم يعد كاسك يروي بين جنبي غليلا

كلما ايقنت اني مزع منك الرحيلا

كيف لي ان اهرج الروض ، واشتاق الطلولا

ورياضي بين خديك على البعد ، حبيبي !

(هـ) وقد تجلى المظهر الثاني الذي راح الشاعر
يعبر به عن مثاليته في صورة ايجابية تتمثل في رفضه
لكل مظاهر الحياة الزائفة من حوله ، واضافته
« المثالية » على كل ما يعرض له من امور . وقد
ظهر هذا المنحى في قصائد عديدة منها « الطبل »

ولست يوما الى مرآك مهتديا

ولو جعلت من الاقمار مصابي

من انت ؟ يا حلما قد بات محتجبا

في مهمه من سراب الغيب مزاح

كيف السبيل الى دنياك يا املا

تهفو لشاطئه اعماق ملاح

ونستطيع اذا ما تركنا الشاعر وعالمه المثالي الى الجانب الفني من اشعاره ، ان نميز فيها ، من حيث الشكل ، بين القديم والجديد فقد صاغ اكثر هذه الاشعار على النمط التقليدي ، ولكنه استطاع ، رغم ذلك ، ان يتطور بموسيقاه في بعضها تطورا اقترب فيه من الشكل الشعري الجديد اقترابا واضحا . وقد غلبت على قصائده التقليدية هذه الموسيقى البطيئة التي تحمل القاريء على ان يمد في انغماس « التعميلات » مدا غريبا كأنه يطيل تذوق المعنى واجترار الاحاسيس . وقد لاحظنا من قبل شيئا من ذلك في شعر « صقر الشبيب » وعللنا له بانه من آثار آفته التي كانت تحمله على ان يبطىء بانغماس اشعاره بطئا مقصودا ليتيح بذلك لنفسه املاؤه على الذين كانوا يقومون له على كتابته من الاصحاء ، وقد غلب هذا البطء الموسيقي على شعر « الوقيان » في قصائده التقليدية التي يدور أكثرها حول تصوير ضياعه وغربته ، او قل حول تصوير مأساته ومأساة قوميه مثل هذه الابيات المؤثرة :

اني لاشقى حين اشقى

للبحرين كاتهم غرقى

مجدافهم في اليم منظم

وشراعهم في لجة شقا

او في مثل هذه الابيات من تصيدة له بعنوان « الطبل » يكشف فيها عن هذا الزيف الذي يغلف الحياة من حوله :

علاك الوهم فاضطربت خطاكا

فما اندركت من امر مناكا

اراك الجهل انك في مقام

علا فوق الكواكب فاصطفاكا

وانك قد سموت الى سماء

ومجد ليس يدركه سواكا

الا يا اجوفنا من كل معنى

غدا كالطبل حسبك ما دهاكا

ولا نجد تفسيرا لهذا البطء الموسيقي سوى ما نعتقده من انه نتيجة لمايشته الطويلة للشعر

العربي القديم بحكم دراسته الجامعية . وهو بدء على كل حال لا يحجب معانيه عن قاريء اشعاره بل على العكس فانه يتيح لهذا القاريء ، احبائنا ، الطريق الى تفهم معانيه وتذوقها . او قل ان شئت ان تربط بين طبيعة الشاعر وفنه ، انه صدى لهذا الهدوء الذي يتميز به « خليفة الوقيان » في سلوكه ، فلم اره يوما ينور ، كما يفعل اكثر الناس ، في حوار او مجادلة وان كان يحترق في داخله احتراقا .

ولقد حققت هذه الاشعار القليلة تطورا له قيمته في الشعر الكويتي الحديث ، ينهل في مظاهر مختلفة ، اولها حرص الشاعر على المواءمة بين الشكل الفني والمضمون لاشعاره ، وبعبارة اخرى ، ان هذا الالتزام الانساني الذي راينا الشاعر يحرص على ترديده في قصائده على اختلاف موضوعاتها ، لم يحل بين شعره وبين الفنية الخالصة التي تحمل القاريء على الاحساس بالتمعة وتذوقها ، وهذه صفة يفتقر اليها بعض ما درسناه من الشعر الذي علت فيه حدة الالتزام على نفمة الفن ، وقد كان طريق الشاعر الى هذه الفنية العناية بالتصوير الشعري ، والتغم الموسيقي واضفاء قدر من الغفوض على معانيه وهذه كلها أدوات معروفة لدى الشعراء المجيدين الذين يقفون على المزج الفني بين الشكل والمضمون في قصائدهم .

والصورة في شعر « خليفة الوقيان » ليست مجازا خالصا ، وان جاءت على هذا النحو في بعض اشعاره ، ولكنها خليط من المجاز والواقع الذي انصهر في بوتقته الشعرية وامتزج بشاعره ابتزاجا جعلها تخرج في هذا الشكل « المكثف » القادر على الإيحاء والتعبير والامتاع . ولقد راينا فيها مضي الواسا من هذا التصوير الشعري في قصائده التي عرضنا لدراستها والتي تتصل بتصوير ضياعه وغربته . ولا بأس من الوقوف هنا مرة اخرى ، عند « البحرون مع الرياح » ، وهي قصيدة اعتنق للقاريء الكريم من تكرار الإشارة اليها في هذا المقال :

اني لاهوى ان ارى قبيبا

بين النجوم لمالم ارقى

حيث التفت فقم ساجعة

تسقي الهوى من سلسل رقا

الارض للانسان يعمرها

وعلى معارج وعمرها يرقى

يسمى ليفرس في مرابعها

حبا ، ويحصد جنبها رزقا

لا الظلم ، لا الإحزان تسحقه ، لا محنة من كاسها يسقى
لكنني أتى بجنا قسدر

يوما على مكروهة ارقسى

لا تأسر الإحلام ساجرة

لبي ، ولست أخالها صدقا

استقي سراج الركب مفتطا

من ثوب انفاسي وأن اثسقى

وواضح ان هذه اللغة المجازية التي يصوغ فيها
صوره الشعرية لم تحل بين هذه الصور وبين الاقتراب
من واقع الحياة من حوله ، ومن ثم فلم تأت على
شكالة هذه الصور الموهومة وليدة الخيال التجريدي
المحض على نحو ما نجد في كثير من قصائد الشعر
الحديث ..

وعناية الشاعر بالموسيقى واضحة في اشعاره
جيمعا ، وان كانت الرنسية او ما سميناه « البطل
الموسيقى » قد غلب على بعض قصائده التقليدية ،
الا انه في قصائد أخرى قد استطاع ان يبرز هذه
العلاقات الصوتية بين اللغة والمعنى حيناً ، وللغة ،
في مفرداتها بعضها وبعض حيناً آخر . وقد جنبه
ذلك المنحى الفني الوقوع في « التنرية الموسيقية » ان
صح هذا الوصف الذي يقع فيها بعض الشعراء الجدد
الذين استحالوا اشعارهم الى انغام فائرة مملّة
عارية من كل ما يميز الشعر الجيد لغة وفنّاً ، ولا
نحتاج الى الوقوف عند قصائد أخرى له فقد عرضنا
لكثير من شعره فيها مضى ، ولكننا نقف هنا عند
هذه الابيات من قصيدة عن « عاليه » يقول فيها :

كم غنينا غفلة الدهر ولهو الحادثات
فاختطفنا من يد الايام اشهى التفحات
وجنينا كل دان واطرحنا كل آت
وسقينا زهر الاحلام احلى التفحات
سوف لن يبقى سوى الليل وهمس الذكريات
.....

ايه « عاليه » ايا وجها من الخلد جيبلا
صحبك الفنان قد بات بعيني اصبلا
لم يعد كاسك يروي بين جنبي غليلا
كلما ايقنت اني مزعم عنك الرجيلا
كيف لي ان اهجّر الروض واشتاق الطلولا !

وينبغي ان نلاحظ هذا « التعقيد الموسيقي » الذي
عمد اليه الشاعر ليشيع الانغام الموسيقية المؤثرة
في القصيدة جيمعا - وهو تعقيد او قل تنوع موسيقي
يشان من امتزاج الانغام الداخلية بالانغام الخارجية

التي تتمثل في تنويع التوافي في كل مقطع من مقاطع
القصيدة .

ولقد اشرنا من قبل الى ان هذا الغموض الذي
يضيفه الشاعر على معانيه غموض فني يعود ، قريبا
نعتقد ، الى امر له قبيته هو ان الشاعر يتطلع الى
عالم مثالي لا يكاد يجد له نظيرا في الحياة من حوله .
وهذا التطلع الى عالم « مجهول » من شأنه ان يجعل
الشعراء اذا ما اخلصوا في الحديث عنه وعما ينطوي
عليه من مثالية الى غموض في صورهم ومعانيهم ،
ولكنه كما قلنا من قبل غموض موح يشف عما
وراءه من معان واحاسيس . وتبدو قبيته هذا « الغموض
الفني » اذا ما قيسست اشعار « خليفة الوقيان » بهذا
الوضوح المسرف في بعض قصائد الشعر الحديث .
وهو وضوح يعطل الفن الشعري ويسلبه اهم خصائصه
الفنية التي تجعل من الشعر ميدانا خصبا
لتفسيرات مختلفة ترضى القراء على اختلاف ادواقهم
الفنية . ولكن هذا الغموض قد يستحيل ، اذا ما اسرف
الشعراء فيه ، الى معان وصور مستغلفة يضل فيها
القارئ ضاللا ، وتصبح انغام هذا الشعر قليلة
التأثير فيه . وقد وقعت بعض قصائد الشعراء
ضحية لهذا الغموض المستغلق ، واستحال انغامه ،
بسبب ذلك ، الى رؤى مظلمة لا يكاد المرء يجد طريقته
الى فهم معانيه ، من مثل قوله في قصيدة عن « الليل »:

ايها الليل وبيا كهف الشجون
يا سراب التيه في بيد الظنون
يا مآهات الرؤى وبيا وجه غيب
يا جبين الشك والسر الدفين
كم تسلقت الى مراك وهما
ولكم اغرقت في الحروب سفيني
ان تكن ابقيتني للشك نهبا
فلكم يا ليل اشملت حنيني
سرك الفراق في اعمالي بحر
عبر افوار النى خلف القرون

وهذه كما نرى مواليف رومانسية غائبة ، كل
قبيتها في ما تحيله اليها من اسى الشاعر وضياعه
- ولكنها شان المواليف الرومانسية المسرفة غائبة -
وهو يفكرنا في هذا الشعر وامثاله بهذه الموجة من
الشعراء المحدثين الذين تغلب « الطرطشة العاطفية »
على احاسيسهم ، وقد راينا نموذجاً لهم في « عهد
الشك » الذي استحال انغامه الى رؤى حزينة .

ويجلى المظهر الثاني للظنور في شعر الشاعر في
بعض القصائد الوجدانية التي ندرج تحت ما

والبلى ابصرته رأي العيان
ويدها تسجان العنكبوت

صحت يا ويحك تبدو في مكان
كل شيء فيه هي لا يموت !

وجدة هذه المعاني تتمثل في « هذا التصوير
البائس الرائع الذي يجسم المعنويات اروع تجسيم
واقواء : فالبلى يبصره الشاعر رأي العيان ، ويدها
تسجان العنكبوت ، وهو يسمح اقدام الزمن ، بل
خطى الوحدة فوق الدرج ، وكل ذلك فضلا عن
هذا الجو الروحي الزاخر الذي تسبح فيه القصيدة
كلها ، فتنفذ نسباتها الى النفوس بأسى مشج يبلغ
في قوته رغم رهافته قوة العاصفة التي تثير الوجدان
وتحرك اعناق الناس » .

وقد سار « خليفة » على نفس الدرب في
تصانده الوجدانية ، وان كنا نأسف لان ما لدينا منها
قليل ، وهي تصائد حرص فيها على الوقوف على اطلال
حبه الذي انقضى ، ونقف هنا عند قصيدة له نعددها
من اعذب الشعر الوجداني في الكويت ، وارقه
لغة وادله على هذا التطور الذي اخذ يجد على لغة
الشعر الكويتي واساليه وموضوعاته :

وجئت اليك يا « بيروت »

تخيلني صباباتي ،

اتيتك يا ابتسام الصبح

في ليال تفتشاني .

ويا وجهها ربيعيا

يبدد كل احزائي ،

فاين الحسن يا بيروت ،

اين جداول نشوى !

تراقص حولنا تشدو ،

واين الوجد والتجوى !

وقد اتسعت مشاعر الحب في هذه القصيدة
حتى امتزجت بكل مظاهر الطبيعة من حول الشاعر ،
وهي مظاهر راح يتخذ من وصف ما اصابها من تغير
وتبدل في العواطف والاحاسيس ، صورة لما اصاب
نفسه من جفاف نفسي وفقد عاطفي ، في تعاطف
انساني حمله على ان ينظر الى هذه الجمادات
من الزهر والتلج والربى والكاسات والحجارة
والدروب نظرتة الى كائن انساني يحس ويشعر بما يتبع
له وما يحدث منه ، فيقول :

فلا عاليه باساة !

كما كانت تلاقينا ،

يعرف في الشعر العربي القديم «بالوقوف على الاطلال» .
وقد استحلال بكاء الاطلال في مقدمات القصائد القديمة ،
وخاصة في المعمرين الابوي والعباسي ، الى مجرد
تقليد فني لا يتصل ، في اكثر الاحيان ، بموضوع
القصيدة الذي تدور حوله معانيها ، ولكن هذه المقدمات
قد اخذت ، شأن موضوعات الشعر الاخرى ،
تتفصل عن الشكل القديم لتصبح هي الاخرى
موضوعا خالصا لتصانده الشعر الحديث . وقد اخذ
هذا التطور يظهر في الشعر القديم منذ العصر الابوي ،
وظهر اكثر ما ظهر في بيئة الحجازيين الذين خلصت
اكثر اشعارهم للغزل بنوعيه : الصريح والمعزري .
واذا كانت حركة التطور في الشعر الابوي الغنائي
قد انتهت الى انفصال الغزل عن مقدمات القصائد
لتصبح وحدها موضوعا للقصيدة الشعرية الغزلية ،
فانا واجدون في الشعر تطورا آخر هو انفصال المقدمات
الطلبية لتصبح هي الاخرى موضوعا شعريا خالصا .
وهو تطور فني قد اخذ يظهر في الشعر الحديث منذ وقت
مبكر ، ولدينا منه نماذج جيدة في شعر « ابراهيم
ناجي » وهو يعد بحق من رواد الشعر الرومانسي في
مصر . وقصيدته « العودة » من امتع القصائد
في هذا الباب الجديد ، وتدور القصيدة حول تصوير
احاسيسه وقد عاد الى دار حبيبته فوجدتها قد تغيرت
فانخذ من وصف البلى الذي اصاب اثار هذه
« الحبيبة » وسيلة الى نقل احاسيسه الاسبى فقال :

هذه الكعبة كنا طائفيها

والصلين صباحا ومساء

كم سجدنا وعبدنا الحسن فيها

كيف بالله رجعتا غرباء

دار احلامي وحبي لقيتنا

في جمود مثلما تلقى الجديد

اتكرتنا وهي كانت ان راتنا

يضحك النور الينا من بعيد

رغرف القلب بجني كالخبيخ

وانا اهتف يا قلب اتلد

فيجيب الدمع والماضي الجريح

لم عنديا ليت انا لم نعد

موطن الحسن ثوى فيه السلام

وسرت انتافسه في جوه

واناخ الليل فيه وجثم

وجرت اشباحه في بهوه

وتحضننا ، تدلننا ،
توشوشنا ، تناغينا .
ولا الكاسات ضاحكة ،
على حافاتنا الحب
ولا زهر الربى زاه ،
ولا اللذات تنتهب .
تجهم ثغرك الممسول ،
جفت فوكة القبل ،
ونام الثلج فوق الدرب
لا دفة ولا شمل !

وهذا التطور البياني له قوته وأهميته ، لأنه
يطلعننا كما قلت على ما أخذ يجد على الذوق
الشعري في الكويت من تطور يمس الشكل والمضمون
ويكشف عن هذه العلاقات الثقافية الثابتة بين
الحركات الشعرية في الأقطار العربية المختلفة .
ولا يسعنا إلا أن نضي مع الشاعر في هذه الأبيات
التي يجسم فيها أحاسيس الفقد العاطفي من طريق
استنطاق هذه الجمادات :

**وعدت أسائل الإحجار عن درب
قطعنائه .**

وعن شيء بقلب الصخر ،
كنا قد غرسناه ،

وشيء لست أذكره ،

وشيء لست أنساه ،

وشيء سوف نقرؤه

إذا عدنا ،

ونلقاه .

ورحت أداعب الحجر

بكفي انشد الخبر !

واسأل عنده أثر

لشيء كان فاندثرا .

أسأله فيضطرب ،

أعاتبه فينتحب ،

أقبله فيرتعب ،

غريب ، ليس يعرفني ،

وحيدا حين القاه !

وهل هناك ما هو أدل على أسى الشاعر من
هذه الغربة التي يحسها حين يعود إلى أطلال حبه
فلا يجد هذا التعاطف الذي كان يحسه في ماضيه
الغريب ، فقد ضاع الماضي ، ونكره الصخر الذي

كان يهش لرؤيته ، لأنه كان يعرفه محباً بمقبلاً على
الحياة ، وأحرى به أن ينكر ما طرأ على حياته
من فقد عاطفي جمل « هويته » تضيق منه . وقد
ختم الشاعر قصيدته بهذه الأبيات الحلوة التي تصور
فيها مودته وحيدا حزينا :

وعدت بعثر الخطوات

تنفر دوني الطرق .

وتدفعني وتجذبني

ظنون ما بها رمق .

انتكزني زهور الدرب ،

والأحجار والشجر !

ولكن لست أجعلها ،

عليها بعض آثارني

وفيها كل أسرارني

ومن سحر بها أترعت يوما

كأس سمائي !

وهكذا استطاع الشاعر أن يتخذ من حبه
في هذه الصورة الأسية رمزا على الحياة من حوله
بكل ما فيها من ظلم وغدر وزيف وضيق .

فإذا ما تركنا هذا الجانب من التطور في شعر
الشاعر إلى تطور آخر يتصل بلغته وأسلوبه
لأخلاقنا أميين : أولها ، حرص الشاعر على تجويد
لبغته الشعرية بحيث نستطيع القول بأنها بلغت في
أشعاره الجيدة درجة من النقاء اللغوي تميزها من
لغة غيره من الشعراء الكويتيين . ولعل ذلك راجع
أيضا إلى هذه المعرفة الوثيقة بالثقافة العربية
في نماذج الشعرية الجديدة بحكم دراسته الجامعية
كما قلنا - وهذا أمر له قوته وخطره لأنه يدلنا
على قدرة الشاعر على أن يقيم هذا التوازن الدقيق
بين الشكل والمضمون فلا ينساق وراء نماذج
الشعر الحديث التي يتجرأ فيها بعض الشعراء على
التقاليد اللغوية المخررة ، مما يجعل هذه الأشعار
تبدو في صور لغوية بشوشة ليس فيها هذا الجلال
اللغوي الذي يمتاز به كل نص جيد تدار على البقاء .
ولكن هذه العناية اللغوية لم تمنع الشاعر من
أن يقع ، شأن غيره ، في بعض الأخطاء التي
تخالف روح اللغة العربية من مثل قوله :

أني سأل شقكم إذا حرقت

أجفانكم بأزاهري رشقا

وقوله : « ... أما سرت غريبا وإن شرقا » .

ولا نعرف كيف يتسنى للشاعر أن يرشق هؤلاء

جد على الشعر في الكويت من تطور فني في احدث
نماذجها واجودها ، واذا كان هناك ما اتوجه به الى
الشاعر فهو ان يبادر الى نشر هذه الاشعار
في ديوان يضمها جميعا على اختلاف موضوعاتها،
والا يحول بين تصائده الوجدانية وبين هذا الديوان
كما فعل فيها اخذ ينشره من اشعار .

الدكتور ابراهيم عبدالرحمن محجد



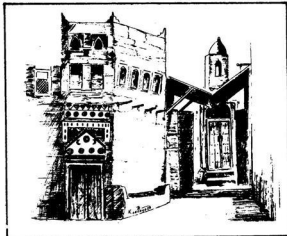
المبحرين الحيارى بازاهره رشقا الا اذا كان يريد الى
قتلهم ! وهو تعبير على كل حال مألوف في اللهجة
اللبنانية ، واظننه بجاف لروح العربية في نصوصها
الجيدة .

والامر الثاني الذي نلاحظه قدرة الشاعر على
نقل صفات الاشياء بعضها الى بعض نقلافنيا
وجباليا دقيقا - وهو تطور لغوي اخذ يفزوا
الفن الشعري في العصر الحديث ، وقد راينا صدى
له في الشعر الكويتي الحديث عند « فهد العسكر » -
ومن العبث ان نقف هنا عند نماذجها المختلفة في
شعر « الوقيان » فهو صفة غالبية على لغة الشعر
الحديث ، وتعرف في النقد بتراسل الحواس .

ولا يسعني وانا اختتم حديثي عن هذه المجموعة
القليلة من شعر « خليفة الوقيان » الا ان اعترف بانه،
في لغته واساليبه ورموزه وصوره ، صورة لما



● هذه لحظات خاطفة عن الماضي
القريب قد تبدو بعيدة عن التصديق،
بالرغم من أن المسافة الزمنية لا تزيد
عن ثلاثين عاما .. إلا أن الذين
عاشوها يدركون مدى حقيقتها ...
والمهم هو أن نتذكر أن ثلثي سكان
هذه المعمورة لا يزالون يعيشون — في
بعض الحالات — حياة مشابهة —
وفي أغلب الحالات — حياة أسوأ
بكثير .. فلنعجب لتغير الظروف ..
ولنعجب .. ولنشعر مع الآخرين ..



المنال الصعب

<http://Archivebeta.Saknrit.com>



قصّة
بقلم
علي زكريا الأنصاري

والكيباء العربية والسحر ... وكانت تسليية محسن
للجوهر الى هذه الغرفة الصغيرة القصية المنزلة كلها
عز اللعب وانفتت فرص اللهو .. يقلب هذه الكتب
ويقرأ فيها ما قدر عقله الصغير على استيعابه حتى اذا
دب فيه ديبب الملل وعجز ذهنه عن متابعة ما يقرأ
او تقبله ، التفت الى هوائيه المحببة .. النقل من هذه
الكتب بأجود ما يستطيعه من خط .. كان يشتري سن
الريشة النحاسي ويحرق طرفه ليسهل له الاحتفاظ
بالحبر وليكون طيعا في الكتابة .. ثم يثبت بقبض القلم
ويغمسه بالحبر الاسود او الأزرق او الأحمر او
البنفسجي .. وكان يعد الحبر بنفسه .. يشتريه
مسخوقا .. او كتلا يسحقها ثم يخلطها بالماء .. وكان

كان الوقت عصرا .. وكان الصغير محسن جالسا
على مكتبه .. وهو مكتب بسيط للغاية .. مقعد صغير
لا ظهر له .. وطاولة عادية جدا من الخشب في حجرة
صغيرة لا تتعدى مساحتها ثلاثة أمتار مربعة .. قائمة
في ركن قصي من حوش بيت عربي قديم ، ولا تكاد تشتمل
هذه الغرفة الصغيرة على أي اثاث اخر عدا دولاب
صغير مثبت بالحائط لا تكاد تفتح حتى تنوح منه
رائحة الجص لعدم وجود منافذ للهواء فيه .. ويشتمل
داخله على رفين فحصب وقد كدست عليها الكتب
القديمة الصفراء والحراء وبعض المخطوطات تكديسا
... وهي كتب تتحدث عن الأدب والاخلاقيات والفقه
الإسلامي والقصص الدينية والطب العربي القديم

بصوت اخته الكبرى ثادي عليه من الطرف الاخر من الحوش .. فانتبه اليها وتبخرت احلامه التي كانت تملأ دنيا خياله منذ لحظة ..

— باللا محيسن .. الطشت جاهز .. باللا بسرعة.

وكان يبتك اخته وهي تصفر اسبه هكذا ... ولكنها ليست خيرا من بقية افراد العائلة فكلهم ينادونه بهذه التسمية ... وهو لا يحتج عليها لغرط ما تكرر على مسامحه ... وحتى لو احتج فان احدا لن يصني اليه ... فليس له الا الخضوع للامر الواقع ... وخرج مكرها الى الحوش .. وكانت اخته واقفة على الطشت في انتظاره لتحييه في شمس الربيع الساطعة الدافئة ... وكانت قد احضرت عدتها ... دلوا مليئا بماء البئر شبه المالح .. ومسحوقا من السدر وليثة .. وقطعة فخر .. وقوطة قديمة ... انه لا يستطيع الامتناع .. او الاحتجاج ... فان غدا العيد .. ولا بد من الاغتسال .. وكان اخوه الذي يصغره بعامين قد فرغ من الاغتسال منذ برهة .. والدور الآن عليه ... وامثل لاخته مطيحا .. متجاوبا مع ما يفرغه عنها من خشونة الطبع ووعورة الاخلاق ... واستسلم لليثة وهي تفرك جسده بخشونة تكاد تنزق جلده تهزينا .. فصر مكرها ... وهل يسمعه غير ذلك ؟ ... ولم يزل ذهنه ان عاد الى احلامه السابغة ... وهم في ما ينظره في الغد من مباحج العيد ... سنكون الشوارع مكتظة بالناس رجلا ونسبأه واطفبالا وقد ارتدوا الملابس الجيدة بالوانها الزاهية البهيجة .. وتخل الحوانيت وقد تكسست فيها البضائع من كل نوع ولون .. والمراجيح .. والالعاب الجميلة التي يهفو لها القلب .. والمأكول الشهية التي يتحلب لها الريق .. ولكن .. ان صورة قلم الحبر تتلألأ في ذهنه وتكاد تطغى على كل ما عداها من صور .. لن تهمل كل هذه المغريات ولن تنبيه عن عزمه في محاولة الحصول على قلم الحبر ... ويفضله اسود اللون .. لماعا .. ودفعته اخته بيدها وصاحت به ..

— مالك سارح هكذا .. بماذا تفكر ؟ ..

وانتبه اليها واجاب

— لاشيء ...

ومضى في تأملاته غير عابىء بمضايقات الليثة وهي تفرك بقوة جسده الطري .. وبالسدر يدخل احياتا الى عينيه فيحرقهما ويدمعهما .. وبالماء يسكب على انفه يكاد يمتسه من التنفس .. وبالبرودة تسري احياتا الى بدنه ... وانتهت اخته اخيرا من مبهتها فخرج من الطشت وجفف جسده وشمره

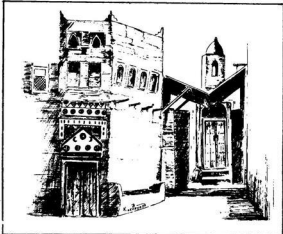
ينجذب الى هذه الالوان الجميلة وهي تلون الصفحة بالتدرج انجذابا عجيبا ... ويجد راحة نفسية كبيرة ومتمعة لا تعادلها متعة كلبا جرى قلبه على الصفحة البيضاء المتقلبة ينقل مسطورا من النثر او الشعر مما يقع تحت يديه من كتب ورثها في خزانته الصغيرة ، فمشرحه الحروف التي تنساب بها الريشة بعد ان اتخذ شكلها النهائي بالوانها القوية الباهرة السوداء او الزرقاء او الحمراء او البنفسجية ... ولا يكاد يشعر مع هوايته هذه بالوقت .

شرد ذهن صغيرنا في ذلك اليوم وهو ينقل ما املهه من كتابات ، يغيب عن ذهنه الصغير كثير من معانيها البعيدة .. كانت هنالك امنية عزيزة تشغل باله وتراود احلامه .. وهي ان تشتعل اصابعه على قلم حبر حقيقي بدلًا من هذه الريشة العادية التي عفا عليها الزمن .. كان قد سبق ان شاهد زميله محمود في المدرسة وهو يستخدم قلم حبر اسود انيقا .. وقد استعاره منه مرة لتجريبه فدهش لسهولة انسيبائه على الورق دونما توقف ودونما حاجة الى الفس في الحبر بين الحين والحين كلما جف المسطر .. فان هذا الاختراع الجديد الذي نزل الى الانساق في ذلك الوقت يحمل داخله خزانًا للحبر يكفي اياما واياما .. اين ريشته العسادية من هذا القلم الجليل الذي يخط ريشته الطيبة الناعمة على الورق مسطورا وسطورا دون ان تجف او تتلصق او يصيبها الخلل ... ولكن من اين يأتي بالمال ؟ .. ان ثمن قلم الحبر باهظ .. ثماني آتات .. وهذا مبلغ كبير .. ولكن مع ذلك من يدرى ؟ .. فغدا العيد .. وقد يوائيه الحظ جميعه مما يحصل من عبيديات .. انه سيضم الببزة على الببزة .. والآلة على الآلة حتى يتجعب لديه المبلغ المطلوب .. ولا شك انه سيواجه صعوبات ... ان النهائي آتات بالنسبة اليه ثروة طائلة ... ولا بد من تضحيات في سبيل تجميعها ... ولذلك فانه يجب عليه الضغط على نفسه كثيرا ومقاومة اغراءات العيد ... يجب الا يشتري ما يروق له من الالعاب .. ويجب الا يشترك مع زملائه في تاجير الدراجات التي تتركش خصيصا للمعيد ... ويجب ان يحرم نفسه من ركوب الحمبر المزينة بالحناء مع « رب الفريج » والتجول بها في الشوارع ... ويجب ان يبيع نفسه من الجلوس القرفصاء عند بائعة « الباجلا » او « اللوبيا » في الصفاة ليأكل مع الاكلين ... وسيستاموم باستمرار الرائحة الزكية التي يعبث بها القدر كلما رفع الغطاء وتعالى الدخان .. ويجب ان يفيض الطرف عن الحلويات المختلفة التي يتفنن بالتموها في صفها وعرضها حتى لا يقع المحذور فتضعف النفس ... وتوحيء وهو لاه في هذه التخليلات

وارتدى جلبابه وجلس على الحصر تحت اشعة الشمس المشرقة ، فغرى الدفء في كيانه وشعر براحة نفسية .. ويشعور داخلي ميقق بالنظافة النابعة .. ووصل الى مسامعه بعد قليل صوت المؤذن وهو يعلن صلاة العصر ... فذهب من مكانه متوجها الى الجامع الذي لا يبعد كثيرا عن بيته قبل ان تنوته ركعة من صلاة الجماعة ... وكان النشاط والسعادة والتفاؤل والايمان تغمر كيانه جميعا .



امتنع محسن عن اللعب مع اترابه بعد صلاة العصر كما جرت العادة .. وذلك حتى لا يتسخ جسمه ويبقى على نظافته استقبالا للعيد ... ولم يزل ان عاد الى منزله وانزوى في حجرته المتواضعة .. واستأنف مزاوله هوايته ... التقلب في الكتب والقراءة فيها ثم الفتل منها بعناية وجودة حتى حان المساء ... وتناول عشاءه البسيط بعد صلاة المغرب واجتماع شبل العائلة .. امه وابيه واخوته .. ولم يتعد العشاء رغيفا من الخبز وشيئا من الفول وترا وشايادون حليب ... وكان ينير الغرفة سراج زيتي باحت الضوء ... وليس فيها من الاثاث الا بعض « الحصران » و « المطارح » القديمة على الجوانب وسجاد ايراني حال لونه من التسم .. وبعض غرش النوم مكدمة في زاوية من زوايا الغرفة ... اذ ان هذه الغرفة تستخدم للاكل والجلوس والنوم .. وبعد صلاة العشاء احضرت اخوته العشاء ومشائات بها يديه ثم ستمتها وربطتها بقطعة من القماش .. وعملت لآخيه الذي يصفره بعامين ما عملت له ..

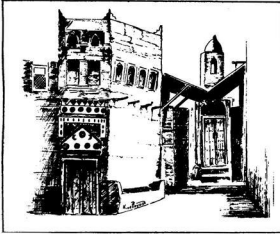


وتوجه بعدها الى فراشه مبكرا على غير العادة .. ولم يكن فراشه سوى مرتبة ومذدة ولحاف ... على الارض ... وهكذا فعل اخوه الصغير .. وراح يحاول جاهدا النوم وافكاره تطوف فيها يمكن ان تحله سحابة يوم العيد .. الملابس الجديدة .. العيدية .. وصلاة العيد .. ومباهج العيد في الشارع .. وزحام الناس .. والصخب .. والزينات .. الا ما كان يقلقه حقا هو الحصول على ثماني آتات وشراء قلم الحبر .. فالعيد هو فرصته الوحيدة التي يمكن ان يحصل بها على ثروة بهذا القدر .. وبالسعادة لو تحققت هذه الامنية واصبح مثل هذا القلم في حوزته ... وغرق في هذه الانبيات السعيدة وهو يراقب بصميم نور القمر الذي اخذ يتلصص من الشباك حتى غلبه النوم ..



استيقظ محسن مبكرا على هزة من يد امه .. ومد اليها يديه لتعينه على فك رباط الحناء منها ... وذهب الى الحمام وتخلص من عجين الحناء .. ثم اطلق بالدلو في البئر وملاها بالماء وسحبها .. فغسل يديه واخذ يتألمها في نور الصباح الخافت فبدت مصبوغتين بلون بني مائل الى الحمرة .. فسد بها اي سعادة .. ثم توشأ وتوجه الى غرفة والديه وتقدم الواجب فقبيل والدته ثم قبل والده وتبادل معها التهنئة بالعيد ... وسلته والدته كسوة العيد الجديدة وقد فاحت منها رائحة الصندوق « المبيت » القديم لطول ما احتفظ بها فيه .. جلباب .. وكوفية .. وسترة .. ونعال مزخرف .. ولبسها في الحال .. وبحركة اوتوماتيكية متلهفة مد يده الى جيبه الايمن فاكشف كما كان قد توقع .. المندبل وهو معقود على العيدية على شكل صرة ... وودع والديه وخرج من الغرفة ففتح الصرة بصبر فارغ واكتشف عيدية الولدين ... آتتين ! لم يفرح بها الفرحة الكاملة فقد كان يتوهم اربع آتات .. فهو الان قد تخطى العاشرة ... وهذه العيدية بالذات شيء هام عنده .. وخصوصا في هذا العيد لان على اساسها يمكن ان يتقرر مصير ابنه في شراء قلم الحبر ... ولكنه مع ذلك لم يفقد الامل الكامل .. فهناك اخوه الكبير الذي يعيش في بيت اخر ... وهناك اخته الكبرى المتزوجة ... وبعض خالاته واقاربه ... ثم ان هنالك بعض الجيران ممن لهم صلة قوية بالعائلة ... ولكن مشكلته انه ابي النفس .. جبول .. فهو لن يعتمد زيارته هؤلاء لمعايذهم حتى لا يظن بان الغاية هي العيدية .. بالرغم من شدة الحاجة اليها .. وفي هذا العيد بالذات ... وسيترك الامور للصدف علما تكون في جانبته ...

وخرج من البيت قاصدا الجامع لاداء صلاة العيد ..



كان الجامع مكتظا بالناس وقد علت اصواتهم بالدعاء .. وقد استطاع بصعوبة ان يجد مكانا .. واعتم في ان يفسح نعله الجديد تحت بصره حتى لا يفتقده في غيرة الزحام ... ولاحظ ان الجميع تقريبا متجلببين بجلايبات جديدة .. وصلى ركعتي السنة .. ثم اخذ يردد الدعاء مع الداعين ...

الله اكبر .. الله اكبر .. لا اله الا الله .. والله اكبر .. والله اكبر والله الحمد ..

وبالرغم من صغر سنه وعدم اكتمال مداركه فقد شعر بالرهبة حينما اخذ يتلو الدعاء مع الآخرين .. وحاول جاهدا ان يتنل ما يتلوه وان يخضع الخشوع الكابل لذكر الله ... الواحد .. الخالق .. القوي .. القادر .. المهيمن على كل شيء في هذا الكون .. هكذا لقنه معلمه .. ثم عليه ان يتصور في غمار ذلك احوال يوم القيامة ... كما وصفها له معلمه .. ثم الساعات الحاسمة في حياة الانسان حينما يجاسب على كل صغيرة وكبيرة ارتكبها في حياته الفانية ... حتى ينتهي به المطاف الى السراط الذي هو ادق من الشعرة واحد من السيف ... فان كان من الانقياء الاطهار سهل له العبور الى الجنة ليكافأ على اعماله الخيرة ... ويتنعم فيها بالتعليم المتين حيث يجد فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على بال بشر ... وحيث الرغبات تحقق بمجرد التفكير فيها ... وان كان من الشريرين الجاحدين تعثر وهوى الى جهنم وبئس المصير ليحترق في اتونها المستعر .. وليتعذب جزاء ما ارتكب من معاصي وآثام في دنياه .. وحاول صغيرنا ان يتبع نصيحة معلمه .. وان ينسى مشاغله الدنيوية .. وان يخضع .. وان يجعل افكاره تدور في محيط .. الله .. والقيامة .. والحساب .. والجنة والنار .. ولكن ضعفه البشري .. والوقت الطويل .. جمعلا ذهنه يشرد متعجلا الابور .. منشغلا في هوموه الصغيرة متثلا ما يمكن ان يواجهه من مظاهر العيد بعد انتهاء الصلاة وتفرق الناس .. وكان قلم الجبر الاسود يتألق بين الحين والحين في سبل هذه الخواطر .. حتى لكانه اصبح حقيقة ملك يديه ...

وقام اخيرا الخطيب واعلى المنبر .. وفتح بين يديه ورقة اخذ يتلو منها خطبة العيد .. وبعد ان بسبل وصلى على النبي وعلى اصحابه ، تناول قصة سيدنا ابراهيم ورواها في المنام بذبح ابنه ... ثم انتشال ابنه لوالده وخضوعه لرغبته .. واستقباله للبوت بصبر وايمان .. حتى اذا حلت اللحظة الحاسمة



واستل السكين لذبح ابنه افندى بكبش عظيم .. وتكلم كثيرا في معاني التضحية المستخلصة من هذه القصة .. ثم عرج على موضوعي الجنة والنار .. واطال الحديث عنهما .. واطنّب في وصفها .. ولجّ الى اولئك الذين ينسون امور دينهم ويخضعون لاغراءات الحياة .. واذكر بان عمر الانسان قصير .. وانه طاريء على هذه الحياة .. وان الخير له ان يعمل لآخرته قبل ان يفوته الفوت وتختطفه المنون ... لان الاعمار بيد الله ... ثم اورد كلاما من القرآن واحاديث من النبي للتدليل على ما يقول ... ولم يكن بالمكان محسن ان يتابع كل ما ورد في الخطبة .. وعاد تلقائيا الى خواطره الخاصة واحلامه .. ولا يدري كم مضى من الوقت قبل ان ينتبه الى الخطيب وقد توقفت فجأة واخذ يبكي .. وينشج ولم يدرك سر هذا البكاء المفاجيء ... ولم يعرف الكلام الذي اثاره .. وابكاه .. وقد شد هذا المشهد المصليين .. وساد الصمت وان لم يبد منهم شاركوا الخطيب تأثره .. ونحيبه .. وبعده قليل استجيع الخطيب نفسه وجفف دموعه .. واستمر في القاء خطبته .. حتى اذا اختتمها اعلن معان : الصلاة جامعة .. فهب الجميع واتفقوا لاداء صلاة العيد ..

- مع جلسات مؤتمر المجمع اللغوي العربي..
- صحافة القاهرة تبجأه لاهل انعقاد المؤتمر..
- كلمة بليغة للاستاذ محمد بركة الأثري
نيابة عن الوفود المشتركة بالمؤتمر .

بقلم / عبد المازن البصير



دهشت كما دهش غيري من أعضاء المجمع اللغوي بالقاهرة لأفعال الصحافة هناك افتتاح مؤتمر مجمع اللغة العربية . ولا يباري احد في انه حدث فكري وقوي له خطره ومكانته ، لان الامة لا يمكن ان يطلق عليها هذا الاسم الا اذا كانت لغتها تتجدد كما تتجدد الحياة . وهذا الامر لا يحصل الا اذا بذل العناء في جميع ميادين المعرفة والحضارة جهودهم في هذا السبيل .

ولما كانت الامة العربية تسكن بقعة نسيحة تهتد من الخليج العربي حتى المحيط الاطلسي ، وكان عصرنا عصرا قصرت فيه المسافات ونهت فيه اللغات بفضل نمو الحضارات اقتضى ان تتجمع كل جهود العرب كما تتجمع روافد النهر العظيم لتصب في مكان واحد فتتكون من جراء ذلك قوة لا تقهر .

ذلك ما يفعله مجمع اللغة العربية بالنسبة الى لغة القرآن ، يجلس اربع جلسات في كل شهر يخصن جلسة للعلوم الهندسية ، واخرى للجغرافيا ، وثالثة للتاريخ ، ورابعة للكيمياء وخامسة للطبيعة .. الى غير ذلك من العلوم والفنون الانسانية ، وسبيل في ذلك ان يأخذ المفردات الاجنبية التي تستجد في كل هذه الميادين ثم يضع ما يقابلها من مفردات في اللغة العربية ، اما ترجمة او تعريفا ، باذلا في ذلك جهودا، ومحتلا بمصاعب لا يعرف مشقتها الا من يصان ما يعانيه اولئك المجاهدون .. وكثيرا ما يتحدث النقاش بينهم ، لان خبراء اللغة العربية وعلماها في المجمع يختلفون فيما بينهم بسبب ما يرونه من ضعف الترجمة

او التعريب ، وبعد ان يفرغ المجمع اللغوي من ذلك كله يبعث بهذه الحصلة الى اعضائه في مختلف البلاد العربية ليروا رأيهم فيها صنعوا ، كذلك تصنع مجامع اللغة العربية فيما يتوصلون اليه من آراء في بعض المفردات ، ثم يعقدون مؤتمرا يشترك فيه كل من يمكن من حضور المؤتمر من الاعضاء ، ومن تمنعه ظروفه فانه يبعث الى المؤتمر بآرائه وبحوثه . وقد جرت العادة ان يفتتح هذا المؤتمر في مكان غير المجمع ، لانه لا يملك قاعة تسع المؤتمرين ، ويتألف اعضاء المجمع من جميع البلاد العربية ، وقد جرت العادة الا يصل الى عضوية هذا المجمع الا من يملك تجربة فكرية غنية ، وهي عادة

القضية الهامة التي شغلت وما تزال تشغل بال الذين يحترمون هذه اللغة الجيدة . ثم بدأ الأمين العام يعرض ملخصا لأعمال المؤتمر والمجلس منذ لقاء المؤتمرين في العام الماضي ، مشيرا في هذا العرض الى لجان المجمع وجلساته والى ما اصدره المجمع من مطبوعات ، والى صلة المجمع بالهيئات العلمية ، خاصة منظمات جامعة الدول العربية ووزارات التربية والتعليم في البلاد العربية .

وبعد ذلك القى الاستاذ الكبير محمد بهجة الاثري كلمة باسم الوفود العربية كلها الى المؤتمر ، والحق انه قد وفق فيها كل التوفيق ، اذ انه عبر فيها تعبيراً صادقا عن الشعور العربي نحو هذه اللغة العظيمة .. حيث قال :

ايها السيد الرئيس ، رئيس مجمع اللغة العربية،

ايها الزملاء الاجلاء حماة لغة القرآن ..

ايها السادة والسيدات .

بسم الله العلي الكبير .. افتتح كلامي ، نديا به لسانی وجناني ، متيناً به ، وحامداً له سبحانه الآله : ما ظهر منها وما بطن . وان من اظهرها بروزاً ، وابيها بركة ، واغزرها خيراً ونفعا ، ما كان خالصا لوجه الله وفي سبيل مصلحة الامة .. كلكنا هذا في مطالع كل عام ، في هذه (الكفانة) المحروسة : دائرة الزهر والمجمع والجامعات ، من اجل انبل مقدس ، واشرف غاية ، الا ، وهو العمل على تجديد شباب اللغة العربية تجديدا يسير تطور العلوم والفنون والآداب ، ويواكب الحياة الحديثة وهي حياة اخذ وعطاء وحركة بلا سكون ! ونحن احرى بان نصنع الصنع الجليل لهذه اللغة الحية الجميلة ، التي اصطفاه الله لوحيه ، وانزل بها الذكر الحكيم ، ثم حملت — بفضلها وبينه — الفلسفات والعلوم والفنون ، في ارواح الصور ، وكانت لسان الفتح الحضاري ما بين بلاد الفال « فرنسة » في الغرب ، وسواحل الجنجس « الكتج » الهندي في الشرق .

و (الكفانة) — حرسها الله — ما برحت ، بفضل من الله ، على مدى تاريخها المجيد الحيد ، منذ عهد (عَمْرُو) و (عَمْرُو) — حانية على هذه اللغة الحية الجميلة ، دانية على شد ازرها ، ادراكا منها لصلتها بالفكر ، وانرها على ارتقاء الحياة ودوامها ، وقد جعل الله من مكانها الوسط بين نراعي الشرق والغرب ملتقى للحضارات ، ولماذا آمنّا للعربية والعروبة .. حين عصفت ريح (المفول) الهجاء بالشرق ، واخذت على حضارة الاسلام في مدينة السلام « بغداد » .. وحين اشتد غرام (الاسبان) وبغوا بفنيهم الهجي المتوحش

لا يظفر بها الا من تعدى العقد الخامس من عمره ، اما زمان المؤتمر فهو في ٧ فبراير من كل عام ، وهو زمن يشتد فيه البرد مما يكلف المسافرين كثيرا من المشاق والمصاعب لما في سفر الشتاء من عمر لا يخفى على الناس ، ولا ضياعا على الشيوخ الذين تنبش اعمارهم بين الستين والسبعين ويشهد هذا المؤتمر عادة جمهرة كبيرة من رجال وزارات الثقافة والتعليم العالي والتربية ومئات وعدهاء واسانذة الجامعات وممثلي المؤسسات الثقافية ، والهيئات العلمية وجميع كبير من العلماء والادباء من جمهورية مصر العربية ، وعدد كبير من طلاب وطالبات الجامعات ومن وفد على المؤتمر من اعضائه في المملكة العربية السعودية والكويت وبغداد والشام ولبنان وتونس والمغرب وليبيا .

افتتح المؤتمر بكلمة الاستاذ زكي المهندس نائب رئيس المجمع نيابة عن الدكتور له حسين ، رئيس المجمع ، الذي اعترف عن التخلف لاسباب صحية ، وقد تضمنت الترحيب بالمؤتمرين نيابة عن الدكتور عبد القادر حاتم الذي كان غائبا عن القاهرة ، كما تضمنت الإشارة الى بعض ما قام به المجمع من أعمال استهدفت صون اللغة العربية وتقويتها ، وذلك بعمل اصدره من معاجم وتعرريب لمشرات الالاف من المصطلحات والمفردات ، وان كثيرا منها شاعت بين مختلف الاوساط العلمية كالجامعات والصحافة والاذاعة وما الى ذلك من وسائل الاعلام .

ثم القى الدكتور ابراهيم مذكور الأمين العام للمجمع كلمة تحدث فيها عن التساؤل الذي خلقته المعاني المتضادة في بعض المفردات العربية وما تساله بعض علماء اللغة حول هذه القضية ، ووضح ان التضاد ليس مقصورا على اللغة العربية ، فهو موجود في اللغة اليونانية القديمة ، وقف عنده ارسطو طويلا ، وعد قسائون عدم التناقض اساسا لمنطق القياس ، ولم يقل احد بان ذلك يعتبر ناشئا عن عقلية خاصة ، كما اشار في كلمته الى انتقاد الشعبية وتسيهم باللغة العربية ، مستدلين بذلك على وجود الاضداد . وانتهى الحاضر ، بعد المالة قصيرة ، الى القول : بان النتيجة العملية تنفي بان نلتزم اولا بعدم ذكر شيء من الاضداد فيها تؤلّفه من معجمات حديثة صغيرة او متوسطة ، وناخذ انفسنا ثانيا في المعجمات الكبيرة والتاريخية ببراجعة ما سجله اصحاب المعاجم القديمة من ااضداد ، وبان تراجعه في ضوء ما كتبه القائلون بالاضداد ، وما اخذ عليهم من نقد وملاحظة ولا تثبت الا ما تدعو اليه ضرورة فاعرة .

وبهذه المناسبة ، اود ان يبدي علماء اللغة العربية ولا سيما المعجميون منهم ، ما يرونه حول هذه

المالحق على الفردوس الزاهر الاثني ، فدمروه ، وادالوا دينه وعليه وادبه وحضارته التي فاقت كل حضارة ، فكانت هي مثابة اهل العلم الذين كتب عليهم الجلاء ، وسهلت لهم التجارة ، فوالوا اليها من الشرق ومن الغرب ، فكان صدرها الرحب الحاني اكرم موئل لهم ، ولما يحملون من علم وادب ولغة ودين ، واوسع ميدان للنبوغ .. اجزوا فيه اقراسه ، وجروا عواليه .

وحاضر (الكنانة) في العناية بهذه اللغة العظيمة المقدسة ، هو ابن ماضيها المريق ، وامتداد له ، لم ينفك عنه ، كما يفرض اطراد الحياة . ولكن هذه العناية ، تختلف الآن عنها في الماضي :

كانت في الماضي عناية افراد ، وهي اليوم عناية جماعية : تبحث وتناقش وتصدر رايا جماعيا ، ورعاية دولة تغذي وتمد بالعون وتبسط الظل .

كان اضخم نتاج لغوي صدر عن (الكنانة) في عصورها الاخيرة (تاج العروس) ، وهو من صنع فرد اعتدب في تاليفه على جهده الخاص وجهد من سبقوه ، وقد اتصل صنعه بماضي اللغة ، وقلبا بمس حاضرها في عصره .. وما يصدر فيها عن (مجمع اللغة العربية) في زماننا ، من معجمات لغوية ومصطلحات علمية وفنية ، انما يصدر عن الجماعة بعد ان يكون قد قتل بطا ونقاشا وتجميعا ، ثم هو يتصل بماضي اللغة وحاجات المعاصر ولا ينسى ماضيها ، والدولة توفر له ما يعينه على عمله الجماعي ، وتحشد الى جانب علماء البلد علماء من الاقطار العربية : يسهون مهمهم في العمل المشترك ، ويتحملون التبعة ، ولم يبق شان اللغة خاصة ببطقة بعينها من الناس ، ولا يقطر بعينه من الاقطار ، وانما اتسع نطاقه فشبيل المعامل والمصانع وصنوف الناس ، ومس حياة الجماعة ، وحياة الامة في الوطن العربي الكبير كله ، واصبح توحيد مفاهيم العلم والحياة متوقفا على اذاعة القصص واهليتها والتبكين لها ، وعلى توحيد مصطلحات العلوم والفنون ، وامتداد الحياة التامة المتطورة بالوفرة من مواد اللغة .. وعلى هذا كله ونحوه ، يقوم صرح الوحدة السياسية الكبرى ، وهي آتية لا ريب فيها .

ان هذا المجمع في (الكنانة) قد اصبح حقيقة قائمة كنهري (الجيرة) وابي الهول ، لا جدال في ذلك . وسوف يقوى رسوخه ، وتمتد حياته ، برسوخ الامة في الحضارة ، وامتداد حياتها المدركة الواعية ، وكلاهما مونسور بحمد الله .

ولي مزيد الرجاء من الدولة ، وهي مدركة وظيفته الخطيرة في حياة الامة ، ان توسع السخاء عليه ، ليكون حظه من الانتعاج كفاء الحاجة القومية التامة ،

وليستطيع ان يحشد جمعا اكبر من تتوافر فيهم المؤهلات العلمية واللغوية العالية ، ولهم من الاخلاص في العمل الموصول ما يشد ازر « المجمع » دون ان يشدوا هم ازرهم بفخر الانتماء اليه .

ايها السيد الرئيس .. لقد توافدنا من عواصم الوطن العربي الكبير على هذا الصعيد الطيب من ارض (مصر) ، بلبن دعوتكم الكريمة ، بعد تفرق دام عاما كاملا . ولقد كان هذا التفرق - ولا عجب - حبيبا الى نفوسنا من اجل تجدد هذا اللقاء وحسنه !

ان كلا منا يشارك فيهما ازعج ، ولا ابعد عن اليقين ، ابا عبادة الوليد البحرني - الشاعر الذي اراد ان يشعر فغنى - فيما سبق اليه من هذا المعنى الطريف الجليل ، وانه يحلو لي ان اردده في صياغته الرائعة العذبة ، فائني استطيع كما استطيع شعره المصذب كله ، واحب ان اغنيه كما غناه لو استطعت ، واقول معه مرة اخرى :

ولو عرف الناس التلاقي وحسنه
لحبب من اجل التلاقي التفرق

ونحن قد عرفناه ، بل فقتناه مرات ومرات ، عاما من بعد عام ، فاستعجبنا ! واذا كان (الوليد) استعجبني في حبيبه (عتوة الحلبية) ، فنحن استعجبناه واستلطفناه في حبيبنا (اللغة العربية) ! وفي سبيل هذه الحبيبة ، التي هي مظهر عزتنا القومية ، استشهدنا اقتحام مخاطر الجواء ، في هذا الزمهرير من الشتاء ، وكلنا قد جاوز سن الفتاء ، ولات حين اقتحام !

ايها السيد الرئيس .. لقد سمعنا منك ومن السيد الامين العام ما اعتدنا من التعبير الجليل الاثني عما يخالف قلوبكم من نبل الود طبعيا برى من التكلف والمصانة والمجاملة ، كما اعتدنا منكم كفاء ذلك من اكرام الوفاة وحسن اللقاء وصدق المودة في العشرة ، فطابق العمل القول ، وما احلاها اذا اقترنا !

ولئن كنت سعيدا بانابتي عن اخواني ، اقلاذ هذه الامة في العلم والبيان ، في هذا المقام الكريم .. ان سماعتي كانت تكون اكبر لو ملكت ما يملكون من القدرة القادرة على الاداء البليغ عن خوالجهم ومشاعرهم التي يكون لكم وللجميع وهياته جمعاء ، وللامة العربية في مصر المجاهدة الباسلة الصابرة المتصورة بتوفيق الله وتأييد وتمكينه . لكن .. احسن الظني بي ، ودعيت الى هذا المقام ، وما انا ببالي بحد اصددهم ولا نصيبه في بلاغة القول التي تصف هذه الخوالج والشاعر ، فنحسن الوصف وتؤديه ابلغ اداء . وقد تحملت هذا الاداء عنهم راضيا ، ادبا وامثالا ، وانسا

نفسها امورا تافهة من عواير الحوادث اليومية
 العادية : كوقوع زجاجة شراب من احد المسافرين
 في قطار من القطارات ، وتجمع جبهة من الناس
 حول شجار يحدث في كل مكان .. الخ .. الخ ..
 على ان هذا بالطبع ما كان له ان ينقص بحال
 من الاحوال من تلك الاهمية القصوى التي يمثلها انعقاد
 مؤتمر جليل الاثر في مقدراتنا الفكرية كهذا المؤتمر .

عبدالرزاق البصير

الكويت :

لا احسنه كما تحسنه بلاغتهم .. ففئرا .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

القاهرة - الاثنين ١٩٧٢/٢/٧

محمد بهجة الاثري

ويعد هذه الكلية الرائعة من الاستاذ محمد بهجة
 الاثري .. الا ترى معي يا قارئ الكريم ، باتي وبقية
 اعضاء المجمع محقون حينما نستغرب من صحافة
 القاهرة اغفالها الاشارة الى هذا الحدث القومي الهام
 اغفالا شبه تام ، بينما نراها وقد ابرزت في الاونة

مِيتة حروفنا

مثل ضمائر الطفلة

ما اغتسلت في بركة الحياة

ولا انتشئت بلحظة انعتاق

ولا درت ما ورشة المخاض

ما ألم الجراح

ما روعة السير على الرماح

•

نحلم أن عالمًا بلا قيود

ينبث من أقالمنا المكبولة

نحلم أن موسمًا من الورود

يرهِز في صدورنا المنسلولة

نحلم بالمعجزة الجديدة

نابعة من فوهة القصيدة

•

تعبث إسرائيل في مساجدي

تنتف ذقن والدي

وأختني

كالقار في قصائدي

•

حين يخاف الشاعر المقدام

أن يموت

يُصبح أحلى شعره السكوت

سكوت



شعر

غازي عبد الرحمن القصيبي

الشَّعْرُ .. مَا رَوَى النَّفْسَ مَعِينَهُ
 وَجَرَتْ بِرَقَاقِ الشَّعُورِ عُيُونُهُ
 وَصَفَتْ كَالْأَلَاءِ الضَّيَاءِ حُرُوفُهُ
 وَزَعَتْ بِوُضَاءِ الْبَيَانِ مُتُونَهُ (١)
 مَتَالِقُ الْقَسَمَاتِ ، فَتَانُ الرُّؤْيِ
 يُزْهِمِي صَبَا الْفَضْحَى الطَّرِيرَ رَصِينَهُ
 حُرُ الْمَذَاهِبِ .. لَا يَشُوبُ أَمُولَهُ
 تَعَرَّفَ ، وَلَا وَاهِي اللَّعَاتِ يَتَّبِعِيْنَهُ
 إِبْنُ الْحَقِيقَةِ ، وَالْحَقِيقَةُ نَهْجُهُ
 وَالصَّدْقُ فِي أَرْبِ الْحَيَاقِ خَدِينُهُ
 الْعَبْقَرِيَّةُ نَبْعُهُ ، وَابَابِلِيَّةُ ..
 .. عُدَّتْهُ ، وَهُوَ الْمَحَبَّةُ دِينُهُ
 تَجْرِي عَلَى سَنَنِ الْجَلَالِ خِلَالَهُ
 وَيَرُودُ أَوْضَاحَ الْجَمَالِ يَقِينُهُ
 وَتُرِيغُ أَسْبَابَ الْحَيَاةِ شِمَالَهُ
 وَتُفْرِخُ صَائِنَتَهُ لَهَنَ يَمِينُهُ
 عَرِدَ .. كَمُضَاحِ الْكَنَّارِ ، مُسَاقِ
 نَعْمِ الطَّبِيعَةِ ، رَاقِصِ مُوزُونِهِ
 وَكَمَا تَشْفَى عَنِ الشَّرَابِ كُؤُوسُهُ
 لَمَحًا .. تَبِينُ عَنِ الضَّمِيرِ لُحُونُهُ
 دَلَّ الْحَسَانَ الْغَانِيَاتِ فُنُونُهُ
 وَخُدُودَهُنَّ النَّاعِمَاتِ مُتُونُهُ
 يَفْتَنُّ طَلْقَ الرُّوحِ فِي مَضَارِمِ
 وَيَرُوحُ تَلَعَّبَ بِالْقُلُوبِ فُنُونُهُ
 مَزْمَارِ أَوْطَارِ ، وَحَادِي أَمَّةٍ
 يَخْدُو عَلَى شَرَفِ الْحَيَاةِ مَبِينُهُ
 إِنْ رَاقِصَ الْأَمَالِ أَنْعَشَ بَائِسًا
 وَارْتَحَاحَ مَكْرُوبِ الْفُؤَادِ حَزِينُهُ

الشعر

شعر
 الاستاذ
 الكبير

محمد بهجت الاشري



أَوْ أَنْ مُكْتَبًا بِبَرِّحٍ شُجُونِهِ
أَوْرَى الْجَوَى فِي سَامِعِهِ أَثْنِيَهُ
أَوْ حَسَنَ مُشْتَقًّا إِلَى أَوْطَارِهِ
بَعَثَ الْمِرَاحَ إِلَى التَّفُوسِ حَنِينُهُ
أَوْ رَنَ بِالشُّكُوتِ مِنْ تَشْبِيهِهِ
أَذْكَى أَوَارِ الْعَاشِقِينَ رَنِينُهُ
أَوْ هَاجَ غُضْبَانِ الْحَفِظَةِ ثَائِرًا
بَعَثَ الْجَبَانَ إِلَى الْوَعْيِ تَلْحِينُهُ
حَتَفَ الطِّغَامَ .. إِذَا كَوَى مُتَغَطِّرًا
أَلْوَى ، وَأَهْطَحَ طَرْفُهُ وَجَبِينُهُ
يَمُضِي فِي التَّارِيخِ بَاقٍ وَسَمُهُ
وَيَظَلُّ وَهُوَ طَرِيدُهُ وَلَمِينُهُ
يَزْكُو وَيُخْلَدُ مِنْ مَرِيٍّ خُرُونِهِ
مَأْمُونُهُ فِي صَدْقِهِ وَأَمِينُهُ
وَيَمُوتُ مَخْنُوقَ الصَّدَى مِنْ فُؤُورِهِ
مُكَذِّبُهُ ، وَدَعِيَّهُ ، وَأَمِينُهُ

★ ★ ★

رَاوَدَتْ أَحْلَامَ الشُّبَابِ ، فَلَمْ أَجِدْ
كَالشُّعْرِ تُذْنِبُهَا إِلَيَّ فَنُونُهُ
بَرْدًا عَلَى حَرِّ الشَّفَافِ ، وَبَلَسَمَ
كَيْدَ الْمَسِيحِ رُؤُومَهُ وَحَنُونُهُ
أَتَوَرَّ الصَّبَوَاتِ بَيْنَ رِيَاضِهِ
وِظِلَالِهِ مَيَّادَةً وَغُصُونُهُ
تَتَدَى ، فَيُذْكَى بَرْدُهُنَّ حَرَارَتِي
وَيَهْيِجُ بِي شَوْقُ الْهَوَى وَجَنُونُهُ
وَيَعُودُ بِي سَحَرُ الْخِيَالِ إِلَى الصَّبَا
وَيَظِيرُ بِي مِنْ فِتْنَةٍ مُجْنُونُهُ

أَنَا وَالصَّبَا وَالشُّعْرُ .. حُلُمٌ حَالِمٌ
مَرَحْتُ بِأَهْدَابِ الْجُنُونِ مُتُونُهُ
طِيفْتُ .. أَطَافَ مِنَ الشُّبَابِ مُلَاوَةً
لَوْ دَامَ لِي ذَاكَ الشُّبَابُ وَحِينُهُ
زَمَنْ تَبَدَّدَ وَالْمَسَابِغُ وَرَاءَهُ
جَارٍ ، وَأَفَاتُ الْمَشِيرِ تَخُونُهُ
وَلَى .. كَمَا حَفَقَ السَّرَابُ ، فَعَادَ مِنْ
أَوْهَامِهِ مَخْدُوعُهُ وَغَيْبُهُ
وَصَحَوْتُ أَتَّبَعِي التَّارِيخَ لِوَاهِنٍ
فِي جَانِبِي يَخْلُو لَهُ وَيَعِينُهُ

★ ★ ★

أَتَيْنَ الْجَدِيدُ الْبِكْرَ .. لَيْسَ بِظَالِمٍ
مَشِيًّا ، وَلَيْسَ بِفَاضِلٍ تَلْوِينُهُ ؟
الْوَاثِبُ الرُّوحَ ، الْأَصِيلُ الْخِيَالَهُ
وَتَبَعُورُهُ وَتَرْوَعُهُ وَحَنِينُهُ
تَمْتَصُّ مِنْ نَيْشِ الْبَيَانِ عُرُوقُهُ
وَيَجْرِ لَهُ إِبْقَاعُهُ وَرَنِينُهُ
زَاهٍ بِأَكْبَارِ التَّخْيِيلِ ثُبُونُهُ
لَا عَوْرَهُ تَتَنَاشَى أَوْ عُونُهُ
يَسْتَنُّ سِحْرُ الْحُسْنِ فِي أَغْطَانِهِ
وَيَتَبِعُهُ مِنْهُ رَتِينُهُ وَمَتِينُهُ
وَكَأَنَّكَ سَقِيَّ الرَّحِيقِ مُعْلَلًا
فَتَوَرَّدَتْ وَجَنَاتُهُ وَعُيُونُهُ

محمد بهجة الاثري

● ● ●

(١) وهاء ، بسم الواو : وهي

فكرتي
رحلتي



فوق أمواج أرواح

غادرنا بيروت صبيحة يوم من أيام
الربيع الزاهر .. وكان الطقس
صحوا مشرقا كمادة الربيع في هاتيك
الربوع المخضلة بالندى وكان وجود
الزيميلات معنا في هذه الرحلة الطويلة
قد أضفى على نفوسنا فرحا خفيا
بريثا ، لم تبع به السنتنا .. وانما
انصحت عنه عيوننا وصيحات
اهزيجنا وغنائنا .
ولم نمكث في طرابلس سوى الوقت

طلاب وطالبات السنة النهائية في
داري المعلمين والمعلمات في بيروت ،
يرافقنا بعض من اساتذتنا .
واما الرحلة ، فقد خطط لها على
اساس الا تستغرق اكثر من خمسة
ايام ، نقضيتها في ربوع الشام ،
مبتدئين بطرطوس — على الساحل
السوري — فاللاذقية ، فحلب ، فحمص
فحمص ، فدمشق ، فيبيروت .

السيارة الكبيرة تنهب بنا الطريق
الطويل ، المحاذي للبحر .. وقد
عبرت قبل قليل ، النهر الكبير ،
الذي يكون في عرف السياسة ، الحد
الفاصل بين لبنان الشمالي وسوريا .
خلفنا لبنان وراعنا ، وانطلقنا في
تنفيذ اولى الفقرات من مشروع
رحلتنا « الرسمية » لاستطلاع معالم
سوريا العزيزة .
اما نحن .. فكنا مجموعة من

واخرسنا الهلع ، وجمحت منا
العيون تكتوي بملح الماء المتناثر
فوقنا .. وسارع بحارنا الهبام
ومساعده الفر الى محاولة بحث ،
الحياة في « الموتور » بوسائل بدائية ،
الى ان هبط « الوحي » على احدها ،
فتذكر ان العلة ربما كانت ناشئة
— وبكل بساطة — عن نفاد البنزين !
وهكذا كان .. فما ان تسلل اكسير
الحياة الجديد هذا الى كتلة الجباء ،
حتى اندفع زورقتنا الثالثة نحو بر
الامان يطوي ثلال المياه ملي « النوق
العصائر » .. ورائحة السريت
المحترق والدخان الكريه تزكم انوفنا
بعد ان نشر « الرئيس » فوق رؤوسنا
غطاء سبيكا من نوع القماش المستخدم
في الخيام ، لحايقنا من ذؤابسات
الامواج المتراصة حولنا .

ولا تكاد نخضع ارجلنا على يابسة
الجزيرة ، حتى نلتهم الاق يائسين ،
باحثين بلهفة ونظير عن الزورق الاخر
.. الذي اطل اخيرا ، حيدا لله ! ،
الذي بعد طول انتظار ، مقطورا وراء
زورق انقاذ ، لا يستطيع غره ان
يقتر مثل هذه الامواج الهوج .

ولم تكن بحاجة لان نسال الناجين
والناجيات .. عن هول اللحظات
التي مروا بها لتوهم .. فقد كان اثره
ما زال مطبوعا فوق وجوههم الشاحبة
الصفراء ، جليا في ابصارهم الزائفة ،
بينما في مشيهم السابح في المـسواء
كاثيـاح تدافعهم الرياح ..

وهكذا اجتمع شملنا من جديد ،
فوق بر جديد ، نحن الثلاثين مسافرا
الذين تذفقتهم الزوبعة الى صخرة
الارواد ، فانقصدوا — في مهب الرياح
الساقيات وتحت مطر متقطع لا ينقطع
— حجارة مرلا لينقي يضم مراكب
متعددة الاشكال معقودة بالسلاسل
والاخشاب المتراكمة ..

وشدنا الى البعاءة الشقراء التي
زودني بها والذي قبيل السسر ،
مدفوعا بحس العطف الابوى
الرحيم الى توقع حاجتي الاكيدة
اليها في رحلتي الطويلة هذه .



قصة بقم
عصام عسيران

السماء من غيوم بعيدة لمبدة ، وما
نلاحظه عند الصخور من رغوة بيضاء
تنثرها الامواج المتلاطمة ، لا ينشـر
باي تمكير لصفو الطقس وصحوه .
وانساب الزورقان بنا ، يتسابقان
فوق امواج تزداد هياجا كلما ابتعدنا
عن الشاطئ .. ولحت السحب القاتية
تندفع من جهة الغرب لتتجمع
غاضبة فوقنا ، وتحجب شهاب شمس
الظهرة ، ثم تمطرنا بوابل من حبيس
سيلها ..
فوقنا بربوب العاصفة العاتية

وبدا زورقتنا يتلقى لطبات الامواج
ورداً زبدها . وكان يخيل الينا — مع
كل هبوط عنيف للزورق المنحدر من قمة
الموج — اننا في سيلنا المحتوم الى
قاع لا قرار له ..

وابتعد الزورق الاخر عن
انظارنا .. واجتاحنا رعب المشرف
على هلاك داهم ، ونحن نصارع
غضبة اليم ، وصفعات الريح .
وتملكنا الخوف على الزورق الاخر الذي
يحمل معظم زميلاتنا وخيرة مدرسينا ،
بعد ان غاب تباها عن مرمى النظر .
فلم نلق بالالا لابتلال ثيابنا بالرذاذ
المتطاير من الامواج العالسية ،
المتشابهة فوق جوانب الزورق .

ولجأة ، توقف المحرك .. ورعست
زورقتنا موجة عاتية ، دارت بزورقتنا
دورة كادت ان تكون كاملة لولا ان
امتزعتها موجة متبردة ، قذف بها
تبار هبيق مشاكس .. تباها كبعض
الفاس الموجودين في كل زمان ومكان .

الكافي لتزودنا بحلاوة الجبن
الطرابلسية الشهيرة .. ثم انطلقنا
على اجنحة نفسات (ابو الزلف)
و (الميجانا) وضحكات الزميلات
ومشاركتهن لنا في الاهازيج .. الى
ارض سوريا الطيبة ، عبر النهر
الكبير ..

تلفطنا حولنا لنبحث : هل من غوارق
طبيعية ؟؟ ماذا الخفرة التي تكسو
السفوح الصاعدة نحو جبال العلويين
هي نفسها التي تزين صدور جبال
الارز وصنمين ، وتلال طرابلس
وعكار .. واذا الطبيعة والبشر هنا
صنو لطبيعة لبنان واناسيه ..

وتهمت السيارة بنا في طرطوس .
لقد كان تخطيط الرحلة يشير الى
وجوب مشاهدة بعض اثارها القديمة
— على ثلثها — واخصها : رصيف
مينائها الجنوبي ، الذي لم يبق منه
سوى جدران متدامية ، ولكنه مع هذا
— وهنا الاهم — لا يزال يستعمل
لرسو القوارب التي تنقل الناس
والبضائع بين الساحل وجزيرة ارواد
الحديقة بطرطوس .

— جزيرة ارواد ١٩٩٩!
— ولكن .. كيف اغفلنا تخطيط
الرحلة من حساب المعالم الاثرية
الهامة الجديرة بالاستطلاع ؟!
.. وحار الاسانذة في الجواب ..
وعلنا الامر يكون الرحلة «برية» ، في
الاصل . اما الناحية « البحرية » فيها
فلم تخطر على بال احد !

ومع هذا ، فقد رق لنا ان نخفي
بحرا الى الجزيرة البيضاء الصغيرة ،
التي لم تكن تبعد كثيرا عن شاطئ
مدينة طرطوس ، رغم ما في ذلك من
خروج عن التخطيط الدقيق المرسوم
لتفاصيل الرحلة .

قلنا .. لن نخفي غير ساعة
واحدة او اقل ، في ذهابنا الى الجزيرة
والاياب .. فكان القول منا .. اما
الفعل فللأفاد !

ركبنا زورقين بخاريين .. بعدد
ان طائفتا البحارة الى ان ما نراه في

ونظرت حولي مستطلما ، فنتبئت
وجود جسر حجري يربط رصيف الميناء
الى بر الجزيرة .. لم ار بدا من
التوجه اليه مع الزملاء وتامله كأول
معلم من معالم الجزيرة ، عندما اقبل
علينا رجل هاديء رزين ، في العقد
الخامس تقريبا من عمره ، بملف
الرأس بكوفية تداعب اطرافها الريح
فترحب بنا وهنأنا بالنجاة والسلامة .
ثم دعانا جبيها - وهو ينظر الى الافق
البعيد نظر الخبير بما كان وما
سيكون - الى دارته العابرة للفسحة
الثابتة غير بعيد من هذا الجسر
الحجري الوحيد هنا ، عند طرف
الجزيرة الشرقي المقابل لبر الشام
القريب ..
هذا الانسان الرائع الانسانية ،
لم يكن سوى (ابو عبدالله) ، وجيه
الجزيرة المفضل ، الذي تبيض لنا
ان نتمتع بقيء كرمه السابغ وحفاته
الابوي الفياض ، زمنا لا ننساه
ما حينئذ !

كانت دارة (ابو عبدالله) مكونة
من عدة ابنية ، ارتفع من بينها بناء
رئيسي بطابقين فسيحين ، ضم
اعلاها قاعة استقبال كبرى تمتص
بالاثاث الفخم الوثير ، وقاعة طعام
تليق بفندق ممتاز .

.. وكان منظرنا يدعو للرثاء
حقا ، ونحن نرمي باجسادنا
المهوكة فوق المقاعد الوثيرة
في القاعة العليا ، دون ان ندري من
ارمنا شيئا .

وبعد ان تناولنا القهوة المنعشة
وتجاذبنا اطراف الحديث .. عادت
الينا رباطة الجأش رويدا رويدا ..
وخرجنا نتفقد معالم هذه الجزيرة
الصغيرة الضيقة المرات ، والقلعة
الفينيقية الشاهقة ، حيث عسكرت
حامية سورية قليلة العدد .

البيوت هنا بتراسة ، وسطوحها
التي تتلاحم فيمتساوى ارتفاعها تسبح
للنساء خاصة بالمرور عبرها ،
والاستغناء بذلك عن « مغبة » العبور

امام الرجال في الازقة العامة ، من اجل
زيارات خاطفة للجارات .. مما
يساعد المرأة هنا على مزيد من العزلة
الجبرية ، المتعشية مع تقاليد الحجر
على حرية النساء المسلمات في مجتمع
منغلق محافظ ، كهذا السائد في بقعة
معزولة نائية .

الماء العذب ، المتأتى من الامطار ،
يخزن هنا في صهاريج ، يعود انشاء
مغعلها الى عهد سحيقة غابرة .
وقد حدثنا السكان عن وجود نبع
يقذف بمياهه العذبة في قاع البحر
القريب ، في منتصف المسافة الفاصلة
بين الجزيرة وساحل طرطوس ، وقيام
محاولة ناجحة لجر مياهه المتدفقة
بغزارة عبر انابيب يفرها البحر حتى
بروزها عند ساحل الجزيرة .

اما الزراعة فلا مكان لها هنا
بالطبع .. اللهم الا في مساحات شحيحة
مقتلة ، تدعى : (بفشة) ، داخل
احدى الدور ، لا تتعدى مساحة
الغرفة المعادية .. ويزرع فيها
قبوذج واحد من كل نوع من بعض
انواع الخضار .

والسكان ، الذين لم يكن عددهم
تبل عشرين عاما اي في ١٩٤٩ عام
قيامنا بهذه الرحلة ليتعدى الخمسة
الاف نسمة ، يمارسون حياة البحر
دون غيرها .. ولذا كان الرجال
الاشداء منهم في ارتحال شبه دائم
بين مختلف موانئ البحر المتوسط ،
لا يحطون الرحال الا في فصل الشتاء
حينما تشتد من حولهم الانواء ، ويتعذر
عليهم الجمار المأمون .

ويكثر الجو ثائبة ، وتهب عاصفة
اعنف من تلك التي فاجأتنا ونحن فوق
ذرى الامواج .. فنهرع الى قصر
مضيفنا (ابو عبدالله) - ويلقب
في الجزيرة بـ (الاندي) - ولا نرى
بدا ، نحن الثلاثين مخلوقا .. ذوي
الثلاثين فما اكولا ، من قبول دعوة
كريمة منه الى المكوث في حى قصره
المنيف .. بعد ان ايقنا ان عودتنا
لن تتم كما قدرنا لها ان تتم !
ومن ثم ، بدا تخوفنا من الذعر

المحتل انتشاره بين الاهل في الوطن ،
لو نفل سائق سيارتنا الكبيرة اليهم
خبر الغموض الذي يكتنف مصيرنا ،
بعد ان راي المصور سيارته السذي
حلتها الامواج البائرة بتاجها ارواد ..
لم يعد بعد ... رغم زوال النهار
وزحف الظلام ..

.. فهدانا التفكير الى ان نرجو من
الضابط المسؤول عن حامية القلعة ،
ان يتصل لاسلكيا باللائقية وطرطوس
لطبائنة السائق واخباره باتنا في امان
.. فلا حاجة به للتبليغ عن حالنا .
وهكذا كان .

واوينا تلك الليلة الى مخادع اعدت
على ما يبدو ، خصيصا للضيوف
الطارئين ، في دار الاندي .. فبتنا
في الغرف الخارجية ، بينما أوت
زميلانا الى جناح الحريم ! .. رغم
ما كنا نتمناه - وضباب الاحلام
الوردية يبهير خيالنا - ان لو كانت
جزيرتنا هذه اشبه بما وقع عليه
(روبنسن كروزو) في عرض بحار
اسطورية !

ومر يوم آخر ، فما شعرنا بهروره
قط .. اذ استهوأنا الفجوال في
الجزيرة ودروبها المتشعبة الحالة ،
وانار خيالنا واهتمامنا استكشاف
اثارها الباقية رغم عواذي الزمن ،
وشاقتنا ما ترويه للذنين من حكايات
الاحداث الجسام التي كرت على
ينقلبتنا هذه خلال احقاب واحقاب
من السنين ..

.. وذكرنا آنذ قول حزقيال
النبي ، مخاطبا به مدينة (صور)
الجبارة :

« سكان صيدون وارواد كانوا
قذافين لك .. »

« بنو ارواد مع جيشك كانوا على
اسوارك من حوك .. »

« ابطلوا كانوا في بروك ، وعلقوا
تروسهم على اسوارك من حوك .. »

« هم اكملوا جمالك .. »

وحزقيال النبي يشير في قوله
هذا - على حد تعبير الاستاذ غواد
اغرام البستاني في احد مصنفاته -

من نونس الى الكويت !

شعر : منور صمداح

بلغ إليها وهي لابسـة الوشاح
واحمل إلى ذاك الجناح تحية
من كل ثغر بسمة مطلولة
من كل قلب خفقة مسحورة
من كل عيـن نظرة هيمانة
وتقول في صمت المحب : تباركت
وتشيع في تلك الرحاب عهدنا
شرف العروبة في القلوب توحدت ..
يا ارض (كاظمة) بها اخداننا
شرف العروبة في حمالك مصانه
يا عائشين على الوفاء لمحدهم
للوصول . للامتلـ المرجى ، للفضل
في ارض (جلفا) و (الخليل) مروقة
إن كان حي على الفلاح شعانا

آيات حب صيغ من فلق الصباح
رفت بضوع المسك من هذا الجناح
أسكر حلالا ، لا ملام ولا جناح
ضم الضلوع إليك واحتضن الملاح
تنرو إلى تلك المفاوـذ والبطاح
ما بيننا اللقيا فحى على الفلاح
إذ وطئت عهد التكاتف والطماح
فاذا تفرقت القلوب .. هو المباح
ولهم بنونس كل مكرمة وراح
بنجيـه ارتوت المفاوـذ والبطاح
يا قائمين على الكرامة والكفاح
للحب بجمعنا فلتتمتع الجراح
هدرت ولا يدرك العرب الصباح !
فالقدس نادانا : فحى على السلاح

عن مجلة " الفكر " التونسية

« الى مزيتين من مزايـا الاواديـين
مهمتين ، وهما : الملاحة والشجاعة ،
يساهمون في ارتياد البحار ، وتأسيس
المحطات التجارية ونشر منتجات
الصناعات الفينيقية ، تحت الويسة
ملكة البحار في العصور القديمة ،
حتى اذا اضطرب الامن ، واكتهر
الامق الشرقي بغبار غزوة جديدة ،
واقتربت الجيوش الناهية من موقع
صور ، التفت ابنائها وحلفاؤها
وشركاؤها من حولها ، فأتاموا
بحرسون اسوارها ، ويسهرون في
اعالي بروجها .. « فاكلوا جبالها ! »
« ولعل هذا الاتفاق بين الاواديـين
في الشمال ، والمسيديـين ، في الجنوب
للدفاع عن صور ، العاصمة الكبرى ،
كان مما دفع (استرابون) الى القول ،
بان بناء ارواد هم المهاجرون
من صيدون ، في قديم الزمان .
وهكذا يكون لاسها في العبرانية ما
يرير استعماله ، ومعناه : ملجأ
الهاربين .. او : موئل المهاجرين ! »

وتجربتنا الحاضرة قد اثبتت لنا
ان (ارواد) هي بالفعل ملجأ للهاربين .
تري ، ألم تلجأ إليها في هربنا من
عاصفة هوجاء لانرحم ، طوال يومين
متطاولين من حياتنا ، نعمنا فيها
بضيافة سيد كريم مفضل ، واحتينا
بغيث الجود من غيث السحب ! ..
وككل امر عظيم لا يلبث ان يتطامن
حتى يهون على يستهوله ، هددت
الزوابع المزمجرة اخيرا ! .. وكان
ذلك عند فجر اليوم الثالث من
حصارها لنا .. حينما انتزعنا تصايح
البحارة وضواضهم ، من احلابنا
الموشاة بعرائس البحر واساطير
افروديت وتل العبارة .. لترمي بنا
فرحة النجاة ، الى سباق ضروس ،
في سعيها الهووس ، للعود المائوس ،
الى بر طرطوس !

عصام عسيران

الشاعر المعروف :
عبدالله عبد العزيز الرويش

ديوان الزهيري

يقدم

المضمن من الماويل

لأشهر الشعراء

النقد الإجتماعي في قصص نجيب محفوظ القصيرة



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

تتساطر ، فبين المجموعتين ، كان قد تجاوز المرحلة الرومانسية ممثلة في رواياته التاريخية الثلاث ، والمرحلة الواقعية النقدية ممثلة في رواياته التي تبدأ بالقاهرة الجديدة ، وتنتهي بآخر أجزاء الثلاثية ، وبدأت بواكير مرحلة المزج بين الواقع والرمزي في « أولاد حارتنا » ثم « اللص والكلاب » و « السبان والخريف » .

ومما هو جدير بالاعتبار أن المجموعة الثلاثية « بيت سبيء السمة » لم تنتظر ربع قرن آخر ، تصدرت بعد سابقتها بعامين فقط ، وتبعها مجموعة « تحت المظلة » بعد عامين آخرين ، وأن تأخر طبعها لأسباب غير محددة وأن تكن معروفة ، ثم كانت مجموعة « حارة القط الأسود » آخر ما صدر له ، إذ كتبها سنة ١٩٦٨ ، وقد نشرت له قصص قصيرة منفردة في صفحة « الأهرام » الأدبية ، قد لا نتوقف عندها لأنها . فنحن الآن أمام خمس مجموعات قصصية ، صدرت أربع منها في السنوات الخمس الأخيرة ، ولا بد أن نحاول تحليل هذا الجنوح ، نحو الاهتمام بالقصة القصيرة . . الذي يعاصر فتورا في النتاج الروائي . والكتب الخمسة تنطوي على خمس وثلاثين قصة قصيرة ، مبنوثة في ألف ومائتي صفحة أو تزيد قليلا . وإذا

قد يحسن أن نتذكر المقولة النقدية الشهيرة ، عن أن فن الرواية لا ينمو إلا في مجتمع مستقر نسبيا ، فهذا الاستقرار يتيح فرصة التأمل ، ويمعن على النفس الطويل ، ومناقشة القضايا الممتدة ، أما القصة القصيرة فهي التي تستطيع أن تلاحق مجتمعا ينمو ويتطور ويقلق بين الهدم والبناء . ومما يثير دهشة الباحث أنه لا يجد ، أو لا يكاد ، اهتماما بالقصة القصيرة عند نجيب محفوظ ، على كثرة ما كتب عن هذا الأديب ، وحول فنه القصصي . لقد شدت رواياته العديدة اهتمام النقاد والدارسين ، وربما استطاعت بتوهمها الموضوعي والتكنيكي أن توفر لهم ما يجوبون الخوض فيه ، من قضايا اجتماعية وفنية ، ومن ثم لم يجدوا حاجة ملحة إلى الالتفات نحو قصصه القصيرة . ولعل هذا الموقف التقليدي من عامة الدارسين كان له بعض ما يبرره من تسلسل النتاج الفني لأديبنا الكبير ، فعلى الرغم من أن القصة القصيرة كانت أول ما نشر له من فنون الإبداع ، إذ ظهرت مجموعته الأولى « همس الجنون » سنة ١٩٣٨ ، فإن ربع قرن كان قد مضى حتى صدرت المجموعة التالية « دنيا الله » سنة ١٩٦٣ ، هذا على حين كانت رواياته

الواقع واستقاط الحلم على الحقيقة ، كما اتاحنا لأصحاب المواقف أو من يقيسون الأدب بمضمونه المذهبي أن يعيدوا النظر في تقييم هذا الأديب . والذي نحب أن نؤكد هنا أنه لا شيء ينبع من لا شيء ، وأن مجموعة « دنيا الله » تمثل البداية الحقيقية لكلا الاتجاهين اللذين سبقت الإشارة إليهما ، ويجب أن نتذكر أن هذه المجموعة قد صدرت قبل حوادث يونيو ١٩٦٧ الفاجعة ، والتي توافر للتعبير عنها غنيا في مجموعتيه الأخرتين .

ويتميز النقد الاجتماعي بلغز الوجود الإنساني ، بالموقف السياسي في المجموعة الثالثة « بيت سيء السمعة » ، وتعتبر من الناحية الفنية الأساس المتين لمجموعتيه الأخرتين ، فقد بدأ الاحتفاء بالرمز يظهر ، وتنازل الموقف التراجيدي للإنسان من القوى المجهولة والقوية الطاغية التي تتحكم في مصيره .

أما مجموعة « تحت المظلة » فهي — بعكس ما قيل حولها — أداة صارخة — في قسمها القصصي ، للمثقتين الذين تخلوا عن مسؤولياتهم في تأصيل القيم النبيلة ، والوقوف بإيجابية مع التطور والبناء والحرية ، وضد عوامل الهدم والتعويق والكبت في مجتمعهم . وقد نما هذا الاتجاه ، وتنوع مجال الرأي فيه ، في آخر مجموعتيه « خبارة القط الأسود » .

وبعد هذا العرض الأملي لمجموعاته القصصية ، في مجال اهتمامها العام ، لا بد أن نتوقف عند كل

حاولنا أن نستفيد من أساليب الإحصائيين في تحليل الارتام سنجد أن معدل حجم القصة في المجموعة الأولى حوالي إحدى عشرة صفحة ، ويختصر فيها بقي بين خمس عشرة صفحة وثمانية عشرة . وسنكتشف أيضا أن غزارة نتاجه النسبية في مجال القصة القصيرة يمكن تحليلها بحظي به الكاتب من شهرة ، ورغبة الصحف الأدبية في النشر له ، وربما كان التلفزيون عاملا مغربا أيضا بتفضيل الأعمال الفنية المركزة ، ولكننا يجب ألا نخفل ، أنه وفي نفس المرحلة الزمنية تقريبا ، كانت قصص نجيب محفوظ الطويلة تنجح نحو الاختصار زما وحجما . فاللص والكلاب ، والشحاذ ، وثرثرة فوق النيل ، وميرامير لتبلغ في الحجم ما بلغته بداية ونهاية مثلا أو زقاق المدق ، فضلا عن الثلاثية ، بالإضافة إلى أنها لا تبلغ مثل مساحة أي منها زميا ، فكأننا كنا في الحقيقة بإزاء خطين متوازيين ، يسمى كل منهما إلى حسنة من التماس أو التلاقي مع صاحبه ، ولعل هذا التركيز في الحجم وفي المساحة الزمنية كان سببا في أن أعماله الأخيرة أمكن تحويلها إلى مسرحيات بسهولة أكثر ، كما سمح لبعض الدارسين أن يعتبر « ميرامير » قصة قصيرة ، بل لعل هذا التركيز كان أرهاضا بالخطوة التي خطاها في القسم الثاني من مجموعته القصصية « تحت المظلة » فجعله من مسرحيات أو حواريات ذات فصل واحد .

ويمكن — بشيء من الحذر — أن نتحدث عن طابع عام لكل مجموعة ، ومصدر الحذر أن نقصص كل كتاب لم تكتب تحت ظروف انفعالية أو فكرية واحدة ، ومع هذا سنجد شيئا يمكن أن نسميه الاهتمام الغالب ، وعلى هذا الأساس وحده يمكن أن نزع من النقد الاجتماعي كان الاهتمام الغالب في « همس الجنون » بما يعتمد عليه من تعرض للطبقة وأسرار في الحديث عن المرأة ، وبخاصة المنحرفة لأسباب أو لغير أسباب معروفة ، وبما يؤثر من تصوير للنماذج الضائعة اجتماعيا ، والمطحونة انسانيًا ، وربما استطاعت التسمية للمجموعة ، أو ما اختير لها من عنوان ، أن توحى بها زخرت به من نماذج غريبة توشك أن تصير شاذة ، وببساطة الشكل الفني إلى درجة الاضطراب أو السذاجة أحيانا .

أما لغز الوجود الإنساني ، وعجز الإنسان أمام الموت ، وخوفه منه ، وانفداعه نحوه ، فهو الاهتمام الغالب في « دنيا الله » . ونشير هنا إلى أن الاهتمام بقصص نجيب محفوظ القصيرة قد بدأ بعد صدور مجموعتيه الأخرتين : تحت المظلة ، وخبارة القط الأسود ، إذ اتاحنا للذين يؤثرون المناشآت النظرية أن يتحدثوا بغزارة عن الرمز والتجريد السريالي وتكثيف

بقلم الدكتور

محمد حسن عبد الله



موضوع بعينه ، لنشير إلى : كيف تطور موضوعيا وغنيا على مدار ثلاثين عاما . ولكننا مضطرون في هذه اللوحة السريعة للوقوف عند نقده الاجتماعي وحسب ، وسيكون من الطريف حقا أن نحاول الكشف عن الوان من التلاقي بين فنه الروائي وفنه في القصة القصيرة ، حين يتعاصران زميا .

صدرت « همس الجنون » سنة ١٩٦٨ — كما أشرنا — وهي وإن كانت تنطوي على أمشاج رومانسية تتلبد على الخصوص في قصة « حلم ساعة » و « يظلة الومياء » فإن الواقعية النقدية هي المسحة الغالبة ، وموقفه الطبقي واضح فيها جدا ، إذ الصق الفساد

الخليقي كله بالطبقة الأرستقراطية ، لدرجة انه سعى احدى قصصه « عبث أرستقراطي » وحين نعيش معه حفل الأرستقراطية نجد كل زوج مشغولا باصطياد زوجة آخر ، وحين يتم ذلك بين اثنين بالتبادل ، وكل يظن نفسه الفارس الوحيد اذ بهما يتبادلان ثيابهما في الظلام ، ولكن .. كيف يستعيد كل ثيابه دون فضيحة ؟ ان احدهما مرشح للوزارة ، وليس من مصلحة اثاره ضجة لا لزوم لها ، ما دام قد انتقم لنفسه ايضا !

وفي قصة « زيف » نجد ارملة الباشا المغرمة بالشهرة والاضواء ، ترتكب في سبيل ذلك حماقات عجيبة ، فنكون جميعات لمقاومة الامية ، عضوانها يتكلمن الفرنسية ، وتسمى الى شاعر عصرها لتكون صديقتها ، وتدعو الى البيت في قصرها ، وتدعو صديقاتها لسماحه ، حتى يشتهر الامر ، تريد بذلك ان تنافس سيدة اخرى شغقت موسيقارا ! وينتقم منها المؤلف ، فيجعلها تخطئ في التعرف على الشاعر ، فليس صيدها الثمين الا كاتبا في قسم الترجمة بوزارة الزراعة ، وهو يشبه الشاعر شيئا قويا ، ولذا له حين استدعى الى مقصورة السيدة في المسرح ان يصمت ، ثم ان يتشاعر ، ثم ان ينال من طبقات الحياة في القصور . هل اراد محفوظ هنا ان يقول ان عبث الأرستقراطية يعادله انتهاز البرجوازية ؟ ربما .. اذ انفا في روايته : « القاهرة الجديدة » و « بداية ونهاية » سنجسد البرجوازي الوصولي الذي يحاول ان يشترك الأرستقراطية مغانيها واستعلاها ، فنذكرنا القواعد القديمة . وهذا الوصولي يتكلم مرة اخرى في قصة « مذكرات شاب » اذ يمين في وظيفة مدرس لغة فرنسية ، وهو المتخصص في اللغة الانجليزية ، ولكنه لا يجد لتخصصه وظيفة فينالها في غير تخصصه في مقابل الزوج من ابنة كبير في وزارة المعارف ! ويجتمع الوصولي والباشا الفاسد مرة اخرى في قصة « هذا القرن » - وانظر ما في تسمية القصة من جسارة لا يفتقر عليها الا المبتدئون - ولكن قراءة القصة تترك في النفس انطباعا بان الكاتب كان مشغولا بهاجمة الأرستقراطية والراسالية وملحقاتها من الحسوبية والفساد ، اكثر من اهتمامه بتوجيه النقد الى الوصوليين .

تتحاور زوجة الباشا مع الفتى الذي ضبط في حديقة القصر ، ويتنقشه ظهر انه ليس لصا ، ووجدت صورة ابنة الباشا في جيبه . تقول زوجة الباشا : ما هي مؤاملاتك ؟ اجبني

— البكالوريا .
— بس .. يا خبر اسود .. وماهيك .
—

— وماهيك ، اتوسل اليك ان تجييني
— ستة جنيهات .

— عال .. ولماذا تحب ابنة الباشا ؟
— سيدتي .

— لماذا لم تحب ابنة كلب من طبقتك ؟!

وينتهي الامر الى التفاهم ، والحق الموظف باحدى السفارات ليرتفع مرتبه ، ومن ثم يمكن تزويجه بابنة الباشا ، المصمة على اختياره .

ويأخذ الصدام بين الجاني والضحية صورا متعددة ، ففي قصة « الجوع » يلتقي صاحب المصنع الراسالي بالطبع باحد العمال المصولين يحاول الانتحار باسا . وفي قصة « الورقة المملكة » نجد الثري الملل يتجول في حي الضائعين على اطراف المدينة ، وينعم مطربا شعبيا ورقة مالية لم يرها من قبل ، تكون سببا في تدمير حياته ، فهو مدمر حتى حينما يتعاطف او يعطف لانه لا ينطلق من موقف ، ويستجيب لطبع ونزق لا لادراك واع .

ويتخلل تقسده الاجتماعي عن طابع « الحادثة » ليأخذ طابعا تحليليا في قصتي « مفرق الطرق » و « الشر المعبود » . في الاولى نجد الموظف الصغير السذي كان زميلا للوزير في المرحلة الثانوية ، بل كان متوقفا عليه ، ولكنه الان يطلب المثل ، ليلتمس من وزيره ، متمسحا في الزمالة القديمة ، ان يعفي بعض اولاده من المصاريف الدراسية ، وحين يمود الموظف الى بيته يتسائل عن الاسباب التي جعلت من محدود الذكاء وزيرا ، ومنه هو مراجع حسابات في نفس الوزارة ، وينتهي من التساؤل الى الرغبة في طرح القضية ككل ، وينبذ الحزن ، واستلهم الفرح من اطفاله مكتفيا بان « معاليه قال لي .. اطمئن » . ولكننا في الحقيقة لا نطمئن مع جلال افندي رغب مراجع الحسابات ، لان القضية المطروحة اخطر من ان تحل باعفاء ابنائه من المصاريف المدرسية . وفي القصة الثانية « الشر المعبود » تختلف نوعية التحليل ، فياخذ طابعا اناسيا شوليبا ، وحوادثها تجري في مقاطعة « نخوم » الفرعونية ، حيث ظهر شيخ طاعن في السن ، راح يجادل الناس في معنى الخير والشر ، ويدعو الى الفضيلة وعدالة توزيع الثروة . وقبل ان تتضح دعوته تبيض عليه رجال الامن . وفي الحكاية ظهر لهم انه عاجز لا اهل له - اي كالمبداء التي يدعو اليها - وانه نسي اسمه ، ومن ثم تترك لحاله ، فانتشرت دعوته وساد السلام والامن ، وبدأ الناس ينظرون الى الطبيب والقاضي ورجل الامن بغير تهيب او اكرتات مما اعطاه رجل الامن ، فاخفى العجز ، وجلبت راحته من مقاطعة اخرى ، ومن ثم وجد الطبيب والقاضي ورجل الامن لهم مكانا ، واستردوا مهابتهم في



وجود الشر الذي يحاربونه . فهذه الصورة الفلسفية الساعرة من رجال التوجيه والحكم ، نفوس وراء جذورهم حتى تربط وجودهم وقيمتهم الاجتماعية وامتيازاتهم بوجود الشر لا بامحائه .

وتبني حملته على الخلل في توزيع الثروة ، واختفاء الضمانات الاجتماعية التي تحمي سواد الشعب من الضياع ، عبر رواياته العديدة في المرحلة الواقعية بخامة . نجد ذلك في المصير العنسى الذي انتهى اليه « محبوب عبد الداييم » في « القاعرة الجديدة » والضياع الاليم الذي جناه « احمد عاكف » في « خان الخليلي » بعد جهاده المستميت لاجاد موطيء قدم لنفسه في مجتمع الصراع والاثراء ، وفي العاصفة الدمرة التي ابتلعت اسرة « كابل افندي علي » في « بداية ونهاية » فانتهوا بين الانتحار والسقوط والطاردة والاثراء ! وفي مجموعة « دنيا الله » نلتقي باخر قصص المجموعة ، قصة « صورة قديمة » ، وفيها يبحث الصحفي (حسين) عن موضوع طريف لصحيفته . ويجد ذلك في صورة قديمة ، التقطت لفصله الدراسي ، او السنة النهائية بالقسم الادبي من مدرسة الجزيرة الثانوية عام ١٩٢٨ - وهي السنة التي حصل فيها الكاتب على البكالوريا - وتعرف من السياق ان الصحفي قارب الستين ، وتعرف ايضا انه لا يزال على معرفة بالمشهورين من زملائه التلاميذ في الصورة ، وتعرف اخيرا انه كان من سكان عطلة الكرمانلي وأنه غادرها حين صلحت له الدنيا ، ويقتر اللطيف ان يلاقي بعض رفاقته القدامى وان يجعل من لقاءاته موضوعا صحفيا ناجحا .

ونذكر من زملائه الماوردي الثري صاحب العزبة ، والاورفلي القاضي المستشار الذي كان اول المدرسة ، وحامد زهران زميلهم الذي رسب ، وهو الان مدير شركة ، يتقاضى خمسمائة جنيه ! ونرى الانطباعي القديم - الماوردي - وقد حصر عالمه في عزبته بعد تحديد الملكية ، ولم يعد يزور او يزار . وانحلل انسانيا بصورة مؤلمة ، ولكنه اهتز حقا حين حدثه الصحفي عن حامد زهران وزمبته الضخم مع انه رسب في الشهادة . اما الاورفلي القاضي ذو الإنشاء الثنائية ، فمع امتداده الفكري ونزغته المتصوفة لم يسلم من الدمشنة والالم حين عرف بزمبته زهران . وحين اطلع على الصورة التي يحملها الصحفي عرف فيها « محمد عبد السلام » زميلهم القديم ، الذي توقف عند هذه الشهادة ، وعمل كاتبا بالتبابة مع الاورفلي منذ سنوات . وقرر الصحفي ان يبحث عنه ويلقاه . وبحث حتى وجده في « المنيا » يبدو اكبر من سنه عشر سنوات ، ولديه عشرة اولاد . وقد نظر الى زيارة

الصحفي له على انها نجدة من السماء ، فقد يكون سببا في منحه علاوة او درجة ، حين يكتب عن فقره وكثرة عياله . وتطلب منه زوجته ان ينشر صورة الاولاد وان يكتب عن رؤسهم . هذا في الوقت الذي كان الانطباعي القديم ، والقاضي ، حريصين على عدم ذكر اسميها او نشر صورهما . واخيرا اطلع محمد عبدالسلام على الصورة ، وحدثه الصحفي عن مرتب زهران ومركزه . « فذهل الرجل حتى خيل اليه ان وجهه ازداد شحوبا ، وتساءل : ماذا يعمل ؟ »

— مدير شركة .
— لكن الوزير لا يقبض نصف هذا القدر .
— هذا شيء ، وذاك شيء .
— فتساءل في دهشة : كيف وقيم ينفقها ؟
— فابتسم حسين (الصحفي) ولم يجب ، فسأله الآخر .

— وما شهادته ؟
— الكفاءة !
— يا خبر اسود ، انت تزح .
— كلا .. العبرة ليست بالشهادة .
— العبرة بماذا ؟ دلني كيف يصل انسان الى هذا الحظ ؟ ها هو يتف معي في صف واحد في الصورة ، فخبطني كيف بلغ هذه المرتبة ؟
— فقال ملاطفا : هنالك شيء اسمه الحظ .
— فهم الآخر راسه في حزن وقال بيقين : لا يوجد عمل في بلادنا يستحق هذا القدر من المال ، والا فلماذا لم نصل الى القبر ؟
— وضحك حسين قائلا : على أي حال ، انتم احسن حالا من الملايين .

— فقال محتجا : الملايين ! انا عارف هذا ، ولكن حامد زهران هو المشكلة .
— واخيرا يذهب الصحفي الى حامد زهران ، ليتبين له فرصة الدفاع عن نفسه ، او الكشف عن لغزه . ويجده يقسم في قمر يذكره بقصر الماوردي ، فهل اراد ان يقول ان المشتاق والوصولي ورت مكان

لنجم سينمائي شهير . ويدور بينهما حوار يظهر منه قبولها للتضحية الواجبة لتقديم لنجم سينمائي ، وتصميم الصحفي على ان ينال نصيبه من الغنية مقدما .. ويستمر الحوار الذكي الذي لا تعرف منه هل انت امام نقاسة نادرة المثل في الاستهتار او نادرة المثل في الثقة بالنفس . حتى تقول لجليسها الصحفي انه لا بد يرح ، وانه انظف من ذلك . وفيها هما في الحديث فيفتشان على صوت مجهود غائر يهتف « هو » ، ويفزعان ، واذا هما بشاب في العشرين يتترس بالأرض ويسحب مركبا يغالب ركود الريح ومعاكسة التيار . ولننتقرا معا السطور الاخيرة من القصة :

« ذهب الرعب وحل محله في صدرهما خنق وغيط ، ولكنهما لم ينسبا بكلمة . وظل الرجل يهيب عمله الشاق جميع حيويته في غناء مضمّن حتى حاذى مجلسهما . شاب في العشرين ، غابق اللون ، غليظ القنصات ، عاري الرأي حليقه ، حافي القدمين ، يرتدي جلبابا لا لون له ، يكشف عن اعلى الصدر ، وينحصر عن ساتين بارزتي العروق من الحرق ، وقد جحظت عيناه وتصلب شدته ، واخفى راسه ليجنب وجهه نسيبا حابية .. وفي الدقائق التي حاذاهما فيها لمحتهما رائحته الادمية المبلدة بالبرق والتسراب ، فقتلص وجهاهما ، واخفت « نادرة » انها الدقيق في بتديل ميقق بشذى جيل ، ولكنهما تجاهلا لتقرزهما وانزعاجهما وهما يرقبان النضال الاليم . وراقباه بخطوة خاطوة : حتى ارهقتهما المشاركة ، نحولا عنه عينيهما ، وتبادلا نظرة ، ثم ابتسما في رثاء ، واشعلا سيجارتين ! »

الكاتب المفلس من التجربة الاجتماعية ، والحلم بالقصر الكبير ، والفناة المغامرة ، والسباق الى التعرف بشاهير السينما .. كل ذلك يذوب في حرارة النضال الانساني الذي يمثله الفتى العامل ، ويظهر زيفه ، فيجذبهما من افكارها المتعفنة ، ويشاركته بالمتابعة حتى ارهقتهما المشاركة ، فهربا الى دخان السجارة . انها الصورة القديمة التي عرفناها في القصة السابقة — على نحو اخر — انها المجتمع المرفوض .. مجتمع الجهاد في التلفزيون ، والنضال بالكليات ، والتبريد من اجل الاستعمال الاخرق والاحق للحرية .. او حرية الحلم بالانثاء من اي سبيل .

وتلح على نجيب محفوظ فكرة التطور ، او تصوير صدام الاجيال ورصد التغير الاجتماعي ، من خلال شخصية تعيش في غير عصرها لسبب او لآخر . ومن المفارقات التي تستحق التامل ، ان هذا الكاتب ، وهو صاحب اكبر محاولة لرصد تاريخنا الاجتماعي ، من موقف واقعي ، في ثلاثيته العظيمة ، يغلبه حسه

الانطاعي في مجتمعنا الجديد ؟ . ومهما يكن من امر تحكيته بسيطة للغاية ، عمل سكرتيرا للمدير ، ثم مديرا لمكتبه ، ثم كان ان رشحه المدير كخلف له ، اي انه اختاره عن خبرة وتقدير . ونعرف من الحوار الداخلي في نفس الصحفي ، الذي يتطور كردود افعال ، ان السكرتير الهام متح بيته ناديا للفتار يزاول فيه المدير هوايته ، او هواياته المتعددة ، وتلك هي مرشحات زهران الحقيقية ، فضلا عن انخاضه عمله سبيلا الى تكثير المعارف وتبادل المنفعة . وبعد الغداء يدعو المضيف الى السلام على زوجته . ويحاول الصحفي ان يتذكرها ، انها « فايقة » بنت عم سلامة سائق الترام التي تزوجها زهران وهو طالب ، وكانت عطفة الكرمانى تضمهم جميعا . ولكنه وجد نفسه امام فتاة في العشرين ، يجري اكثر حديثها بالانجليزية ، وتشي ملاحظها باصلها المختلط . ويخرج الصحفي نوا الى « عطفة الكرمانى » ليبحث عن فايقة ، وهناك لا يكاد يعرفها ، وبالسؤال يجدها جالسة امام كشك تبيع السجاير ، وتدخن سجارة . واذا كان زوجها السابق قد ذكره بالانطاعي ، فقد ذكرته هي بحمد عبدالسلام — كاتب النياية — الطحون ، اذ كبرت عن سنها عشر سنوات ! « وتذكر كم كانت مثالا للصبى والحيوية والامل ، تشعر بان انبل ما في صدره ينحني لها رثاء واحتراما . وغادر عطفة الكرمانى ضيق الصدر بمكارة الجو ، ومضى يفكر فيما جع من مواد لدراسته ، ويطلها تحليلا اوليا وهو يتسائل : **بنت تبرزى** اي معنى ستبخص عنه هذه الصورة القديمة ؟ ! »

ان هذه القصة الرائعة تنمّ او تأكيد فني لقصته « مفترق الطرق » ، وباشارتها الى الجو المعتكر ، في خنايبها ، وتسببها بالصورة القديمة ، يقف الكاتب الى جانب التغير الواجب ، التغير الذي يضع زهران في حجه الطبيعي ، ويرد الى فايقة كرامتها الانسانية ، والى محمد عبد السلام حقوقه المهددة !

ومن الواضح انه في هذه القصة الاخيرة قد سلط الضوء على ورثة الارستقراطية والراسمالية من الوصوليين ، وقد عاد الى الموضوع نفسه ، اي ليدن قريباً اخر من مدالي المجتمع الحديث . ففي اخر مجموعاته « خسارة القط الاسود » نلتقي بقصة « صوت مزعج » ، بالاستاذ ادهم الصحفي وقد جلس على كازينو نيلي يحرق في الماء ولا يجد ما يكتبه ، ثم تقطع عليه خلوته « نادرة » فناة السبعة عشر ربيعاً ، الجامعية المنردة التي اعتنقت الوجودية . كما يمكن ان تفهمها . ويجلسان ، هو يريق قصراً على الشاطئ الاخر يحلم بمله ، ويحدث في السماء يسألها ان تجود بالفكار ، وهي تطالبه ان يفي بما وعد ويقدمها



البغاء في الماضي ، فلما الغى شعر ان هدفه انتهى ، فاعتزل العمل الصحفي، وعاد الى قريته خلسة عشر عاما لم يذكره انسان ، وشاخ هو فلم يعد يذكر شيئا، وعاد الى حي البغاء القديم ، وقد تبدل حاله ، ولكن الصحفي القديم لم يتبدل ، راح يطارد احدى السيدات في مدخل بيتها ، كما راح يتأديها بفردوس — اسم صديقتها القديمة — ويعرض عليها اجر الاستجابة لما يريد . وطبعاً تحقق ما هو منتظر ، استجذبت السيدة ، وحضر الجيران ، وسبق العجوز الى الشرطة ، وهو لا يتوقف عن اعلان رغبته الزمنية في دفع الاجر واصحاب السيدة ، بتصميم عجيب . ويتفقد من المارقي مأمور الشرطة ، الذي عرّفه اذ كان ضابطاً صغيراً في نفس القسم ايام ان كان الشيخ محبباً لاهله واجارها من اجل النساء والفحاي . وتمتاز هذه القصة بانها تتجاوز مجرد الرصد التاريخي لبعض الملامح الاجتماعية — كما شاهدنا في بيت سيء السمعة — الى الدراسة النفسية والتحليلية العميقة . اذ يقول الصحفي للمأمور ، شارحاً اسباب رحيله الى القرية ، وهجر الصحافة : « لقد وقع الالغاء على البغاء وعلى في آن واحد ، ذهبنا معا ، أصبحت غير ذي موضوع ، وبلا عمل ولا حماسة ولا هدف » . ولكن المأمور يكشف عن جانب من ماضيه — اذ كان الصحفي الذي يحارب البغاء يستفيد منه ايضا . ولو بدافع البحث والتحري ، كما يقولون ، ولكنه يدافع عن نفسه قائلا : « كنا جزء من الشر الذي نحاربه » . وهناك عجوز آخر في قصة « رحلة » يعود الى الحارة القديمة التي نشأ فيها ، لمجرد الاستطلاع ، فيجد معالمها قد تغيرت ، ولكن المعالم القديمة تبدو لعينيه اكثر ثباتا . وينتهي جانباً في المقهى على الناصية ليتذكر صديق السبا « رفاعة » اليتيم الوديع الذي مات صبياً ، و « الشربيني » الشرس العنيف ، الذي لقيه من سنوات طويلة مصادفة في احدى المدن ، وهو يسمى نفسه عبدالله المدني ، المهاجر من بلد الرسول ، ويبيع للناس تراباً يزعم انه يشفي من كل داء ، و « زينب »

الرومانسي اذا ما تطلع الى الماضي ، كما يتمثل في الجادات خلسة . حين وشغافية وعشق لا يمكن تجاسل اي منها اذا ما رجس به الخيال الى الماضي السحيق او القريب ، واذا ما صور دياره ومعاهده وملاعبه ، ورفاقه الصغار وحب الطفولة الوديمة . ويسود الصراع بين حسه الخائن وادراكه الفني في هذا اللون من القصص ، او لتقلل انه صراع بين الرومانسية والواقعية . في تصوير الماضي ثم الحكم عليه از وضعه في اطاره ، او مكانه من خط تطورنا العام . تلمس ذلك في قصة « بيت سيء السمعة » وهذا البيت كان على اطراف مصر الجديدة من ثلاثين عاماً او تزيد ، وكان « آل حلاوة » اصحابه متحررين بالمعنى المصري ، يستقبلون الاستدعاء والانتداب ، وتخرج فتياتهم سافرات ، وربما متبرجات ، بما وصم البيت بسوء السمعة ، على حين لم يكن من سوء السمعة ان يتزوج الرجل من ثلاث نساء ، ويطارد الرابعة ؛ وبطل القصة يلتقي بفتاته القديمة وقد نكص عن زواجها من امد بعيد ، فنذكر كل شيء في لمحة ، وحين عاد الى بيته فتح دفتر مذكراته القديم ، واستخرج منه رقم تلفيز آل حلاوة ، وطلب الرقم ، متسائلاً : بيت حلاوة ولكن صوتاً خفياً اجابه : « لا يا سيدي .. هنا محل الطبلي لبيع الخيش » . اي ان اسلوب بيت حلاوة الذي وصمهم بسوء السمعة قديماً ، صار الآن اسلوباً مستهلكاً وقديماً جداً « كالخيش » ! وستترك جانباً الجزء المفتعل في نهاية هذه القصة اذ يتقدم بطلها الى المسرح مع كريمة وسائر الاسرة ، فقد دعاهم احد زملائها في العمل ، وقبلوا الدعوة على امل تزويجها منه ، مع ان الداعي لم يشر بعد الى شيء من ذلك .. ويتكرر الصدام بين الرومانسي والواقعي في قصة « عابر السبيل » — من نفس المجموعة — وفيها نتبع فتاة يونانية وشابين وطنيين يتقابلون كل صباح في شارع واحد ، اذ يسعى كل منهم الى عمله ، ويقتل اللقاء الصامت مع محاولات الاحتكاك والتصدى لآخر من ثلاثين عاماً . وأخيراً جمعت بينهم ظروف طارئة ، وتصارحوا ، وقرروا الاحتفال بثلث قرن من الصداقة الصائبة .

ولكن الاحتفال نفسه انتهى بصورة خلسة ، اذ حاول احد الرجلين — الذي لم يعد شاباً بالطبع — ان يسرف في الشرب ، وان يغازل سيدة لم تعد فتاة . لم تعد من اهل الغزل !

وفي مجموعة « خبارة القط الاسود » نجد تجربتين اخريين ، تنطويان على هذا التمازج او الصراع بين الرومانسي والواقعي . في قصة « فردوس » تصادف نموذجاً فريداً من الرجال . هو صحفي قديم ، حارب

اولى مجموعاته القصصية ، كما تركها في رواياته التاريخية الثلاث . ففي قصة « يقظة المومياء » تعود الروح الى مومياء فرعونية لرد الكرامة للاحفاد وتنقذ من الباشا الاجنبي المهتمين بكرامة التاريخ وعزة الاحفاد . وقد سبق ان اشرنا الى قصة « الشر المعبود » وليس فيها من الفرعونية الا ارض الحدث ، ولكن القصصتين يمكن اعتبارهما اول محاولاته الرمزية ، واول تعاطف مع الماضي السحيق . اما القصة الاخيرة « صوت من العالم الآخر » ففيها يظهر اثر الكتاب المترجم كاوشرح ما يكون ، لانها عن روح « توتي » احد افراد الحاشية ، يروي من العالم الآخر ما حدث لجسده ، وما تشاهد روحه من تقلبات احيائه بعد موته . وهذا السرد التصويري لجوانب من العقائد المصرية والحياة المصرية في القديم هو ما اتجه اليه جيمس بيكي في كتابه الذي ترجمه كاتبنا الكبير .

ولم يلق النقد الاجتماعي عند نجيب محفوظ في قصصه القصيرة ، محصوراً في اوضاع الطبقات او في تلمس مظاهر التطور من خلال تصوير شخصيات تعيش - بالوجدان او بالخيال - في غير عصرها مما يمكن ان نعتبره - بشيء من التسامح - نقداً تاريخياً . فقد شغلت الاسرة ، او لنقل : العلاقة بين الرجل والمرأة . ومجموعة القصص الاولى « همس الجنون » تكاد تقوم في مجموعها على هذا اللون من القصص . وهذا طبيعي بالنسبة لسن الكاتب وفترة البندى . فالشباب ينظرون الى المرأة على انها عالم الغوض والاسرار ، وموضع الاحلام والتمني ، ومصدر القلق والعذاب . وفضلاً عن ذلك فان محاورات الحب ، ومكاييد الكراهية ، وحيل الخيانة نهر طامس يجري ، ويستطيع الكاتب البندى ان يغترف منه بيده ، لانحصار استنتاجه في قصص العلاقة بين الرجل والمرأة ظلت تتناقص كلما تقدم به العمر ونضجت الرؤية الفنية . واذا طرحت القضية في اعماله الاخيرة فغالباً ما تأخذ طابعاً رمزياً او انسانياً عابياً ، ولهذا مكانه من هذه الدراسة . ويهتم الكاتب بفكرتين يدير عليهما قصصه عن المرأة غالباً ، في بداية حياة الفتية : فكرة خيانة الحب ، سواء قبل الزواج او بعده ، وسواء كانت الخيانة بالحبس او الوجدان . وفكرة توافق السن بين الزوجين وما يمكن ان يؤدي اليه الفارق الكبير من كوارث . نجد هذه المعاني في مجموعته الاولى مطروحة في بعض القصص التي عرضنا لها ، كقصة « عبث ارستقراطي » مثلاً ، ولكن العبث بالعواطف لا يكون دائماً ارستقراطياً ، انه قاسم مشترك انساني اعظم ، في قصة « الشريدة » نجد الزوج الخلاف الطامع في مال زوجته ، يترك لها

غداة الحارة الجميلة ، التي كانت تنظر اليه من خلف شيش النافذة وتعجب بشقاوته في اللعب فيسألغ ويبدع ! وينادى الشيخ الحارة وهو يشعر بضرورة تكرار الزيارة ، ولكنه لا يلبث ان يسلم بعدم امكن ذلك ، ويبضي ، ونافذة زينب اخر ما يلمس وجدانه . هكذا تنتهي القصة ، ولكنها تنطوي على كليات ، هي قصيدة رومانسية رائعة ، عن الزمن والمصر ، عن الوجود والفناء ، عن ثقل الاحساس بالحياة بين العفوية والوجدانية ، يخاطب الشيخ نفسه على المهي مستحضراً صورة الماضي : « ولكن الصحاب كانوا كثيرين . كانوا عصاة تملأ الحارة ، لكنهم ضاعوا من الذاكرة فلم يعد لهم وجود ، ولم يعد من المهم ان اسأل عن مصائرهم . ولا ادري ان كنت لا ازال حيا في بعضهم ام انني ميت اكثر مما انصور . على اي حال عشنا في الحارة حياة الحضور الكابل ، وهي اقصى ما نستطيع ان نمارس من خلود . حياة حاضرة تبدو عادة راسخة ممتدة . ممتعة عن النسيير او الاضمحلال ، فضلاً عن الزوال . ولم تخل من مقومات الحياة الجوهرية بين طرفي العبث والفنيبات . واميلات بالحب ولكتي امنت بانه بلا ثرة ، وعرفت الموت كغرق مروع قطيع لا يخفف من بلواه شيء ، ولا الايمان نفسه ، ولم اشعر غالباً بما بين ابعاد ديناي من تناقضات ، ولكتي عشت السرور بلا حدود ، كما عشت الحزن بلا عزاء » . هل يغض من قبيح هذا الحوار الداخلي العميق والمكثف ان نقول ان احساناً به ناقص ، لانا لم نعرف على الشخصية تعرفاً كافياً يتيح لنا متابعتها في انسيابها اللامعوري ، او لانا راينا جوانب من ذكرياتها القديمة لا تساعدها على بلوغ هذا العمق من الفكر انطلاقاً من منطق الاثران !!

وهكذا كان موقف ادبنا من الماضي في قصصه القصيرة ، وهو موقف ينسجم مع موقفه منه في رواياته ، ففيه وحدة فكرية ، او هو موقف كلي ، واذا ما تذكرنا الثلاثية ومصادر شخصياتها ، وتبدل ملامح الايمان وخضوعها لقانون الوجود الصارم ، بكل ما عليها من كائنات ، سنجد هذا التمازج او الصراع بين النظر الواقعي التحليلي الذي لا يخلو من قسوة الحكم العقلي والاعتراف بمعطيات الواقع ومنطقه والاستسلام للتمني ، باستيقاظ صورة الماضي ، او الجوانب الحاتية منها ، واستلهاهم العزاء من اطلالها العامرة بالمشاعر الرقيقة .

ولمنا نذكر ان اول محاولات نجيب محفوظ على طريق الكلية ، كانت ترجمة كتاب عن الانجليزية بعنوان « مصر القديمة » وهذا الكتاب ، متضامناً مع الموقف القومي التقليدي للكاتب المصريين ، ترك آثاره في

حريتها الجنسية في مقابل قدر من مالها ، وفي قصة « خيانة في رسائل » نصادف الفناة التي تظهر الحب وتضمر الزواج ممن هو اسرع ايماناً به ، وفي قصة « الهذيان » نجد الزوج المحب يكتشف خيانة زوجته اذ هي تهذي تحت وطأة الحمى ، ويؤدي به اكتشافه الى الانتحار ، فيقال انه انتحر حزناً على وفاة زوجته . وفي قصة « كيدهن » تثبت الزوجة الشابة بزوجه المعجوز ، والامر هنا يبدو كمعادلة قدرية ، اذ كان عاشاً في شبابه . وفي قصة « روض الفرج » يجد الطالب الريفي طريقه الى ملاهي روض الفرج القديمة ، ويتعرف براقصة مجرية ، تنسيه دنيا السذاجة وتوشك ان تبتاع به ، في الوقت الذي نما فيه الخبر الى والده ، فنبهته الى الملهى ، ويراقب ولده من بعيد ، وهنا تحدث مفاجأة غير غريبة ، فليست الراقصة الا ام الفتى التي هجرت قريتها من سنين ، ويدركها زوجها قبل ان تتحول الى يوكاستا ، وتحول ولدها الى « اوديب » من الريف . وفي قصة « ثمن السعادة » نجد الزوجة الشابة التي تعبت برباط الزوجية ، والزوج المعجوز يتغافل ليحصل لشيخوخته ولطفله من الزوجة الاولى المتوفاة « ندى السلام والامان . وفي قصة « نكت الامومة » نجد الحب المجرم يتكسح اعقب المشاعر الانسانية ممثلة في الامومة ، فتحول الام بين ابنتها والزواج حتى لا تبدو متقدمة في العمر ، بل تدبر مكيده تبسود فيها ابنتها بظهور اللعوب ليجرّها خطيبتها . وفي قصة « اصلاح القبور » تضمر زوجة البتوفى بضرورة اصلاح قبر زوجها العزيز ، ولكن رجلاً وحيداً يقطن على راس الطريق الى المقابر ، يتبعها ، حتى ينسبها ذكرى الراحل العزيز ، فتستغل مكافأة المتوفى ، في الاستعداد للقران الجديد ويظل القبر بلا اصلاح ! ونثبت هنا ملاحظتين : الاولى : ان هذا السيل الدافق من قصص العلاقات بين الرجل والمرأة قد توقف او كاد في المجموعات القصصية التالية ، ولعل الكاتب — مع اتساع رؤيته وعمق فكرته عن العلاقات والوشائج الانسانية — كان قد قال اكثر ما يريد من خلال رواياته ، ومن القليل الذي سمح به المجموعات التالية قصة « دنيا الله » — التي حلت المجموعة الثانية اسما — ولكن « عم ابراهيم » بطلها نموذج انساني اكثر منه رجلاً لاقى الى امرأة شابة .. انه رمز تطلع الانسان للكشف والريادة ، وضيقه بالعجز والرتابة ، وتبرده على الضياع وفقر الروح . ولا بد ان نتوقف عند هذه العنفة في مكان اخر . واحدى الشرائع الثلاث التي تتكون منها قصة « زينة » تتعرض للعلاقات المحرمة ، ايضاً ، ولكنها تضعها في اطار اكثر ابعاء بهدف الكاتب المتسع الاق . ففي المكتب المجاور

للغرفة التي تساوم فيه الفناة على شرفها ، نجد صاحب مجلة علمية يساوم على تزيف مقال « علمي » عن دواء لم تثبت فاعليته ، وفي مكتب اخر نجد مؤلفاً يقع في شبك المنتج والمخرج والممثلين ليشوهوا وجه فكرته بفرض ارادتهم المتناقضة والمغرضة على عمله الفني .. هل اراد الكاتب ان يقول : ليست علاقات الدنس دائماً بين رجل وامرأة ، فيمكن ان توجد في مجال الفكرة ، وفي طعن الامانة العلمية !!

وتذكرنا قصة « كلمة في السر » بقصة « ثمن السعادة » بالفارق الضخم في سن الزوجين ، مع اختلاف الطابع العام والمغزى . وتضعنا هذه القصة امام الملاحظة الثانية ، فقد كانت المرأة في قصصه الاولى لا تخلو من ميل الى الشر والعنف والكيد ، ولكنها في قصصه الاخيرة تتوسل الى مرادها الذي لا يتغير بوسائل هادئة ، وبشيء من الفن المحبوك . في قصة « كلمة في السر » انتهى الشيخ امام وهم طاريء انساء لشيخوخته ، الى هجر بيته واولاده ، والتزوج من الارملة الجميلة ، لمدة وجيزة ، تكفي للقضاء على اوهام الغروب واشباحه . وفي قصة « شهرزاد » وهي اخر قصص « خبارة القط الاسود » تستدرج المرأة محرر باب « مشكلات القراء » الى علاقة تليفونية ، ليقبل الصداقة بغير زواج حتى لا تفقد معاشها كرملة لم تتزوج ، ولكنه حين يراها ، ولم تكن على مستوى حلمه في جمالها ، تراجع ، وتعلق بعبارته التي يكتبها للبائس ، فحبسا كناعها وصبرها ، وطالبها بزيد من الايمان .

وباب النقد الاجتماعي اوسع ابواب النشاط الفني عند نجيب محفوظ ، بل يوشك ان يكون الاطار العام الذي يضم كافة نتاجه الفني بين ذراعين ممتدتين . ولكننا سنظلمه كثيراً اذا لم ننح للرمز فرصة الانتداد ، وللمعق ان يوحى بغير ما يوحى به السطح . هنا ستبدو قصصه ذات الاغوار بمنية لادراكات ورؤى مختلفة ، ولا بد ان نتعرف على بعض اتجاهاته الغالبة ، بعد ان نكون قد اقتنا نظيرة طائر على مسار نقده الاجتماعي المباشر ، فمع التعبير المباشر عن المشكلة ، تتوافق الغزارة الكمية ، وضيق الشريحة الاجتماعية المنتقاة للتعبير عن الموقف ، وسيأتي هذا بقرتنا بسذاجة الشكل الفني غالباً ، كما سنرى عند التعرض لهذا الجانب الهام .

ولكن هذا جانب يجب ان يعالج من خلال رحلة الرمز في ادب نجيب محفوظ ، وهذا ما لا بد ان يستحق وقفة خاصة ، في حديث اخر .



ما أقسى ما عاشت ذات الوجه القمري المحزون
في هذا العصر المجنون ..
فالسمره في عينيها قد ضاعت من تحت المصباح
والبسمه في شفتيها اضحت رسما في ايدي
((السَّيَّاح))

فالليل مباح
والنور مباح
.. لكن في سقطتها لم تصبج جارية في مخدع
لم تبذل عدنانيتها للسيد في أقصى المضجع
لم تصبج تنهيدا ، ومداعبة ، ولهاث حنين
حتى لا تعطي للأيام هجينا .. بعد هجين !

• • •
لما سقطت من تحت الأقدام
في سقطة أيام !
والدنيا صارت - واحزني - شركا
والعالم لم يخف الضحك

جمعت حبات العقد الى حبات الأجران
لنت عن نهديها مرقا من عريان
نظرت في حزن مكظوم ، ومهان
.. ثم استلقيت تمثالا صراوينا للأحزان
ما أروعها بين الأحزان المشتبكه
- حتى في سقطتها - تلك الملكه !

• • •
في ماضيها عرفت بأس الفرس
عجت عود الروم
خفقت للطبيسة تنبع مثل الجدول من قلب الحبشه
.. لكن ما اسرع ما ألقت قنديلا في الظلمات
المرتعهشه



ذات النورين

للدكتور

عمده

ببدي

قريباً :

سخریات القدس

مجموعة قصصية

للمرسان : فرحات راشد الفرحات

صدر حديثاً

كتاب النبات

للأصمعي

تحقيق / عبد الله الغنيم

صدر حديثاً

عينك علمتاني

قصة تأليف

شوقي الراوي

هذا النبعُ الغافي من نَبَسَةٍ
فإذا الدنيا في بحرِ النورِ تَعُومُ
وإذا الدنيا - ولقد كانتْ مثلَ سُدُومَ -
كتبَ ! وأزاهيرٌ .. ونجومٌ ..

• • •

هولاكو .. لم يتركْ في مُطْلَئِها الآرِثَ
ولقد ماتَ الفُرسَانُ الزَّرَقُ الأعينَ
في حَيْمَتِها من دَهَشِه
.. حتى من قالتْ : وامتصماه

قالتْها في كِبَرٍ عربيٍّ تِيَاهُ !
.. حتى لما سقطتْ - خَجَلَى - من عَيْنِهَا غُرْطَةُ
لم تصبُحْ أيامُ الحَزَنِ كُرَاتٍ مَطَاطَه !
.. حتى لما أنْ أُرْهَقَتْهَا سَيْفُ الحَجَاغِ
لم يكسِرْ في كَفِّها - رَغَمَ حَصَادِ السَّخَطِ -
المصباحُ الوهاجُ
.. لم تهربْ من قلبِ البَحْرِ العربيِّ الأمواجُ !

• • •

فلنَبْتَسِمْ يا ذاتَ العَيْنَيْنِ السوداوينِ
يا مَنْ قَدْ قالوا عنكَ « بعيدةٌ مَهْوَى القُرطِ »
.. لا تَأْسِمْ إِنْ مَضَعْتَ « هِنْدَ » كَبْدًا في السَّدَقَيْنِ
.. لا تَنْزَعِجِي إِنْ جَاءُوا فَوْقَ الرُّمَحِ بِرَأْسِ
شهيدِ اللهِ « حسين »
.. لا تَرْتَعِدِي من ليلِ الأَحْزَانِ المَفْقُودِ الشَّطَنِ
.. لا تَبْتَلِسِي إِنْ ضَاعَتْ مَاسَاتٌ مِنْ عِقْدِكَ
فلسوفُ نُعِيدُ الكِبَرَ إِلَى نَحْرِكَ
.. ولتَبْتَسِمْ
يا ذاتَ النُّورَيْنِ !

من
رِقاد
أدبنا
المعاصر



ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

البير الديب

بقلم / البدي الملم

يوسف المارونية «لدراسة اللغة العربية والتعمق في قواعدها وآدابها».

وبعد تخرجه من هذه المدرسة زاول الصحافة التي خلق لها وتيمه هواها ، وعمل في جريدة «الرقب» لصاحبها جورج طنوس وفي «المرأة الجديدة» و «الروايات المصورة» و «الاسبوع» لعبد القادر المازني و «النيل» و «الإنشاء» و «السياسة الأسبوعية» ، وأخيرا حطت به عصا ترحاله في «كوكب الشرق» الجريدة الوفدية الكبرى لصاحبها المرحوم أحمد حافظ عوفس ، وراسل من القاهرة «الجريدة التجارية المصرية» لسان حال الغرفة التجارية في الاسكندرية .

مع اطلالة شهر تموز من عام ١٩٠٨ ولد «البير» في مدينة «ميترا دل اورو» بالمكسيك ، وحملته أمه الى لبنان عام ١٩١٤ ليزورجده الوجه المرحوم بطرس أديب رئيس بلدية «دير القمر» عهدئذ ، ولما بلغت به ثغر الاسكندرية ألت بالصبي حرارة أفعدته عن السفر مع والدته الى لبنان ، وبعد قليل أعلنت الحرب العالمية الأولى فلزمت والدة ووليدها ثغر الاسكندرية بإشارة من قريبها المرحوم سعيد أديب المغترب في المكسيك !

وفي الاسكندرية دخل «البير» مدرسة ابتدائية ثم قصد القاهرة مصحوباً بوالدته والتحق بكلية الفرير وبعد أن أكمل فيها المرحلة الثانوية بارحها إلى «مدرسة القديس

وفي عام ١٩٢٧ قصد ام درمان في السودان وعين محاسباً في دائرة المالية . وبترتيب متفق عليه مع حزب الوفد كان يرسل أمهات الصحف الوفدية في القاهرة اذ كان هذا العمل محظوراً ، على السودانيين والمقيمين في السودان . وفي ام درمان عمل محرراً في جريدة « حضارة السودان » الناظقة الرسمية بلسان حكومة السودان . وفي جريدة « ملتقى الحضارتين » لصاحبها محمد سليمان داود متدبل .

وفي صيف عام ١٩٣٠ عاد « البير » إلى القاهرة ليستأنف عمله في صحف الوفد . وفي هذه الأثناء استقالت حكومة النحاس « باشا » وخلفه في تأليفها اسماعيل صدقي (باشا) فقبض في الصحف الوفدية وأُمن فيها تعطيلاً . وفي هذا العام بارح مصر الى لبنان وهي المرة الأولى التي يزور فيها مسقط رأس أبيه ، فاستيقاه ابن عمه المرحوم أوغست (باشا) أدب رئيس وزراء لبنان عهد ذلك ، وأسهم في تحرير عدة صحف راقية تصدر في بيروت « كالتداء » لصاحبها كاظم الصلح و « المعرض » لمؤسسا المرحوم ميشال زكور و « العاصفة » لمنشئها الفقيه كرم ملحم كرم ، كما عهد اليه بسكرتيرية تحرير جريدة « الشعب » لأمين نخلة و « البرق » لمؤسساها بشارة عبده الله الخوري « الأخطل الصغير » و « الجمهور » للمرحوم ميشال أبو شهلا .

وفي عام ١٩٣٨ أسس « البير » « مطبعة راديو الشرق » - الإذاعة اللبنانية اليوم - وكانت بالاشتراك بين سورية ولبنان وتولى ادارتها بحكمة الربان الماهر ، ومن الأدباء الذين أسهموا في بث الاحاديث من هذه الإذاعة : ميخائيل نعيمة ، الياس أبو شبكه ، عمر فاعوري ، رثيف خوري ، نجيب ليان ، ميشال أبو شهلا ، أميل لحود ، الدكتور محمد خيرى التويرى ، الدكتور عمر فروخ ، الدكتور فؤاد افرام البستاني ، بطرس البستاني ، أمين نخلة ، عبده الله الغلايلى . صلاح البلايدى ، كرم البستاني ، الدكتور نقولا فاضل ، الدكتور سليم حيدر ، مصطفى الغلايلى ، عبده الله المشوق ، مارون عبود ، شيلي ملاط ، خليل نقى الدين . الياس خليل زغريا ، كرم ملحم كرم وغيرهم من أهل القلم .

وفي عام ١٩٤٢ صدر العدد الأول من مجلة « الأدب » في مطلع كانون الثاني والحرب العالمية الثانية مشوبة للظي ، وبالرغم من قحط الورق وغلاء الثمن وارتفاع نفقات الطباعة أمسك « البير » بالجرم . . . وفي سبيل الاستمرار على اصدارها باع ما كان يملك من مجموعات طوابع وتحت تذكارية !

وفي ١١ تشرين الثاني من عام ١٩٤٣ اعتقلته السلطات الفرنسية في بيتيه وأرسلت المرحومين الشيخ بشارة الخوري ورياض الصلح الى قلعة راشيا . وفي بحر هذا العام انتخب « البير » مفوضاً للدعاية والمعارف في « عصبة العمل القومي » . وفي مطلع آذار من عام ١٩٤٩ أسس « البير » مع الاستاذ كمال جنبلاط « الحزب التقدمي الاشتراكي » وانتخب أمين سره العام ثم انتخب أمين سر « كتلة التحرير الوطني » الذي كان يرئسها المغفور له عبد الحميد كرامي ، وما لبث أن ودع الحياة السياسية وأعلن انسحابه من ميدانها في الصحف . وطلب منه أصدقاؤه والمعجبون بخلقه الرفيع ترشيح نفسه للانتخابات النيابية لكن قابيل هذا المطلب بالرفض ، وأثر العمل في قطاعي التوعية والتوجيه على بهلوانية السياسة ودوران محترفها !

وبعد صدور « الأدب » أطلق صاحبها المتفتح الذهن عبارة « الخليج العربي » على الخليج الذي يطعم به الشعوبيون . ونشأت هذه العبارة بعد ذلك الصحف والدول العربية ! وكانت أكثر المجلات العربية اقليمية وطائفية . ولما أظلت « الأدب » على الوجود أشرعت أبوابها لاحتضان الفكر العربي والأدب العربي من المحيط الى الخليج . وعرفت الأدباء العرب بعضهم إلى بعض ، وكانت تقديمية وطليعية وقد أفضحت المجال أمام المواهب الناشئة التي لم تجد في بلادها متسعاً او مجالاً أو تشجيعاً ، إلى جانب نشرها اثار الأدباء الكلاسيكيين لأنها تؤرخ للأدب العربي في مختلف تياراته الطليعية والكلاسيكية . وتقديرأ من نقر غيور على الصحف الشريفة أهدى ثلاثة من أعلام الأدب العربي المعاصر مجلة « الأدب » ثلاثة من الكتب القيمة هي

١ - (جفون تسحق النور) للدكتور بدیع حفي

صدر هذا الكتاب عام ١٩٦٨

٢ - (رباح كانون) للفاصل الكبير الأستاذ فاضل السباعي

صدر هذا الكتاب عام ١٩٦٨

٣ - (قضاي ومجامر) للأدبية الشاعرة الأستاذة ثريا ملحس

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٠

وكانت كلمة « الاهداء » التي صدرت بها الأستاذة ثريا كتابها الأتيق :

« تحية إلى مجلة « الأدب » العربية وقد اجتازت مرحلة عصيبة بالرغم من شدتها تخدم في أكثر من ربع قرن الأدب العربي والقلم العربي واللسان العربي ! هي ملتقى رحب توجد فيها الناطقون بالفضاء !

أبيراڊيب

معظم ما كتبت في هذه المرحلة قد نُشر سابقاً في مجلة «الأديب» ، فأقول ما نفعل نحن الذين بدأنا نكتب فيها أن نحييها بمرور ربع قرن أو يزيد على ولادتها ! » .

ومساء الخميس الواقع في ١٨ كانون الأول ١٩٦٩ دعت « نقابة الصحافة اللبنانية » و « نقابة محري الصحافة اللبنانية » و « رابطة الشباب المثقف » في بيروت الى مهرجان أدبي أقامته في قاعة محاضرات وزارة التربية الوطنية في بيروت برعاية الأستاذ رشيد كرامي رئيس الحكومة اللبنانية سابقاً تكريماً لمجلة « الأديب » ومنشئها الأستاذ الير أديب . وكان خطباء المهرجان اعلاماً من لبنان وسورية والاردن ومصر والعراق وقد علق وسام الارز الوطني باسم رئيس الجمهورية اللبنانية على صدر المحفي به الدكتور شارل رزق .

نماذج من شعره : نظم الير أديب الشعر المشهور في صباه وصدر شبابه ، وقد خرج فيه على المألوف الذي عرفه الشاعر العربي القديم ، وفي عام ١٩٤٦ نشر في دار المعارف بمصر « مجموعة من الشعر الوجداني الجري » حملت اسم (لمن ؟) ولو جمع منظوم رائد الشعر العربي الحديث لاستوعب ديواناً ضخماً مزداناً بشعر رقيق ذي تلاوين فائنة وأطياف ساحرة وصور براققة !

كان الير أديب أحد رواد ثلاثة كتبوا القصيدة النثرية بالعربية ، وكان رفيقي دربه جبران خليل جبران وأمين الريحاني .

وكما عالج « الير » القصيدة النثرية عالج كذلك الشعر الطلق الذي يؤدي جميع خصائص الشعر دون وزن أو قافية ، وفي هذا الشعر تتوفر اللوحة الشعرية والكلمة الشعرية والرؤيا الشعرية والتجربة الشعرية والموسيقى الداخلية والابتناع ، ويخلو هذا اللون من الوزن والقافية والتفعيلية .

والأستاذ « أديب » لا يؤمن بالتزام الشاعر ... فهو يتنادي بان يكون الشعر حراً من كل قيد ... انه ابداع مطلق ! وفي هذا الصدد يقول « الير » : « وإذا جعلناه تابعاً لمذاهب أدبية وعقائدية توقف سيل الابداع وتحول الى عمل

نحني يفقد خصائصه ومزاياه ! »

ومن شعره المنشور هذه المقطوعة وهي بعنوان (أنا) :

كأنني في زحمة الدنيا
أسير أنا ، نهالك من جراحة
يلف بمطره الأنين
أمانيه العذاب
ويعثر في الخطو من اتراحه
كلما أرسل الطرف بعيداً
شد على الأنين بوشاحه
أنا كالأند الجريح ان ارسل الصيحة
ارتعدت فراقص الغاب
وجلجلت بنواحه

يا لجلل البغات اذ فجعني السفع
وما دلت أن الذرى دون طماحي

أنا لم أملك بغصة المجسد
فقد مسح جبينه بجناحي
وتحمل المقطوعة التالية عنوان (سأم) :

ومن السأم بضع حنين
ويتنأب سكون بليد
وتطلق ذباية بلهاة
تطير ... تدور ...
تلف تبحث
وتعود من جديد

هو في مقعدو
مرسم
كانه قطعة من جليد
بنوب اعطافاً

ولا يدري
كانه أسير وجد مريد

ويتنأب السأم

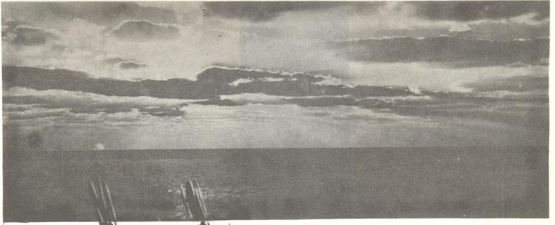


فيأخذهم الاشفاق عليها
ويتألمسون !
امرأة ثانية تصلي الى الله
ويعمر بها الذين عرفوها فيقولون :
هي اشباح الضحايا
تترافق أمامها في الليل فترعبها
فهل تنفعها الصلاة ؟
أما هي ، فيجف لسانها
ولا يفيدتها التوسل شيئاً
فتمض على شفتيها من الحنق
ويسيل دمها أصفر
فتشرب منه
ولكنها لن تروني
وتتوت مسمومة بذلك الدم الملوث
وهي تصرخ : الماء ! الماء !
فترد الأودية والكهوف صدى صراخها
حتى يتصل الصدى بالهاوية السحيقة
فتحضنه وتخدمه في أعماقها المظلمة !
وعندما يقترب الفجر من الظهور
تتجد أيدي الأشباح الى ذلك الجسد الأسود
ويبدأ يرسل الفجر من غره قبل الوداع
على بقايا العمة الحائرة
يفتح نسيم الشروق الليل الأبواب والتوافد
وهو يستريح بانسودة الحياة !
حامل من عليا الروابي وقمم الجبال
عبر الوردة المنقية
وحفنة من التراب المقدس
لتطهير ذلك الجسد !

« البدوي المثلث »

ويتألم السكون
حتى الذبابه
لا تطير
كان الربيع ماتم الربيع
سأم
فاغر شديقه
تترجرحه بالصديد
وفي (اللوحة) التالية لون من شعرة الطلق :
هي تطلب الماء ، ابدأ ، لترتوي
ولكن هيبات أن ترتوي . . .
لقد شربت من يدي
كما شربت من فمي
فقدمت لها عصارة نفسي
وسكبها كالغجر في فمي
فما كادت تشرب
حتى تحممت شفتاها
كأنما تطلب الارتواء
والقطرة الأخيرة
ما زالت تكرر على لسانها
ولقد شربت كثيراً من غيري فما ارتوت من أحد
وسوف تشرب الى أن تنلاشي
وهي أبدأ ظمآنه
لا ترتوي !
وكما أنشيت أظفارها في صدري
تطلب الماء
ثم أخرجهما تحمل قطعاً من كبدي
فكذلك سوف تنشبي في صدر غيري
إلى أن تخور قواها
وترتمي على ركبتيها في الضعف والوهن
محولة الغدائر ، كسيرة الفؤاد
في طلب الارتواء
ويعمر بها الناس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhril.com



ولكنني لم أجد داعيا •
فكلهم هاهنا صامتون •
أنساخ عليهم وقار حزين •
ودرت حواليك والراقدون ،
كانهم من تراب المتابر •
هناك بقايا زهور قديمه
كستها الأعاصير ثوبا دميما ،
فأمست هشيما •
هناك بقايا لأعشاب صيف
تمد أظافر شوك طويله •

شعر خليفة الوقيان

ورحت أفتش في كل صوب
كانني أضعت هنا بعض قلبي
هنا نام أحبابي الأقربون

أدار المواسون أكتافهم
ومروا سراعاً
وكم مر قبلهم آخرون •
وبت وحيدا •
وحين تواروا نظرت اليك
لكي لا أرى أعين الناصحين
وأسمع هممة المشفقين
فإذ أنت كومة طين مبل
على جانبها نما حجران
وساءلت نفسي ،
أين الشباب • وأين حديثك والقهقهات •
وأين وقوفك طوداً منيعا
كانك تهزأ بالحادثات •
وأين •• وأين •• وأين ••

هناكَ جثاَ بعضُ صَحْبِي
 كَأَنِّي أَرَى كُلَّ تِلْكَ الْعَيُونِ
 تَطالِعُنِي تَعشَقُ الْمُتَقَلِّبِينَ
 لَتَسأَلَهُمْ عَن أُمُورٍ كَثِيرَةٍ
 لَتُخْبِرَهُمْ عَن شَأُونٍ كَبِيرَةٍ •
 كَأَنِّي أَحْسَسُ بِمَا يَشْهَدُونَ
 كَأَنِّي بَعْضُ الَّذِي يَسْأَلُونَ •

وَبِتَّ تَتَاجِرُ حَوْلِي الرِّيحُ
 أَطالَعَ أَسمَاءَهُمْ سَاهِمًا
 وَأَسأَلُ كَمَ قَدْ أَقَامُوا
 وَأَحْسَبُ أَعْمَارَهُمْ حِينَ غَابُوا
 وَكَيْفَ هُمْ الآنَ هَلْ مِنْ بَقِيَّةٍ •
 وَأَحْسَسْتُ بِالْأَرْضِ حَوْلِي تَدَوَّرُ
 وَيَخْرُقُ سَمْعِي نِدَاءُ الْقُبُورِ
 وَحِينَ تَمَالَكَتْ نَفْسِي قَلِيلًا
 تَوَسَّدْتُ مِنْ بَعْضِهِمْ شَاهِدًا
 وَأَغْمَضْتُ جَنْفًا عَلَيَّاءُ ثَقِيلًا •

وَحِينَ صَحَوْتُ نَظَرْتُ بَعِيدًا
 وَقَدْ مَالَتْ الشَّمْسُ نَحْوَ الْمَغِيبِ
 بِطَرَفٍ كَسِيرٍ وَوَجْهٍ كَثِيبٍ
 قَدْ اصْفَرَّ حَتَّى بَدَأَ كَالْتَرَابِ
 وَقَمْتُ أَوْدَعَهُمْ مَرَعَمًا
 فَلَا بَدَّ مِنْ فِرْقَةٍ بَعْدَ حِينٍ •
 لَسَوْفَ أَعُودُ لَكُمْ عَن قَرِيبٍ
 نَبْقَى سِوَايَا

وَعَدْتُ لِأَصْحَابِكَ الْإَوْفِيَاءِ
 فَإِذَا هُمْ كَدَابِهِمْ يَضْحَكُونَ
 وَيَلْهَوْنَ يَشْدُونَ يَسْتَمْتِعُونَ

كَأَنَّكَ بَيْنَهُمْ قَائِمٌ
 كَأَنَّكَ مَا بَتَّ عَنْهُمْ بَعِيدًا
 كَأَنَّهُمْ بَعْدُ مَا ضَاعُوا
 وَمَا خَلْفُوكَ حَبِيسُ التُّرَابِ
 يَسْدُ عِيُونَكَ ،
 يَطْوِي حَدِيثَكَ ،
 يَجْثُو عَلَيْكَ كَسَدَ مَنِيْعٍ
 لَسَوْفَ يَقُومُونَ عَمَّا قَرِيبٍ
 وَيَزْدَرُونَ شَهِيَّ الطَّعَامِ
 وَقَدْ يَشْرَبُونَ ... وَقَدْ يَنْتَشُونَ
 وَقَدْ يَذْكُرُونَكَ شَيْئًا قَدِيمًا •
 وَسَوْفَ يُجَبِّونَ هَذَا الْمَسَاءَ
 كَعَادَتِهِمْ كُلَّ لَيْلَةٍ •
 وَسَوْفَ يَنَامُونَ لَا يَحْلُمُونَ ،
 بِأَيَّةِ نَاحِيَةٍ خَلْفُوكَ •
 وَسَوْفَ تَنْظِلُ بَعِينِي مُقِيمًا
 تَطالِعُنِي حِينَمَا أَنْتَ حَيٌّ •

خليفة الوقيان



عصرية خاميس



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhris.com>

مشرد بزبوت الزفة
شموع الزفة

أنتظرز أشيلل
نظفرا نوابه

قصة بقلم / سليمان الخليفي

خاصة . فلتركز الخطوات ، وعدم انغلاقها الكابل ايقاعه اللذيذ مع الارض ورقصة الجسم العفوية. هذه عملية حب لا بد تجاه العالم وتجاه الزوج . الا ان شعورا بالغ التعقيد يتجادل مع هذا العطاء وهذه الصلة والقربي ، لتستوي تلك الروابط في وضوحها وعمقها اكثر بعدا — ها هي نورية من خلال ثغرة كانتساع الفم يهرب من عالمها ما يهرب احيانا .

كان العالم لا بد .. اكثر اشراقا ، ثم اكثر ايلاما وحقيقية ، فشرع بالاطمئنان . فالمحادثة كانت والصباغة الى اخره قد اصبحت اساء للعوائل تميزها . وان فشل الاوائل في الزواج من الآخرين ، فان هذه اشياء لم تعد مصدر قلق . فليس مما يقلقه اكثر من ضعف الانساق بين ال ..
— اللعنة ..

... في لحظة تستعيد الشمس البياض فيها من الاشعة ، وتنسم البناات السبع ، بالقي كباطن المحار، خرج يعقوب ككل مرة ، شاعرا بفلظة وعلو الحائط القائم حول بيته ، وبشكل حاسم تجاه الشارع، ويببت الجار الاخذ وبيته شكل صليب لم يكتمل ، وواصل السر .. على الشارع الرئيسي حيث ينمو في العادة لديه شعور احتفالي — ناس ، معارف ، كثير العدد ، عميق التمايز ..

اليوم الخميس ؟

وسيلتقي بالرفاق ونورية بوالدها .. وللجعبة يبقى السداع والسام .

— عطيني ماي .

عندئذ تبشي نورية . وكان للعطاء هناك مشية

— المدام كلمتي عن الحوش ..

تري ما الذي يتغير ؟ هناك اشياء تصنع على الرغم من فشلها مسبقا . وبيننا تجف الكف من على خد غازي ، في وقت بلغ احراجا فيه مدام ، لمح زميله احد في هذه العلاقة لوتسا عاليا . قال : ان الفتي في الاشياء يبدأ ما ان يستطيع التواتر في ما بينها ويد الفنان — وضحك لأول مرة في تلك الليلة — ودرجة اللون هذه بالذات ، هي ما ارادته مضمونا لكنها . على ان المساوي في الموضوع هو تلاشيها بسرعة . والذي يذكر به « عندي » البحار ما ان يصرخها حتى تصبح اللؤلؤة عند « النوخة » وفي كيسه الاحمر . ذلك الخسيس كان حافلا .. حتى فوزية لم تكن هناك . حقيقة لم يعد ابلوس يذبح كل خميس .

— لان الحوش ..

— صحيح يحتاج بعض اللهبات .

.. الليالي ليست جميعها « قمارية » وليس بإمكان الاشياء جميعها ان تهرب في كل الاوقات من شفرة بمقدار الف . في البداية كان حبه ونوربه ، عملية احساس حاده بالتخلي عما هو فردي ، اما الان فانه نزعة قلقية من اجل التكامل .

.. هذا الاحراج يبدو على شفيتها ، اجل ليس خوفا . تري ما سببه ؟ ولكن — دري وما دري — تسائل : « هو الاثنين ؟ فكد ان يشتمن من نفسه لولا نقشه بدم استطاعة ابن الجار تجاوز اللحظة البين بيتيهما ، حيث الشارع يعرقها ، لبقى البيتان مشروعا مستترا للصليب . وبيت الجار شاهقا ، متعاليا ، ما ان يعلو على الحائط الغليظ حتى بدو مشرفا على كل البيت ومكشوف في ذات الوقت من امامه .

.. ومرة اخرى يخطف الفستان الارجواني . الذي يترجم الجسد كاحلي .. انه الجسد يتكلم بلغة الفستان . وكاد ان يخرج احد العجائز ، ليس من توازنه بل كلفة ومن التاريخ . الا يشعر به كالحس المسلط ؟ ليس هذا جمالا . انه اشياء عديدة ، ولعلها خطيرة ، هربت منه على حين غفلة . وها هي تضيق من حوله ، ممكنة الاستعادة . لا . لعله ليس كذلك . لماذا .. لا . لا . فعلا .

نورية ؟

ان فوزية تختلف . تتقاضى المال ، فهي ذات شرط . لقد تجاوزت الاعراف وطقوسها وها هي تستطيع تلخيص حظها من الحياة ، تكليفه ، واستقاطه مضمونا في شرطها الاجتماعي . ها هي تعود بشيء جديد . وهو اذ يعرف ليس مسبقا بل وجيدا استحالة ان تمتلك — يطمح عن طريق هذه العودة بقاء ذاتيتها ،

وسحب حذاء انداح فيه الماء القذر ، فاصبح اكثر اتصالا بالشارع . وجد الهواء جافا ، والاكتانيات فقيرة ، اما الشارع فكان مريض بالعيون . والعاطفة بينه ونوربه تفرج باللقاء وامام العالم . حتى ان المرح يبلغ حد العفوية الساذجة ، وتتركب اللحظة لتماثل مجموعة من السنين ، ليتداخل الالم والمتعة في نسج كل شيء ..

— خذ .. متى تروح ؟

— حالا .. سلمي على عمي .

... سبت سبت ، الاحد عنكبوت .. هكذا يحسب عبه الايام . ثم ماذا بعد ؟ ابطوي حسابه على سخرية ما ؟ ان اعجابه الفائق يعمه اوشك ان يغمسه في صف الصغار .. لا .. ليت يعرف اذن ما يريد بذلك الوضع الذي لدى عبه (فالدنيا بالنسبة « للغيص » الذي اصبح بناء محارس — ساره دوما مخاض . وعندنا يتذكر اصحابه الذين ماتوا وهو سابعهم الباقي لا يزال ، وباتنه منذ خلق في الكويت و « بنات نعش » لما يلزن بنات — ولكم تمنى لو انهم تزوجوهن ، لولا ان اسم الوالد يتسائل : تراهم يعيشون الان معاهن خلال الشتاء ؟)

بهذا الشكل يركب العم مزاحه . تري ان الايام تستوقفه اكثر ؟ الاثنين ؟ وهل اختصار ثمة بسبب ؟ الاي .. اوب .. وكاد يصطدم ..

ارجواني ..

كان نفس اللون يسيل في الاشعة . والجسد في جرة الفستان ، فيعطي تناسلا يسلب من الذهن بعض ذهول لتحل هناك فرحة ، متوترة ما ان تتحدد بماذا ، حتى تصير رغبة . وجعله حذر العبور اكثر اتصالا بالشارع .. ناس .. اسماء بالاجنبي او بالعربي .. عبارات عالية .. عامل ياكل خبز ملقوه .. مقود سيارة لا يرى من جهة الشمال ، مكاتب ، تنزيلات ، ومصباح في ركن الغرفة لا يزال محروقا . وتذكر الرماق . نماذج مختلفة هم . وسيتحدثون هذه الليلة عن كل شيء .. كانت الفتيات اقل انفتاحا في المرة السابقة .. الم يصبح من العسير عدم اتصال الحديث بالسياسة ؟ والاغلبية تمثل العائلة بما لها وعليها .

— يعقوب

والثفت

— اهلا بو سمر

— يسلم عليك الغائب .. وسقطت الزجاجة . بطل

هذا الرجل .. الطفل يبيكي واه ..

— نزقة ابلوس .. ويحمل الزجاجة من جديد .

حيث لا ثمة ثغرة او هرب .

فأحس برغبة للرجوع الى ابي سمير . لا داعي للبهات ابو سمير .. فاستخف الفكرة . لم تكن المسألة متعلقة باللبات او بالقمر الى اخره . وبالفعل .. سستان تبر والحوش الصغير على هذه الحالة . واحمد لم يكن مصيبا ايضا .. : صحة فوزية في تلك الليلة القمرية .. خلقت تشوف نورية . هذه صدفة .. وكان سيعرف حتما ، بل انه ليدرك ، اذ ربما حصل ما هو افضل من ذلك .

.. على ان نورية لا يمكن ان تذوب في اي جهة اخرى . فاذا كانت الظروف قد تحالفت غالبا كي تجعل منها زوجة له .. فانها ستستمر كذلك . وهذا ما يجعلها اكثر حقيقيته من فوزية رفع احمد كاسه .

— بصحة طبيعة الاشياء .

— انت لا تفهمي .. احمد

— فكرت بالطلاق . وراح يعني : يامن يقول لي اهوى .. اسقيه بايدي قهوة .. ا ..

.. وشعر بالخجل . كما لو ان عقله الباطن كان يتآمر على رجولته في الخفاء .

لم يحب امرأة اخرى بنفس القدر . وهي اذ تقول .. ويه .. واي .. و — هو ، يمكن تصورها شفتان كانتا للكويك ، تبللتا بالخليج بعدما عبر المهاجر فكانت اللهجة .. حتى التفت اخذ طريقه خلال هذه الشفاه ، فاصبح جزءا من هذه اللهجة .

.. اذن فقد كانت واين الجار كجذعين منتصبين ، ورأسين متعارضين كصليب تشدهما قبلة . تمثل نفسه عندها ، وكرامي القرص ، يتوتر الى اقصى اللحظة تأنفا بكفه للوراء الاعلى ، حتى .. ثم هذا كل شيء وخجل من تذكره لعمه .. كلا ، ليس هناك اخطر من قبلة . فيها تتوقف اللغة كلفظ وتبدأ كعمل . وعندما تنفعل الشفاه ، تتورد الخدود وتحمر كما تتسرد خدود البرتان . وما تفعله العوالم الكبرى بالصغرى ليس اكثر من قبلة — ليقعد الاخر على عجزه متمسلا وقد يصيبه الاسهال ، وقد يطغى كل شيء ، على كل شيء او ينهي القبلة .

طاح .. والتفت الجميع . كان كما مرسوما احمر . واخذ يجف بسرعة فاستعاد خد غازي سمرته المعبودة .

كانت شرسة وقال احمد : ليس للرجولة علاقة بنوع الجنس بقدر ما لها بالوقت . وللراة ان تدفع الضرر عن حتما . وعبرت الفتاة الشرسة ، من ان ظرونها اعطتها اكثر من عين ، وانها لا تريد لحدود الاشياء ان تذوب في زحمة المزح .

.. تنامي به الشوق لرفاته وصنع شيئا حارا في داخله . هو الشعور ابدا وفي كل مرة بانه واجد لديهم جديدا . هذه المجاميع من على الشارع ، هل يضيع من بينها خيط ما ؟

.. مرة اخرى يسمع نفس الاغنية من الراديو ، ليغمره شعور بالضييق .. اذ لو انه وجد كتابا موهوبا يعيد تجربته — العاطفية المبتدأة والفرقة كارتب برية تحت الاضواء ولكنها تستطيع الجري — بصورة غنائية لطيفة لآخبره بكل شيء ..

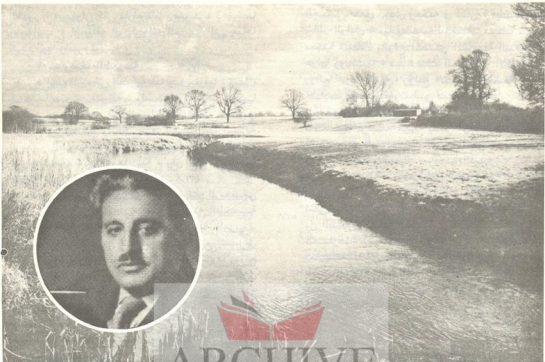
كانت الدنيا .. وخيوط الشمس قد تنطعت عن اخرها ظلاما ، لولا مصابيح كثيرة . ثم بدأت خطوات الطفل من خلفه تصبح اكثر مسموعة . فشعر بايقاعها السريع ، يخرجه فلا يكاد يسيطر على خطواته . التفت الى يساره فراه يبتسم اغراء فلم يعره الاعتبار . وحث خطاه وبينما هو كذلك اقترب اكثر من محل للمرايا حيث العالم يشتمل هي تمطيكه مخلوطا لتعاملها معه من الخارج . واصبح اكثر اقتربا .. الاضواء بجميع الوانها تغطي بيتين العلى طرقي الشارع وتصلها ببعض .

الشارع مركز لها وزاوية البداية ..

.. وخطف ذلك الشيء الاحمر ، وفي لحظة واحدة شمل عالم المرايا ، فشعر بإيلاام الاحساس باليلا — عرس اكدها لنفسه — فلقد مر عامان على زواجه كيهض الخاطر وطعنة الذكرى الالية .. فلو ان هذين العامين خاتا اطول من عامين .. اسرع الى الامام ولكنه مشدود بقدر سرعتهم .. توترت خطواته .. وتبين انه يرفع قدمه وينزلها عموديا على الارض ، كما تفعل الخيل . ارتبك خجلا وعن قلة حيلة .. كان اقترب من تقاطع الطرق . وتحت احساس من يقود سيارة ، ملاحظا لوحة المرور ، ضرب برجله على الارض بطريقة كموديه لازما نفسه في مكانه كتماثيل القبور المصرية . كانت العبارة : اولوية المرور للقدام من بينك . التفت بعقوبة الى هناك ، ليرى نفس العجوز وكان ذو وجه كالح ، كربه ، ولحية يلاصق لعابه ما بين شمعيراتها السويضر مادية لتبدو كاعواد « المضة » ، ومن بين اصابعه يتحرك مسباح بهدوء مستفز ومن معه تخرج احيانا كلمات مخلفة بفقاعات ، تنفجر فلا تعود الكلمة مفهومه ..

وكين اغشاه المنظر . امسك بعمود الإشارة على شكل ضربه . حمل نفسه تجاه نورية .. وعاد ، ففي هذا المساء سيصحب الموت — من بين ايديهم — عمه هذا المساء .

سليمان الخليفي



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وصف الطبيعة والمدن في رحلات أمين الريحاني

بقلم / حسني محمود حسين

فصلت ريشته تسكب الوان نفسه الزاهية وتمزجها من اشراق تفكيره البهيج في لوحات فنية باذخة تقرئ ظاهرا لها وباطنا ذا ابعاد مجسمة يكاد دم الحياة فيها يفيض ويفور . والريحاني لم يصف شيئا الا عن اختبار شخصي ، فنبئت اوصافه لذلك في ارض الواقع ، ومنها مدت فروعا الى دنى الخيالات في بعض الاحيان . ولم يكن الريحاني يميل في وصفه شيئا من دقائق موضوعاته صغرت او كبرت . وهو في كل حال يضيء من حالته النفسية واحساسات الفنان لديه ، اما او مرحا ، ما يفيض ينابيع وجدانه

من ابرز ما يميز الريحاني الاديب قدرته الفائقة على الوصف ، فقد تمتع بالطبيعة والفطرة بهذه القدرة ، كما يتمتع المنكبوت بقدرته على نسج بيته الواهي والقوي ، والدقيق والمحكم معا ، وكما تتمتع النحلة بالقدرة على صنع الشهد .. وكل مسخر لما خلق له ، تنطبق في اصدق ما يكون على ادينا الرحالة ، وكأنه خلق في جملة ما خلق له ، للوصف ، فزوده الخالق بادوات هذه المهمة من ارفع طراز : دقة ملاحظة ، وسرعة نائر ، وعمق تفكير ، ونفاذ بصيرة ، مانصب الفنان في نفسه لا يغفل ولا تأخذه سنة من نوم ،

الطهور ، فيستولي على قارئه قلبا وعقلا ، ذهنا ووجدانا ، اذ ينقله الى اجوائه الخاصة التي هيها لشدة اليها واسره فيها .

١ - وصف الطبيعة :

« احب الريحاني الطبيعة حبا جما متناهيا (كذا) بل حبا يدنو من العبادة ، ولست اعرف كاتبا عربيا اخر نشأت فيه هذه العاطفة للطبيعة ونهت نموها في الريحاني .. اننا والحال هذه لنعجب جدا بجزية الريحاني الطبيعية ، بتغلغله في قلب الطبيعة ، بادراكه اسرارها ، بحبه الروحي لها ، وان هذه العاطفة الفريدة تتخلل مقالاته وقطعه كلها .. » (١) .

ان من يفهم الطبيعة الساحرة التي فتح الريحاني عينيه عليها في (الفريكة) ، ليقدر مزينة الطبيعية وتنفوذه في هذه المزية على اقارنه من الادباء العرب . فهذه الطبيعة قد تزاج اشراقها وبهجتها مع اشراق ذهن الريحاني وبهجة نفسه بمذ كان صبيبا شرودا يتفتح ذهنا ونفسا في احضانها الخلابة وتتفتح له ، فامتزجت في دمه عبرا وخصبا واشسع ضياء ، وامتزج بها دمه من خلال نرف جروح الفتى الهائم وراء الفرائشات والطهور ، فوق الاشجار ، وتحت الصخور ، يتلقى تحايا الرياحين فيها والزهور . فلم يكن غريبا اذن ان يكون الريحاني بطاقاته ومكانته ، ابن بيئة وعالم الطبيعة ، وانما الغريب الا يكون . شغف بالطبيعة ، وعلم بحجها ، فكانت الطبيعة مصدر الهامة والسوحى اليه ، اجسى باتصاده معها وحلولها فيه ، فجاء الفنان ليدنه من تربيتها وصنع يديها عقلا وعصبا ، لحما ودماء ، فكان لذلك يجد فيها السلوى والمزاء ، يلجأ اليها متأبلا ، ويلج ابواب هيكلها متعبدا ، فتؤنس وحششته ، وتقر لديها عينه . فلا غرو اذن اذا ما راينا الطبيعة تتشخص وتتشبع لدى الاوين بينها شكواه ويستمع الى نصائحها وهديها ، ولا غرو كذلك اذا ما انصرف الفنان فيه الى نصب لوحات باهرة على انصراف الطبيعة وشرفاتها . وكتب رحلاته ، و« قلب لبنان » منها بخاصة ، تزخر باللوحات الفنية المحبرة ترتد في تبليل وكأني لا تطيق انتظار الفئح فيها لتنبعث انفسها وتتلاقى مع انفس القاري . فالريحاني بحق ، فصل هذه القطع الفنية من نفسه وادعها كتبه ، وكأنيها متاحف للفن (المرسوم بالحي) .

وكما اشرت من قبل ، فانه لا ينقل اليها من الخارج مجرد نقل ، وانما هو يخلق بانفعاله النفسي الاجواء التي يحيط القاري بها ويدعه في ذهول يلاحق الريشة مستطلعا بانفس جذلة حينا ، واجفة حينا آخر ، وكأنه يتربع على سطح المنظر ويراه في القرب وعلى البعد ، فما هو الاوين ينزل ويصعد في (وادي

الجماجم) خلال احدى رحلاته في لبنان ، فيجبرنا اي مناظر الوادي ، وما وصفه لنا نختر ، وكلها جميل معجب ، حافل بانواع المحاسن المغربية الفتانة برغم هولها ووحشتها ، قد « هناك العطار الاعظم يمزج روائح التربة الندية ، روائح الاشجار المخضلة وروائح النباتات العطرية وما ابقي فصل الجفاف من الازاهير البرية وان قلت ، المجهولة الاسماء ، فينتشر من مجموعها نفحة طيبة مركبة عجيبة يعجز عن تحليلها علماء النبات والكيمياء . وهناك الفنان الازلي يمزج اخضرار الارض بازرقاق السماء ، وذهب الشمس ، وفضة السحب الشفافة ، فيلغ في فن التلوين حد الاعجاز الذي يتوق اليه وعسا يحاول ادراكه الفنانون ، وفي شتى انحاء الوادي ترى آثار المثل الاكبر ، وقد نحت من الصخور التماثيل العجيبة في معانيها ، الغريبة في الفاذاها ، المدهشة المروعة في اشكالها ، وقد جمع بعضها فنا الى فن ، وجمالا الى جمال ، وروعة تتساقط اليها الروائع . فهناك جدرا عالية قائما تحت جفن الجبل ، اجتمعت فيه المحاسن الهندسية والبنائية ، ففدا كواجهة معبد من معابد الهند . وهنا صخرة ملساء منحوتة في ساعة جذل والهيام ، فبدت كأني البول وبين مخالبه القندول يوفح زهره طيبا في الربيع ، فيتغلغل في صميم الغاب ، وتنطلق من فيه في الفصول جميعا نبات الصمغ الزكية تحيي العابرين (٢) . ولقد سحره جمال الوادي وروعته ، ففراة يخلق في اجواء من الشاعرية الصادقة الاصيلة ، اذ تواتره ربة الفنون غيروح يطبع لها من الوادي سورا خالدة كخلوده ، حية كالرحيق في الزهور . وهي وان كانت سورا من الواقع ، الا ان الريحاني يسو بها الى قمة فنية سابقة وهو يستعير لها اجنحة عقبان الوادي تسبح بها في شيوخ ، وتنقل من ذروة الى اخرى امام مجلس الارباب ، وربة الفن تتباهى فيه بآبن من ابناءها المجددين .. ولنشاهد مع ذلك المجلس نماذج من صور الامين الرائعة التي ينسبها لوحات فن باذخة في معرض الطبيعة الذي يتزخلق في ساحته مبهورا بجمال ما صنع المصور الاعظم . » وادي الجماجم في الزمان الغابر ، وادي الروائع في هذا الزمان . هلكه في بحر من النور ، فوق بحر من السكون ، فوق بحر من السلامة والاطمئنان . ترتل فيه الجنانبد ترائيل الظهر والمساء ، ويؤذن فيه الوروار ودويك الجبل ، وتغرد فيه الحساسين . وانك لتسمع ايضا من حين الى حين وقع حوافر الدواب ، وهي تنزل او تصعد في مدارجه ، فمردد صداها بين الصخور . والمعلقات من الصخور ، والهوايات تحتها ! هاويات حقيقات تسكن فيها اجنحة العقبان ، هي هابطة

واصواتا كدوي الامواج بين الصخور « (٤) » . ولا يكتفي الفنان بسحر خياله ، ولكنه يعدد الى ذهنه وما يعي من مكانة هذا الارز في الماضي ، فيلته في غلاتل من وجدانه اذ يضع اذنه على تم الزمان ليسمعه صوت التاريخ في هذه الهمسات والاصوات ، فما هي الا اصوات الفينيقيين يصفون محاسن خشب الارز لملوك الارض في مصر وتنبؤون واشور وفارس .. واصوات الملوك والنجال والمناشير والمطارق في الغابات وفي المصانع وهي تقطع الخشب وتصنع منه السفن للتجار وللغابات . اشور باتيسال يفاخر بجريته من شجر الارز ، وسنحاريب يتبجح انه زار الارز في شمالي الجبال ، صاحب المزامير يهتف باسم اشجار الرب ، ارز لبنان . وصاحب نشيد الاناشيد يتغنى بتخته المصنوع من خشب الارز ، وبرائحة عروسة الشبهية برائحة لبنان . اشعيا يجد ارز لبنان العالي المرتفع ، وعاموس يشبه الآموري الجبار بالارز ... « وسعت الفرجة يرددون اصدااء اصوات الانبياء والمؤرخين » . انه يسمعا اصوات التاريخ والشعر والخيال في غابة الارز او بقايا غابات الارز . واذا كان (قلب لبنان) متحفا وراقيا لجبال الطبيعة في لبنان ، فان كتب الريحاني الاخرى في الرحلات تخرز بكثير من الصور الجبلية ، والرسم المبهجة ، ولماحبا في مجال الرسم والتصوير بالكلية قدرة عجيبة تفرض علينا التامل الطويل في سحر الكلية وتقدرها . وهو مولع بالجمع بين الطبيعة والناس في نفسه ، ليكس صورة بالتالي في انفس قرائه في اقتدار عظيم . ولنسجع ابن وادي الفريكة يقطع قطعة من قوس قزح يحملها عربات المهرجان في احد الاعياد باشبيلية ، فيقول « وهناك عربات النقل الكبيرة وقد كدست فيها النساء بعضهن على بعض . اسراب منهن في اثواب العيد الزاكية الالوان ، كأنها قطعة من قوس قزح تجرها الثيران » (٥) . ان تشبيه الالوان في تعددها بقوس قزح شيء طبيعي ومعروف ، ولكن الجديد لدى رحالتنا انه يجتزىء منه تمسبا يؤدي به الغرض المقصود بالتشبيه من ناحية ، ويعطي للمنظر ابعاده الحية المجسمة من ناحية اخرى .

والاين ، ابن لبنان ، يمتزج حبه لبلده بدمه غمري لبنان وجباله في جبال المغرب وفي جبال الين ، يراه ببصيرة نفسه من خلال هوائه وزهوره ، وهو ابو الكلية القادرة ، عليها مقتدر ، وبها يجسد الانتعالات النفسية والاحاسيس الانسانية ، فيبعث فيها ديبب الحياة وينقلها في عبارات حية مؤثرة يشحن بها نفس القاريء او السامع بنفس مشاعره الصادقة ، وكأنه يوقفه في مكانه ، ويوجه بصره حيث ينظر هو ، ويسيره معه حيث يسير ، ولا غرو في ذلك ، فالريحاني ، وصاف بارع ،

ساجدة جامدة ، كأنها من جلد او ورق ، ثم تنزو فيها الحياة فتصق ، فتخلق الى ما فوق الاسناد .. لقد سحرت بما شاهدت من روائع التكوين ، وبما استنشقت من اريج الازهار والرياحين ، وبما سمعت من الحان السكينة . وما ادركت اني مسحور الا عندما انهارت الارض تحت قدمي فرحت متزحلقا ثم ساجدا على ظهري بضعة امتار ، فانتقذني شجرة من الاس تشبثت بها ، وعدت ادب الى الطريق سالما والحمد لله « (٦) » ويعتريه احساس غريب اذ تذكره هذه الواقعة بها ينهار احبائنا من الجبال نفسها ايان الزلازل ، فتفتلت صخرة من بين اخواتها ، او ينفصل جزء من الجبل عن اصله ، ويروح ساجدا او متدحرجا الى اعناق الوادي ، فيسحب شعور الخوف في اوصاله ، ويوقف فيه حس التلذذ بجبال الطبيعة ومحاسنها ، فيسرع الى قعر الوادي ، وعينه كثورى السيارة لا تحيدان عن الطريق . ويذهب من افق احسائه كل شعور بها حوله من بهاء وبهجة ، ولا يعود قادرا على تسجيل وجودها ، « فقد سرى الخوف من القلب الى الخيلة ، فخيلى لي ان وادي الجاجم جبهة عظيمة هائلة ، مشقوقة الراس ، وانى انا حشرة في قعرها » .

وكما نقلنا هذه النقلة الى وادي الجاجم لتشاركه الشعور بجبال الطبيعة وبهولها ، فانه يخلطنا واياء الى الغابة التاريخية المقدسة ، غابة الارز في لبنان ، فنفسي في ازقتها المروشة بالطنائس السوداء المصنوعة من ورق الارز وترابه ، يوقفتني في خشوع العابدين ورهبتهم ، وفي ساعة من التجلي ، على ما يحشوا (هيكل الغابة) من غمر السكينة وفيض جلالاتها ، فيسمعنا تلك السكينة ، ويسمح بعطرها عيون الشوق فينا ، ويرف لهمسها اذن الحب والاستغفار « فهي » سكينة يحضنها الجبل ، ويعطر جوانبها الارز . سكينة تنهادى تحت الافسان ، فتجر الاذبال على ما تثار منها ، فتحدث صوتا ولا صوت النسيم في السحر ، صوتا هو الهمس السهل الممتنع ، الذي تجتو له اساليب البلاغة والبيان . وقتت في ذلك الهيكل ، تحت القبة الخضراء ، بين العيد السابقة ، اغفر في تراب السكينة وجه الشك ، وامسح بعطرها عين الشوق ، وارفع لهمسها اذن الحب والاستغفار . فسمعت للحب اصواتا قديمة ، وللبان لهجات عريضة وللتعبد همسات حببية ، كانت تتساقط كورق الارز في احضان السكينة ، او كيطر نيمان على ورق التوت . اصواتا ناعمة عريضة واصواتا رفيعة حادة ، واصواتا كصدى اجراس المساء في الجبال ، واصواتا كهمس الاشجار الحمام في سكينة الفجر ، واصواتا كهمس الهوام في الهجرة ، على ضفاف الانهار ، واصواتا كطين الهوام في الهجرة ،

وفنان ذكي ، فها هو يستصحبنا معهم وهم يصعدون في جبل (بوعان) في طريقهم من اليمن الى (بلاد الادريسي - عسير) ، وعند اعالي الجبل ، « .. صفرت فيه الرياح واعلمتنا بظهور من مظاهر الطقس غريب . اتنا الشمس شمس الصيف ، شمس الين المحرقة ، وانما الزهور زهور الربيع . اما الهواء فلا ربيع فيه ولا شيء من الصيف . كنت اذا اغضت عيني اظن نفسي في اعالي لبنان في الشتاء . هذه فصول ثلاثة في وقت واحد . ان راس بوعان لسطح الين . وعلى السطح صخور هي في شكلها ووضعها شبيهة بهيكل عظيم له بابان ، الشرقي ، اي باب صنعاء ، والغربي اي باب مناخة . دخلنا الهيكل من باب صنعاء فمررنا برواقه بين انصاب جليلة ، وبعد رائحة ، وصخور هي كالميالك الصغيرة في الهيكل الاكبر ، وما هي الا بضغ دقائق حتى وقفنا في الباب الغربي ، باب المخاوف والاهوال . ان المسافر ليجد نفسه في غير ما الفه من الارض فيحس هنيهة ان دورة الدم فيه قد وقفت تماما ، فيشقى ولا يتنفس ، ويهتف ولا يتكلم . هناك مشهد

من الجبال والودية رائع ، مخوف ، يهيس ربه في اذن الانسان : لا تكن مكابرا ، ولا تكن فخورا . لا اظن ان في بلاد سويسرا مثل المشهد الذي ينبسط بل يتراكم امامك في الين عندما تنقف على رؤوس ابوابه قنن الجبال ، وسطحه الودية المتشعبة الملتفة بعضها على بعض . وهناك وراء القنن الشاهقة والصخور المشابهة المسننة ، والفضاب الهرمية ، والودية الذهبية والمتحدرات الهائلة ، هنالك فوق شبه الغيوم التي هي الجبال يلوح في الغرب حراز ، وفي الشمال مسريح وكوكبان ، هنالك الغنية التي هي مناخة وشكلها كسرج الفرس ، دلتني عليها (حزام) فما صدقت ان سنكون فيها مساء الغد . وما هول المسافات والشواقي بشيء عند هول الوهاد والاعماق . لبنان ! نعم ذكرت لبنان . ولكنه وان فاق بوعان وشباب علوا ، فهو يضيع في جبال الين واديبته المترامية الاطراف .. وان الطير نفسها لتعثر بسنام الصخور والقنن ، فلا نظن ان ما خلقه الانسان على شكل الطير يستطيع ان يجتاز هذا الفضاء القاتبة فيه الجبال كالجبارة ، والكائمة رؤوسها كيون العدو في السحاب . اما اذا حلقت الطائرة فوقها فهي ولا شك تضل السبيل فيها يشبه تحتها ابواب الجبار .. مشينا والعين تبغي من المشهد الزيادة ، والرجل تبغي السلامة ، فكنا نضطر ان نقف لنتحقق البقيتين ، وكلما وقفنا لاح لنا في المشهد شيء جديد جلجل « (٦) »

وفاظرت الى ما كتبه في حر (جيزان) ورطوبتها ، حيث مزج فيه البحر والطحلب والسبحه والملح ليكون من ذلك كله ثوبا كورق الغراء الحلو ، يلبسه الجحر وقد راك تنزع ثوبك من اجل مبيوتك الشمس ، حبيبك التي تشاركك الحياة فتجلس على ركبك تقبلك في فمك قبلة تدوم اثنتي عشرة ساعة لا تنقطع ، فطلبه كرها وانت تشتهي موته ثوبا من الامواج (٧) . وهكذا وصف الامين مظاهر الطبيعة ، فهو دائما يجسها ويشخصها ، فمسنينات الكنيسة شامة في خد الجبل ، وجبل سنين يتجلبب بالالوان التي « تنسجها له الشمس الغاربة على منوال الغيوم البحرية » فهاكسه في جلباب غضي ، وهاكسه في رداء ارجواني ، هاكسه في قميص من نسج الورد والزعفران . هاكسه في جبة الفسق الجران «٨» ، والاذاهر والرياحين بروائحها الناعمة الندية تحببه من اجناب الطريق ، ومن مختبأتها بين الصخور والاكام .

٢ - وصف المدن :

يقول المستشرق غوستاف فون غربنام : « ان مدح المدن في الادب العربي امر نادر الورد نسبيا ، واذا عثرنا على شيء منه فاننا نجد النادر الواصف موجزا قصير النفس . وقد ندرت السر في هذا اذا تذكرنا ان الفترة الكلاسيكية في الادب العربي هي فترة الجاهلية ، ولم تكن المدن حينئذ تلعب دورا هاما في الحياة العربية » (٩) . ويورد غربنام نماذج عما قيل في مدح بغداد وسامرا والبصرة لا تخرج في اساليبها عن بيان الاولى بانها ام الدنيا ، وسيدة البلاد وجنة الارض ، وبيان الثانية بان حصابها جوه ، ونسبها معطر ، وترابها اذفر ... والثالثة بانها اوفى المعمور طهرة ، وازكاها فطرة وانسجها رتعة . ويورد (١٠) مترجم هذا الفصل اسلوبين آخرين احدهما لابن جبير في مدح ارض نجد يقول فيه : « وما ارى ان في المعمور انفسح بسيطا ، ولا اوسع افقا ، ولا اطيب نسيما ، ولا اصح هواء .. من ارض نجد . والثاني في مدح الاندلس بانها :

شامية : في طيبتها وهوائها
يمانية : في اعتدالها واستوائها
هندية : في عطرها وذكاها ..

ولا نود ان نعلق هنا على هذه الاساليب البسيطة الفائضة الشبول في مدح هذه المدن والبلاد ، وانما نعرضها كتناهج لهذا الاتجاه في النثر العربي ، ومعروف انه في القرنين السابع عشر والثامن عشر قد انتعش نمط من انماط الادب الجغرافي يتعلق بالجغرافيا

الإقليمية من طراز (الفضائل) المتعلقة بالانتماء أو بالمدنية الواحدة ، وقد ارتبط هذا النمط ارتباطاً وثيقاً بالإيمان القدسة الأسلامية أو المسيحية ، أما على هيئة وصف لها أو رحلة إليها (١) . وهذا الاتجاه ، وإن بعد عن مجال مقارنته بوصف الريحاني للمدن التي تعرض لوصفها ، إلا أننا نجدها أن نصيفه بهذه الإشارة إلى النماذج السابقة لترى ما الذي أضافه الريحاني ، بخصوص وصفه المدن ، إلى هذا الطراز من الكتابة الفنية في النثر العربي بعامة ، وفي أدب الرحلات بخاصة . وقبل البدء في الحديث عن هذا الموضوع لا بد من القول بأن الريحاني زار كثيراً من المدن ومر بكثير من القرى والأرياف ، ووصف الكثير من هذه ومن تلك ، ونحن هنا ، إنما نود أن نعرض اتجاهات عامة في تناوله لهذا الموضوع وحسب . ومن الملاحظ أن أقوى ما يبرز لدى الريحاني في هذا الوصف الفنان المتقن الدقيق الملاحظة ، الحاني على موصوفه . ويبدو الفنان في أسلوبه الرائع الزاهي الذي يعرض فيه ما يقول . أما ثقافته فتنبئ في تلك الآثواب التي يلبسها المدن موضوع وصفه ، أثواب الإجمالات التاريخية أو الأدبية التي تزده بها المدينة وتتمس . ودقة الملاحظة تبينها تلك اللقبسات الثاقبة الذكية منه إلى بعض مزايا المدينة أو الأخرى ، سواء أكانت مزايا طبيعية تنسجى جمالاً على المدينة ، أم مزايا غير طبيعية . وهو في



كل الأحوال ومق حسان على هذه المدن العربية التي ترحب بتقديمها . ولا غرو في حبه وحونه ، فيها من فيض احساسه الإنساني وأهدافه القومية في رحلته ، وإذا ما قرأنا كيف يدخل صنعاء وكيف يودعها ، رأينا كل هذه الخصائص تتمثل في أصدق صور التمثيل ، فيها هو يجد نفسه يخاطبها بعد مشقات اثني عشر يوماً في الطريق إليها « اي صنعاء ، مثلك لنا التاريخ فكانت ملكة الزمان » ومثلك لنا العلم فكانت يوماً ربة العرفان ، ومثلك لنا الأساطير فكانت سيدة الجن والجان . أجل ، فكم من ليلة ، وفي اليد الكتاب وإلى

جانب الكتاب نور شمعة ضئيل ، تغلفنا في سرائدك ، ووقفنا عند كنوزك ، وطفنا حول تصورك ، وبسبنا الشعراء ينشدون الشعر في دورك . واليوم ، وبطنتنا غير الخيال ، نشاهد ما يثبت المثال ، ويحقق الأمل . هذه بيوتك المسالية ، وتصورك الشاعرة ، فما كذب التاريخ . وهذا جهالك الطبيعي وبهاؤك العربي ، فما كذب الشعر . وفي خزائنك الكتب النفيسة والمخطوطات فما كذب العلم . وهذه كنوزك وسحر تصورك ، وسحر الاسماء فيك فما كذبت الأساطير . كنا ننظنها أسماء ابتدعها الشعراء لعرائس الجن والخيال . ولكنها في الحقيقة في أعلى مكان ... أجل ، أن صنعاء في محاسنها لا تخيب للرائي أملاً . وكلها دنوت منها ، وهو عكس الحقيقة في أكثر المدن ازداد رونقها وازداد إعجابك بها . هي في مقامها الطبيعي غريدة عجيبة . فيها الهواء أعذب من الماء ، والماء أصفى من السماء ، والسماء أجمل من حلم الشعراء (١٢) . ونحن نسراه في هذا الخطاب إنما يصفها وصفا وجدانيا حيا ، وصف فنان شاعر عرض التاريخ واستخلص خلاصة الخلاصة منه ، فهو يحس صادقاً باتفعال مخلص ، ويصف لنا بيوت المدينة وكأنه ينقلها إلينا ، وبين حسن مناخها ورخص المعيشة فيها وكأنه يفري بالسفر إليها . فهو إذن ، بدافع الحب والدفن ، يشخص المدينة ويتجسس بذكر إيجادها بعد أن كان يقرأ عنها في كتب التاريخ وهو ابن الشعر . ويبلغ الريحاني ذروة الحنو والاعتناء ، وهو في يودع المدينة من على جبل (عمر) ، وداعاً تحس فيه بفيض العاطفة واللوعة المشبوبة بالحب الخالص ، فهي لو لقيت العناية التي يرتأها لغدت — في نظره ، وفي أقل من عشرين سنة — باريس البحر الآخر . « اي صنعاء ، عاصمة الزبود والجمود ، أننا نفار عليك من الاثنين ، ونود أن يعود إليك مجد الإجداد محبواً على المعلوم الحديثة التي من شأنها أن تصلح أحوال الإنسان ، فقرته في جسمه وعقله وروحه وفي بيته ومدينته وبلاده ، وما سواها من المعلوم لا يتبقى لك ولا لسواك من مدن الشرق والغرب . اي صنعاء ، عاصمة الأذواء ، أننا في حبنا إبانك ، وهم مثلنا من الناس ، ونحن وإياهم من سيلة واحدة ، نفاذي حتى يشي من معالم الوطنية من أجلهم ، وتصح اجسادهم إذا انتصوا الأمراض ، وتجلي عقولهم إذا فتحو المدارس ، وتصفو روحيتهم إذا أدركوا من الدين حقيقته الأولى وسره الأعلى . أما الذين أدركوا بعض تلك الحقيقة وبعض ذلك السر فهم يشاركوك في صلاتك ، في فاتحة كتابك وختمه ، ويودون أن تشاركهم في صلاتهم . نظرة أخرى يا صنعاء ونستودعك الله . . . قد اكتمل من ثمرك ، وشربنا من مائك ، ونهنا تحت

سبائك ، وانتعشنا بعليل هوائك ، وكنا قبل ذلك نحبك ، فكيف بنا بعد ذلك ؟ ماذا جاء بعدنا من يصلي صلاتنا وصلاتك ، من يحبك حبنا ويغار عليك غيرتنا ، ورأى فيك بعض ما ناقت اليه النفس منا وما اشتهاه العقل والفؤاد — بعض العلم وبعض الفنون ، بعض الطرب ، بعض العبران — ستقبطه ونحن بعض السر الاكبر في الفضاء ، في اللانهاية ، وستقبطه منا العظام والتراب ... اننا نحن على الف قدم فوق صنمنا وتسعة الاف فوق البحر . وقد احتجبت عنا المدينة المحبوبة احتجابا ، ابديا ، الله اعلم .

وتلفتت عيني ومد خفيث

عني الطلول تلت القلب (١٣)

وإذا كان الريحاني يدهشنا بهذا الحب العارم لصنمنا ، ولغيرها من المدن العربية ، فاننا لا ندهش له حقاً وهو يصف القرية اللبنانية الحبيبة الى قلبه بكل وداعها وبساطتها وجبالها الطبيعي ، فيذكر من ابرز سماتها الكنيسة وسندياناتها وابرز رجالها من الادباء النوابع وكأنه يورخ لها في فخر واعتزاز ، ويهرثها بالفعل وهو يناجي بلدة (زحلة) ، ويتأرن بين حالها في سياحات قديمة له اليها ، وبين حالها بعد اكثر من ثلاثين عاماً ، عام ١٩٣٨ ، فيستجير — متفتحا لفرط حبه — بالنوابع من ابنائها لينفذوها بما دهاها من قساد الحياة المادية (١٤) ويجيد الريحاني في الحديث عن ببوت (طوان) في المغرب الاقصى ، اذ يصف جدرانها وردهانها وفقرها ، وهي على الاجمال على شكلين : القديمة ، وهي عربية مبنى ومعنى ، عربية النطق والمزاج ، ببوت صغيرة متواضعة تتوارى ولا تتعالى . والحديثة ، غربية مغربية . غربية الشكل ، مغربية المزاج ... (١٥) ويثبت الريحاني في وصفه لمدينة (سبتة) قدرة فائقة على الابتداع في خلق الصور التي تترأى الطبيعة فيها ايامنا ، وهي تهتز وتتحرر ، فقدرته على تسخير الكلية وتجسيد الصورة ذات طاقات لا تحد ، فما هي سبتة وكأنها جسم حي يتبدد ، تهتز به الارض وتتراجع « اول ما يستوقف النظر ولا يؤنس في شاطئ افريقيا تلك القن والسنام الحادة لجباله الجرداء الموحشة ، ولكنها تنخفض في المكان الذي هو قبالة جبل طارق وتلين حروفها ، وتنع وتختصر بتحدرائها ، فتكون منها ارجوحة مدينة سبتة .. في هذه الارجوحة وعلى الهضبتين تتهدد سبتة » (١٦) .

ومن الملاحظ ان الريحاني يستعمل كثيرا (التشبيهات اللؤلؤية والصور الذهبية) في وصف كثير من المدن ، فالمنايا « بشرقة » بيضاء كأنها أبراج شيدت من اللؤلؤ ، بل هي اميرة اللاليء وقد صعدت من اماكن الغوص واستوت على عرش الخليج .. (والاشرة)

كأنها تتلو القصائد في مديح ربة الدر ، ودرة البحار (١٧) وجزيرة البحرين « كأنها » ، وهي عند مهد اللؤلؤ جوهرية كبيرة في جيب الخليج » . ومدينة (إب) في اليمن « يراها القادم اليها من مأوية او تعز كأنها حفنة من اللؤلؤ على بساط اخضر ، مفروش في بحيرة جفت مياهها » (١٨) . ولربما كانت هذه التشبيهات مستوحاة من شهرة الخليج العربي بلالته ، ولكنها لما كانت كثيرة في صور الامين ، فلا بد ان يكون منبعها في داخل نفسه المتفرقة المتبدية ، المتبعة على الدوام بينابيع تساؤلها التي لا ينضب لها معين .

وكما كان الريحاني بارعاً في مخاطبة المدن ووصفها ، كان ايضاً بارعاً في رثائها ، لانه ذو روح كبيرة عالية ، ونفس انسانية سامية ، فنحن نحس بالحزن والاسى الشديدين يتعمقان نفسه ، اذ ينتفسهما فيما يمكن ان نسميه رثاء اشبيلية اثناء عرضه لبعض جوانب تاريخها في رحلته الاندلسية :

« آيه اشبيلية العرب ، ما اقصر يومك ، وما اطول ذكراك !
وما انصح يمينك ، وما اقمم يسراك !
المعتد الشاعر ، والمعتضد السفاح ، كلاهما كان اميرك ، وكلاهما كان نيرا عليك .
كلاهما احب نفسه ، ثم احبك ، وما اخلص لك ... » (١٩)

وسنرى ان الريحاني لم يكن يبر بالمدن التي رآها وزارها في رحلته العربية وفي سواها مروا سريعا ، ولكنه كان بثقافته ونفاذ بصيرته ذا عقل خصب معطاء ، يحلو لك في تعميمه كما يحلو في تخصيصه وهو في كليهما عالم ذو بال . ارايت الى جهد الصياد الذي قد يفسنه كيف يتكثف في صيده الثمين ؟ او الى عمل الفلاح كيف يتجمع مع الصيف في السنايل الذهبية لتمثل روح كده وعمله ؟ او لم تر الى البقرة الطوب كيف تصب طلائها في اهرأ الطليب الخية ثمرة حياة يومها وروحها ؟ او الى الشجرة او الدجاجة كيف يسخر فيها الجهد فينعد ثمرة او بيضة ، هي روح هذا الجهد وخلاصته ؟! وكذلك الامين ، طاف في بغداد وتجول في غيرها ووصف ما رأى وسبح بكثير من التفصيل احيانا وبيعه احيانا اخرى ، وهو مجيد في كل حال وشبها بطبيعة العطاء في الطبيعة تتبلور في ذهنه خلاصة هذا الطواف وذلك التجوال ، تتبلور حواسها نقيها وروحها صافية ، يحسها عنوانا خاصا بكل مدينة زارها ، وطابعا مميذا لها ، انه يرى المدن كالناس ، لكل روح حية ثابتة . وروح المدينة في نظره هي البازرة المجازة من صفاتها ، تلك الصفات التي تبدو في اكثر مظاهر الحياة والعمل فتسهم بوسها

هذا الزمان النفط ، وقد يصير النفط في المستقبل روحها الكيماوية العظمى ، روحها المركبة في بوتقة هذا الزمان البراق الخشاق » .

اي صدق هذا الذي نحسه في روح الامين ؟ اهو الهام ووحى ، ام اخلاص في التجرد الصوفي وارتقاء في درجة الكشف ؟ ان في عقل الريحاني بذرة من جوهر العبقريّة الانسانية كانت تلتهم وتنمو على السدوم في رحلاته وفي كتاباته ، ولم ينطفئ هذا الالتئاع ولم يقف هذا النمو الا يوم رحلته الخطيرة الأخيرة ، ولا شك ان هذا الصدق والنضج اللذين نحسهما في ثمار تجربته وخبرته يطهّرنا الى واقعية احكامه وصحة معلوماته . وحديثه هذا عن المدن يدلنا على انه كان طويل النفس فيه ، ومنوما لافكاره ومجددا فيها ، وفي عرضها الوجداني الحب الى النفس ، وهو مما يندر ان نجد له نظيرا في نثرنا العربي .

- (١) كراتشكوفسكي : مقدمة كتاب « الريحانيات » المترجمة الى الروسية ، وهذه المقدمة منشورة في دليل كتاب الريحاني « التطرف والإصلاح » - ٨١ - ٨٢ .
- (٢) قلب لبنان « دار ريحاني للطباعة والنشر - بيروت - الطبعة الثالثة (١٩٦٥) : ١٠٥ - ١٠٦ .
- (٣) نفيس المصدر : ١٠٦ - ١٠٧ .
- (٤) قلب لبنان : ٣٩ - ٤٠ .
- (٥) المغرب الأقصى « دار المعارف بمصر » : ٤٩٦ .
- (٦) ملوك العرب ج ١ « دار ريحاني - الطبعة الرابعة (١٩٦٠) : ٢٢٨ - ٢٤٠ .
- (٧) نفس المصدر : ٢٤٢ - ٢٤٤ .
- (٨) قلب لبنان : ٩١ .
- (٩) دراسات في الادب العربي « دار مكتبة الحياة - بيروت (١٩٥٩) ترجمة مجموعة من الاساتذة . والفصل من ترجمة د. احسان عباس : ٢٢٨ .
- (١٠) نفس المصدر : ٢٢٥ - ٢٢٠ مع الهوامش
- (١١) كراتشكوفسكي - تاريخ الادب الجغرافي : ٦٩٩ ، ٧٥٣
- (١٢) ملوك العرب ج ١ : ١١٩ - ١٢٠ .
- (١٣) ملوك العرب ج ١ : ٢٢٥ - ٢٢٦
- (١٤) قلب لبنان : ١٢٠ - ١٢١
- (١٥) المغرب الأقصى : ٣١٢
- (١٦) نفس المصدر : ١١١
- (١٧) ملوك العرب ج ٢ : ٢١ - ٢٢
- (١٨) ملوك العرب ج ١ : ١٠٨
- (١٩) المغرب الأقصى : ٥٢٠

الخاص ، وليست كل العقول - وان طافت وجالت - بقادرة على التغلغل في قلب الحقائق واستخلاص الباب منها والروح كما قدر الامين ، مثله في ذلك كمثل الشجرة المتميزة في البستان من مئات الاشجار بخصبها وبجعم ثمرها وتفردها بكل شيء . ان عقل الامين - معمل ادب ومن ضخم جبار . قدرته المذهلة على فهم الحقائق واستخلاص روحها ، كقدرته على سرعة الانتاج . اسمعه يقول فيما يحسه روح بغداد وبعض ما عرفه من المدن الكبرى « ان روح نيويورك التبعج ، فكأنها تقول : كل ما عندي هو مثل هذه ناطحات السحاب ، كل شيء ضخم علي عظيم ! وروح لندن الاناقة - كل ما عندي مشمول بالتقدير والترتيب والتنظيم . وروح باريس الزهو والمرح - ومن مثلي حسنا وبشرا وازدهارا ؟ وروح برلين المماز وخسوة الفولاذ - المانيا فوق الجميع ! الا ان في المانيا مدينة جميلة هي ميونيخ ، وان لها من الفنون روحا سامية ، وليس بين المدن الاسبانية مثل اشبيلية المركبة روحها من نقضين : التقادسة والقمار .

اما في هذا الشرق العربي فكل مدينة من المدن الكبيرة اصبحت اثنتين : القديمة ، وهي ذات روح تعرف وترى ، والجديدة ، لا روح لها ترى او تعرف ، او انها مزيج من الشرق والغرب . ملقاهرة مثلا ، روح تتجلى في الصحافة ومما حول الازهر من الاحياء ، هي روح زغلول والوند والحوطة - البلاد وثنية ، والحكومة انجليزية ! لا حول ولا قوة الا بالله . وروح القديسين داخل السور ، هي الاقصى والمبكي والظهور ، نحن العرب ، ويلنا من اسرائيل ، انا اسرائيل ويلي من العرب ، انا بريطانيا ، خيري بين الويلين ! اما دمشق ، فروحها روح المرجة والكتلة - حركة دائمة ، ووطنية هائلة ، وتردد لا يزول ما دام الجنود السود يرون في المرجة ، ويرعون في مروج الوطن . واما بيروت ، فلا روح لها اليوم بارزة ، على ما فيها من معاهد العلم ، غير الخلاعة والخنوع وحب المال - هات الفلوس ، وخذ العروس ، وغفر وجهك امام صاحب « الكابوس » .

« وما هي روح بغداد ؟ لا تقسم بغداد اليوم الى قسمين ظاهرين بالمعنى الذي ذكرت . فهي لا تزال مدينة شرقية واحدة ، يتخلل بعض احيائها ، شيء من اختلاط الشرق بالغرب . انا قديما كثير الاشكال والالوان ، فيصيح ان نرسم اليه باله من الهة الهندوس ، روحه تبدو ولا تتوحد ، في رؤوسه وفي ايديه المتعددة .

« ان روح بغداد اعجوبة من الاعاجيب ، فهي الحوطة والاستسلام ، هي الشغب والتسرّد ، وهي الورع والتتوي ، وهي التخنت و (النشلي) ، وهي في



مايكل آدمز

- • عانيت الكثير مما أسرفني الألمان ... لكنني بالقساوة التي يعامل بها الإسرائيليون عرب
- • مسيحي عربي : إسرائيل عبارة عن مخيم عسكري يسر بالأسلحة ... إنني أشعر بالتحول عن المس
- • العرب لا يريدون الحرب ... انهم يريدون العدالة لشعب
- • حركة المقاومة الفلسطينية تصبح كارثة عظ
- • حرب حزيران كارثة عظيمة

على الأرجح ، ان يشوه عطفنا على اليهود نظرتنا الى أحداث الشرق الأوسط ، اذ ان شعبا قاسى ما قاساه الشعب اليهودي كان مؤهلا لمقدار خاص من الرأفة . هذا المقدار كان حقاً ، وكان طبيعياً ، وما لم يكن صحيحاً هو محاولة فرض تعويضات اكثر بعثاً على الالم ، ليس على اليهود ، بل على اخرين لم يكونوا طرفاً بأي شكل في المخالفة الوحشية الأولى . ان عطفنا على اليهود سيكون مضللاً اذا قادنا الى جعل

بعد حرب حزيران بعام . قام مايكل آدمز برحلة واسعة في الشرق الأوسط مستقصياً وباحثاً ، وهذا الكتاب مستوحى من رحلته تلك . وهو يدعو بحرارة الى تفهم اعيق للقضية العربية على المستوى الانساني . نظرا الى ما خلفه الاحتلال الاسرائيلي للأراضي العربية من مأس ، وعلى المستوى السياسي نظرا الى ما لحق بالعرب من ظلم بسبب انشاء دولة اسرائيل . وفي تمهيد المؤلف للكتاب يقول : « لم يكن منطقياً ، انما كان حتمياً

مقدمة وجزءان

ويبدأ المؤلف كتابه بمقدمة رسم فيها ، بصورة مختصرة ، الإطار الخلفي للحالة الحاضرة في العالم العربي . وتقع بقية الكتاب في جزئين : الجزء الاول صيغ على نحو مفكرة للانطباعات التي سجلها المؤلف خلال رحلات الى سبع دول عربية في النصف الاول من العام ١٩٦٨ . اما الجزء الثاني الذي جمعه بعد عودته الى انكلترا ، فيتألف من دراسات للقضايا الثلاث التي وجد ان العرب كانوا منهمكين بها بعد اقترابهم من الفكرى الاولى لحرب حزيران . لقد حرص العرب بالدرجة الاولى ، على اكتشاف الاسباب التي ادت الى اخفائهم في حرب ٦٧ ، واصروا على انه ليس هناك اي حل ممكن في الشرق الاوسط دون تسوية عادلة للمشكلة الفلسطينية ، واخيرا كانوا يتناقشون فيما بينهم بشغف في الوسائل التي تمكنهم من التغلب على عجزهم الراهن ورسم مستقبل افضل لانفسهم .

كانت الحرب بين اسرائيل والدول العربية في حزيران ١٩٦٧ اشبه بهزة ارضية عنيفة مركزها سيناء. غير انها ارسلت موجات اهتزاز الى اقصى زوايا العالم العربي . وجاءت الحرب بمثابة الفزوة لسلسلة من الاحداث السيئة الطالع ، صدمة قوية لمعنويات شعب اضعفته الشكوك حول مستقبله وحول مقدرة بنائه الاجتماعي على الصمود امام ضغوط حياة القرن العشرين ومتطلباتها .

لاجئون .. لاجئون

خلال قتال عام ١٩٤٨ فر اكثر من نصف مليون عربي من الاراضي التي احتلها الاسرائيليون (كثيرون منهم خسروا بيوتهم مرة ثانية عام ١٩٦٧) وتجمعوا في الدول العربية المجاورة حيث بقوا كشاهد حي على الفصل العربي الجماعي وبمسدرا دائئا للاضطراب السياسي ، ولم تلق قرارات الامم المتحدة المتلاحقة بشأن اعادتهم اي تجاوب لدى الحكومة الاسرائيلية .

الانقلابات الثورية

كانت الفترة بين حربي ١٩٤٨ و١٩٦٧ فترة توتر دائم وعدم استقرار في الشرق الاوسط ، فقد كان العرب المليونون بالتفرد المرير ، يعيشون حركة تورد ضد انظمة الحكم التقليدية التي قادتهم الى النذل سنة ١٩٤٨ ، وضد قوى الاستعمار الغربي التي راوا فيها سبب ضعفهم .. وبينما كانت الانظمة تنهار وتخللها انظمة جديدة . كان مثال الانظمة الجديدة نظام جمال عبدالناصر . وبدا في وقت من الاوقات ان العالم العربي يقترب من مهدنه في تحقيق الوحدة .

واختار العرب سياسة الحياد تحاشيا من الوقوع مرة اخرى تحت سلطة اي نفوذ خارجي . لكنهم راوا انفسهم يميلون عمليا ، وشيئا فشيئا نحو الاتحاد

في "فوضى أم نخضة"

هم لم يعاملوني مطلفاً
فلسطين .

زوده العالم المسيحي
حجية .

قبل الإيمان بفكرة إسلام

جيمة على إسرائيل كما كانت
لى العرب .

العرب كبش فداء للجرائم التي ارتكبتها اوربوا القرن العشرين .

لقد كان تأثير هذا العام شديدا على المواقف الاوروبية نحو الشرق الاوسط ، ولقد جعل من الصعب ، بصورة خاصة ، انتقاد اعمال الاسرائيليين دون اشارة فكريات قديمة ومريرة ، وهذا ايضا يمكن فهمه ، لكنه لا يسهل السعي الى استنباط تسوية عادلة في الشرق الاوسط » .

يخرجوا من بوابات الجامعة الأميركية الهائلة الى حياة الضجيج التي تعيشها بيروت ، وان يشتروا الصحف ليقرأوا ان بورقية انتهت لثوه من مهاجمة عبدالناصر وان اليمينيين الجمهوريين يتهمون الملك فيصل بخرق اتفاق الخرطوم لانهاء الحرب الاهلية وان مؤتمر القمة المقرر للاسبوع المقبل قد القى بسبب هذه الخلافات وغيرها .

فتح سكتبر

هناك كلام كثير عن اعمال فدائني فتح ، وثمة من يخبرني ان الاموال تجمع لها علنا . حتى في الكويت واخشى ان يقوم الاسرائيليون باعمال وحشية انتقامية اذا كبرت الحركة اكثر ، وهي سكتبر بالتأكيد .

من الصعب طبعا اخذ فكرة واضحة عن هذا النشاط او معرفة مدى تنظيمه . لكنه يلقي على كل حال القناع في وجه اسرائيل .

الصورة في عمان

شاهدت هذا الصباح حازم نسيه المسؤول عن شؤون اللاجئين وشرح لي الحالة الحاضرة هناك . ٥٠ الى ٦٠ الف لاجيء في مخيمات وادي الاردن و ١٥٠ الفا الى ٢٠٠ الف نازح يعيشون حول عمان ومدن اخرى ، وما زالوا يهربون النهر ، واكثرهم من غزة ، حيث يبدو ان الاسرائيليين كانوا قساة حقاً .

امكانات الحل ضئيلة . فالمساعدات التي جاءت من جميع انحاء العالم بعد حرب حزيران لن تتكرر ، وهذا يعني ان اللاجئين يزدادون تزداد بان يحصلوا على عمل مريح هنا ، كما كان يفعل اكثرهم في الضفة الغربية ، ويبدو بعيدا عن التصديق ، خاصة في هذا الطقس ان يكون الاسرائيليون دون راحة لدرجة منعهم من العودة . بينما المخيم في اريحا فارغ على بعد اميال قليلة من المكان الذي يجلس فيه اللاجئون على الضفة الشرقية .

تضخيم المشكلة

ويقول الكاتب في سياق حديثه عن الاردن « وثمة اقتناع هنا بان الاسرائيليين يضحون عمدا مشكلة اللاجئين لزيادة الضغط على الاردن من اجل حمله على التخلي عن حلفائه العرب وتوقيع سلام منفصل . اما انطباعي الشخصي فهو ان النتيجة العكسية هي الأكثر احتمالا وان عناد اسرائيل القاسي يقوي من عزم الاردن » .

« الاعجاب بالمقاتلين من اجل الحرية في الضفة الغربية يزداد هنا . واذا كانت اسرائيل تريد حقاً حمل العرب على العيش معها بسلام فان اسوأ طريقة لتحقيق ذلك هي جعل الحياة غير محتملة بالنسبة الى عرب الضفة الغربية . والذين يعملون مع وكالات الاغاثة المختلفة يتحدثون بغضب شديد عن اهمال اسرائيل لمشكلة اللاجئين . لقد طلب من الاسرائيليين

السوفيياتي ويعتدون عليه سياسيا الى حد بعيد . لان الروس وخدمهم كانوا مستعدين للاسضاء الى مطلبهم في اعادة النظر في تسوية عام ١٩٤٨ للقضية الفلسطينية . هذه القضية التي التزم بها كل نظام حكم عربي قديما كان ام حديثا .

ويقول الكاتب في ختام مقدمته « ان ما يحتاجه العرب اكثر من غيره ، على ما يبدو ، هو ان ينفخوا امام انفسهم طموحا واقميا في اطار واحد (الواقعية كانت دائما نقطة ضعفهم) وبالتالي ان يكيفوا انفسهم مع العالم الحديث ويقبلوا سيئاته وسيئاتهم . وان يركزوا على ما يمكن نيله لا على ما يابلون الوصول اليه . واذا استطاعوا ان يفعلوا ذلك فان هذا سيكون مفيدا لنا جميعا ، وسوف يكون العرب عندئذ في موقف افضل ، خاصة اذا استطاعوا ان يحصلوا من العالم على مقدار معين من التفهم .

مفكرة مسافر

يستعرض المؤلف في هذا الفصل يومياته في بيروت التي رآها انها لم تتغير منذ ست سنوات يصفها وصفا شاعريا ويتحدث عن المثقفين الذين قابلهم وتعرف الى ارائهم ، وقال : هناك رجال ذوو اسماء دولية (مثل شارل مالك) واخرون من اكثر المفكرين جدية في العالم العربي ، واذا تحدثت اليوم الى يوسف صايغ وابلي سالم ووليد الخالدي وحنا بطاطوك رايتني بعيدا

بقلم
ياسين مرفاعية



عن المجادلات العنيفة التي تميز معظم المناقشات السياسية في الشرق الاوسط . لدى هؤلاء الكثير من الافكار حول ما يجب فعله لاهياء روح جديدة في العالم العربي . . انهم يفهمون المعطيات السياسية والاقتصادية ويعرفون المجالات التي يتخلل فيها الاسرائيليون العرب ، ولو اعطي رجال مثلهؤلاء حبيطا بشريا يساعدهم ، لاستطاعوا تحقيق العصر الذهبي الذي يحملون به ، حيث تعاون الدول العربية لاستغلال مصادرها في اعمال بناءة ، وتضع خلافاتها جانبها وتمثل يدا واحدة من اجل الاهداف الواحدة والاستقلال السياسي والتمو الاقتصادي .

لا شك ان الامر محزن جدا بالنسبة اليهم . ان

على ان اتصلائي مع الاسرائيليين ليست مناسبة لمثل هذا العمل . لكن بما ان الموقف الاسرائيلي هو الذي يؤثر الان اكثر من اي شيء اخر على النظرة العربية فان هذه الاتصالات تبدو طبيعية وساحول ان اصف هذا الموقف كما راقته خلال اقامتي في القدس وكما درسته طيلة تلك السنوات التي كتبت معنيا فيها بشكل الشرح الاوسط .

ان حصفنا الاسرائيليين قد عرضت بطريقة اعلامية جيدة لا ينكرها احد ، فحيويتهم وحدة تفكيرهم ومقدرتهم على متابعة سلسلة منطقية من الاولويات جعلت اسرائيل تبرز بروزا سامعا ، بالمقارنة مع التفكير الفاشم والعمل المتصر الذي اظهره العالم العربي . والكثيرون من مؤيديهم في العالم الخارجي يكتفون بكون اسرائيل اكثر نجاحا من العرب ويكون الاسرائيليين استغلوا الفرص استغلالا جيدا وعملوا لاستغلال طاقاتهم كنبلة .

لماذا تكره العرب ؟

ان العرب ينحون بثلاثة على الغرب في قيام اسرائيل ويشيرون الى الولايات المتحدة بصورة خاصة لانها تشجع اسرائيل على التوسع على حساب العرب . وهم يشعرون بالامتنان للاتحاد السوفياتي الذي يدافع عن قضيتهم في الامم المتحدة ، ويعيد تسليحهم ، ويضع كمييات ضخمة من الالوال والاجهزة التقنية في خدمة مشاريع التنمية العربية . فالسد العالي مثلا ، وهو اكبر مشروع تنميه في افريقيا ، رمز للصداقة الروسية مع العرب ، والذي يقوي السد كتركز هو ان الدول الغربية وافقت على تمويل المشروع ثم علنت عن هذا القرار عام ١٩٥٦ قبل ازمة السويس .

اقوال مسيحي عربي

في اثناء اعدادي لهذا الكتاب تلقيت رسالة من رجل قرأ احدى مقالاتي ، وصف نفسه بقه مسيحي كاثوليكي ، لكنه عربي قبل اي شيء ، قال فيها « ولدت في القطاع الجديد من القدس قبل ٢٤ عاما وعشت وانا طفل بين اللاجئين في لبنان ، كنت اذهب كل علم لزيارة اثارني في القطاع القديم من القدس . ومن على سطوح المدينة كنت انتطلع الى حيث ولدت ، فاشعر بالحزن لكن دون انتمسك ربما لانني ربيت على قبول الفكرة القائلة ان المنطقة القائمة وراء الجدران هي منطقة حرمة . الان ذهبت المدينة القديمة ، وانا مرور بطريقة ما من ذلك . على الاقل لفترة قصيرة . لان هذا ايقظ شعينا وجعلنا ننتقن من ان اسرائيل مبرلة عن مخيم عسكري يزوده العالم المسيحي بالسلحة . »

« اني اشعر بالتحول من المسيحية الى الشيوعية بسبب موقف العالم المسيحي المتحيز الذي يؤيد اسرائيل دون التطلع الى الالام التي نعاني منها نحن العرب . »

ان يعيدوا على الاقل النساء والاطفال الذين لهم اكثر من مكان في مخيمات اريحا الكبيرة الفارغة والذين لا يمكن ان يشكوا بأي حال من الاحوال خطرا على الامن او السلامة . لكن الاسرائيليين رفضوا . وهم ما زالوا في الواقع يزيرون من حدة المشكلة بطرد الافراد او بالضبط عليهم بصورة لا يتحملها الفرد العادي .

بعض المفكرات

يتجاهل الجيش الاسرائيلي في الاجراءات التي يتخذها الان ضد السكان العرب في قطاع غزة مقررات مؤتمر جنيف عام ١٩٤٩ لحماية المدنيين في زمن الحرب .

نقد فرض الجيش الاسرائيلي ردا على سلسلة من الحوادث الصغيرة في الاسابيع الثلاثة الماضية عقوبات جماعية على السكان (اكثرهم لاجئون من فلسطين) دون الالتفات الى اعمارهم او جنسهم وتنشمن هذه العقوبات حظر تجول يستمر لعدة ايام ، لا يتم خلالها اي توزيع لائق للطعمة والمياه ، بالإضافة الى الاعتقالات التعسفية وتدمير البيوت التابعة لمدنيين لا علاقة لهم بالحوادث بأي شكل .

عنفا غارت غزة هذا الصباح كانت هناك ثلاثة مخيمات تضم ١٠٠ الف لاجيء فلسطيني خاضعة لحظر تجول في الليل والنهار . كانت هناك طلعات نارية متقطعة في شوارع المدينة يبدو ان الهدف الوحيد منها اخافة الناس .

ارهاب .. فتحي

بعد حزيران (١٩٦٧) خيل الى الجميع ان الاسرائيليين لن يحتاجوا الى مطرقة لكسر جوة — اذا كان هناك من جوة — واغلبية الاجانب في غزة (لا يهود ولا عرب) مقتنعون بانهم ليس هناك حركة مقاومة جدية في المنطقة . ويصدقون من الصعب التصديق بان واحدا من الحوادث القليلة الخطرة — مثل القاء قنبلة في السوق اصابت ٢٥ شخصا — يمكن ان يكون عربي قد قام به . انهم يعتقدون ان الخطر الوحيد على الامن في غزة يأتي من المحاولة القاسية المسممة التي يقوم بها الجيش الاسرائيلي حاليا لحمل اللاجئين العرب على مغادرة قطاع غزة ، فيفتتحون الطريق للتصديق بان لهما الى اسرائيل وانطباعاتي تؤكد وجهة النظر هذه . لقد عانيت الكثير طيلة اربع سنوات كنت خلالها اسير الالان في اثناء الحرب . لكن الالان لم يعاملوني مطلقا بالتسلوة التي يعامل بها الاسرائيليون عرب قطاع غزة ، واكثرهم من النساء والاطفال .

الاسرائيليون اعلاميا

ان محدثي في هذا الكتاب هو الكتبة عن النظرة العربية ، في هذا الوقت الحرج من ترويج الامة العربية ،

امريكا تخلق الشيوعية

ان هذا رد فعل له ما يبرره ، وقد ذكرني بانه قبل ٢٠ عاما اعلن دانييل بن غوريون ولادة دولة اسرائيل ، انتقد السفير الاميركي في القاهرة اعتراف حكومته الفوري بالدولة اليهودية، وتكهن السفير باخطار عدة في الشرق الاوسط نتيجة لخلق دولة يهودية بدعم اميركي . وقال ان من بين هذه الاخطار سيكون انتشار الشيوعية في المنطقة .

وكان يعني ان العرب الذين اصيبوا بخيبة امل من جراء تبني الغرب لاسرائيل سيتجهون الى الشرق من اجل الحصول على التأييد . وهذا ما حدث فعلا . لقد شكلت حزب حزيران ثورة اساسية وبعميدة المدى في مضاعفتها لدرجة انها وفرت فرصة فريدة لاقتلاع جذور النزاع العربي - الاسرائيلي ووضع حل لا يكون راديكاليا . بل ربما كانت له الفرصة لان يكون حلا دائما ايضا ، والمنعويين بالامر لم يتجاهلوا هذه الفرصة ، غير ان اساليبهم المختلفة في النظر الى المشكلة كانت متضاربة جدا بحيث اصبح من الصعب ايجاد طريقة موحدة . وكانت نتيجة ذلك انه بعد مضي عام على الحرب (يقصد قبيل عام ٦٨) لم يعد هناك اي احتمال بالتسوية واصبح العالم اجبح بواجه من جديد امكان فوران البركان الشرق اوسطي في اية لحظة . وقيام مضاعفات مجهولة المدى بالنسبة لكل فرد منا .

نظرة الى المستقبل

ان حدا لا يريد الحرب من اجل الحرب . ان الجميع يريدون ان ينصرفوا بهدوء الى بناء اوطانهم .

وتحن العرب مثل غيرنا من الشعوب . ما هو هدفنا في الحياة ؟ اننا نريد ان نبني حياة مزدهرة بمسألة لشعوبنا . لكن اذا كنا لا نحصل على العدالة فكيف يمكنك ان تتحدث اليانا عن السلام . كيف يمكن ان يعني السلام شيئا لنا ؟ . هذا ما قاله حميد حسنين هيك . والمشكلة الفورية التي على العرب ان يواجهوها الان هي المشكلة التي تحدث عنها هيك . والواقع ان ملاحظاته كادت تختصر الحالة النفسية للعرب عام ١٩٦٨ ، ان العرب اليوم يريدون السلام ويهفون اليه . لقد شاهدوا بام اعينهم النتائج المفجعة للحرب ، فاذا انكرت هذه عليهم ، فان اكثرتهم مستعدة لمواجهة المزيد من الصعوبات . ان المشكلة الفورية التي يواجهها العرب اليوم الاختيار بين الحرب والسلام . لكن العرب ، لا يريدون السلام بأي ثمن . فاذا وثقوا من التسوية السلمية ستعود عليهم بالعدل ، فانهم سيتقبلون بها بكل سرور ، لكن امام هذا الموقف برزت قوة هائلة وغير مستهانة بها وهي المقاومة الفلسطينية فالقوة التي اظهرها الفدائيون الفلسطينيون العرب في اول هجوم اسرائيلي عبر نهر الاردن في ٢١ اذار قد شجعت حركة المقاومة الى بعيد . وبدا انها تتخذ للمرة الاولى شكلا حقيقيا . وبعد ذلك بوقت قصير كتب احد المرشحين في الشرق الاوسط ما يلي : « ان حركة المقاومة الفلسطينية هي الان اعظم قوة مجهولة في مستقبل الشرق الاوسط .. وستقرر الاشهر المقبلة اذا كانت حرب حزيران ستصبح كارثة عظيمة على اسرائيل ، كما كانت على العرب » .

مخطوطة « الارض الخراب » لايليوت

ليس جديدا ان « ت. س. اليوت » حين انتهى من المخطوط الاول لقصيدته « الارض الخراب » قد دفع بها الى « ازرباوند » ، وليس جديدا كذلك ان باوند قد اقنع اليوت بضرورة التخلص من نصفها على الاقل ، ولكن الجديد هو معرفة ماتم التخلص منه فعلا وما تم الابقاء عليه من قصيدة اليوت . يذكر انا تولى برويارد ، في صحيفة الهيرالد تريبيون انه سال مسرة صديقه الشاعر ملتون كلونسكي : ماذا يفترض ان باوند قد حذف من « الارض الخراب » ؟ وقد اجاب الشاعر : « كل اسطر اليوت » . والان تظهر المخطوطة الاصلية كاملة بملاحظات كل من اليوت وباوند حيث نشرتها ارملة الشاعر الراحل . حذف باوند مقاطع طويلة كان اليوت يختبر فيها مفهوم الشعر الدرامي حيث اشتركت اصوات عديدة لاعطاء التأثير الصوتي المتعدد النغمات .

بلات القصيدة بالقاء تثرى طويل يوزع الانعام . وقبل خمسين سنة ، اشتكى اليوت من حالة عصبية سيئة للغاية اثرى اجهاد في العمل وتوتر اعقب زواجه الصعب الاول . انه لم يطع نصائح طبيبه القاضية بعدم ارهاق فكره ، اذ ان اليوت كان منشغلا آنذاك بوضع تخطيط لقصيدة « كما توليكية » قدمها لازرا باوند في باريس عام ١٩٢٢ . وقد نشرت فسي اواخر ذاك العام لتصبح بعد ذلك اكثر القصائد شهرة في هذا القرن . هذه الطبعة تكسب قيمتها من مصدرين : اولهما ملاحظات باوند اللاحقة وتعديلاته الطبوعة بالاحمر ، وثانيهما انها ترينا بوضوح اكثر الجذور الشخصية لقصيدة « اليوت » العظيمة .



شعر
محمد أحمد المشاري

الليث وصلابه

فَسَالَ مِنْهُ دَمُهُ غَزِيرًا
وَوَلَّى فِي آلَامِهِ حَسِيرًا
وَالْتَفَتَ اللَّيْثُ بِشَرِّ عَيْنٍ
وَقَالَ أَنْتَ إِتْسِمُ أَبَا الْحَصِينِ
تَتَخَضَّعُ لِلْعَلَبِ وَهُوَ الْمَاكِرُ
وَهُوَ بِمَا يَقُولُهُ يُحَاذِرُ
كُفْتُ: لَكَ الْجَمَارُ لِلْعَدَاءِ
وَبَمَدَّ الْعَزَالَ لِلْعِشَاءِ
وَبَعَدَ ذَلِكَ الْأَرْنبُ الصَّغِيرُ
لِسَيِّدِي وَمَالِكِي فُطُورُ
فَابْتَسَمَ الْهَزْبُ فِي انْتِشَاحِ
وَقَالَ حَكْمٌ عَادِلٌ يَا صَاحِ
لَكِنْ أَفِيدَ بِاللَّهِ مَنْ ذَا عَلَمِكَ
عَدَالَةُ الْحَكْمِ وَمَنْ ذَا مَهْمِكَ
فَقَهَّقَهُ الثَّلَعُ حَتَّى اسْتَلْقَى
وَقَالَ إِنِّي سَوْفَ أَحْكِي الصَّدَقَا
الِدَرْسُ قُرْبِي هَاهُنَا مَكْتُوبُ
وَإِنَّهُ هَذَا الدِّمُّ الْمَسْكُوبُ

فِي غَابَةِ كَثِيفَةِ الْأَشْجَارِ
مَلِئَةً بِالْوَحْشِ وَالْأَطْيَارِ
تَذْخَرُ اللَّيْثُ الْعَظِيمُ الثَّنَانِ
يَمْتَحِبُهُ لِلصَّيْدِ صَاحِبَانِ
وَكَانَ صَاحِبِيهِ فِي الْمَوَاطِبِ
الْمَذْذَبُ وَالْعَلَبُ أَبُو الْمُتَعَالِبِ
حَتَّى إِذَا جَابُوا خِلَالَ الْغَابَةِ
بَهْجَةً فِي اللَّيْلِ بَعْدَ هَجْمَةِ
عَادُوا يُجْرُونَ صَيْدًا طَيِّبًا
حِمَارَةً وَطَبِيَّةً وَأَرْنبًا
فَخَاطَبَ اللَّيْثُ أَخَا الذَّنَابِ
وَقَالَ قُمْ فَاكْسِمِ عَلَى الْأَصْحَابِ
فَاعْتَدَلَ الذَّنْبُ وَقَالَ صَدَقَا
سَوْفَ أُرَاعِي مَا أَرَادَ حَقًّا
أَمَّا الْجِمَارُ الْمُتَرَفُّ الْعَجِيبُ
فَإِنَّهُ لِسَيِّدِي نَصِيبُ
وَلِي أَنَا الْعَزَالُ أَمَّا الثَّلَعُ
يَبْقَى لَهُ مَنْ بَعْدُ ذَاكَ الْأَرْنبُ
فَلَمْ يَكْدُ يَنْطِقْ حَتَّى صَفَعَهُ
بِكَنِّهِ اللَّيْثُ فَادْمَى أَضْلَعَهُ



دَوْر السِّينِما في النُّطُوْبِ والاجْتِماعِ

ومشارك
الشعوب
النضالية

تجارب من مهرجانات لايبزج الدولي

بغلام / فوزي سليمان

ARCHIVE

(المساء) القاهرة - الذي اختبر ، في وقت سابق ، محكما في مهرجان (لايبزج) الدولي للأفلام التسجيلية .
(البيان)

عرض شيق لدور السينما الاجتماعي والتثافي في الاخذ بيد الجماهير المناضلة في كل مكان وزمان ٠٠ كتيب مفصيصا لمجلة (البيان)
الاستاذ فوزي سليمان - المحرر الفني بجريدة

في التغير الاجتماعي وفي دعم القيم الجديدة وفي عرض المشاكل ومناقشتها من اجل ايجاد الحلول لها ومن اجل تعميق احساس الناس بواقعهم وتنبية وعيهم وذوقهم . وقامت السينما التسجيلية في مقابل السينما الروائية التي تخضع اساسا للعامل التجاري .

ورائد « السينما التسجيلية » في العالم هو « جون جريرسون » الاسكتلندي الاصل ، والذي لم يكن في خطة حياته العمل في السينما ، سافر وهو شاب الى الولايات المتحدة الامريكية ليتخصص في الاقتصاد السياسي ويدرس اثر العوامل الاقتصادية والاجتماعية في الشعب . ونبهه احد اساتذته الى خطورة السينما

تبذل الحكومات في بلاد العالم جهودا كبيرة في سبيل الرقي الاجتماعي والاقتصادي بشعوبها ، كل حسب ظروفها واكائياتها . ومع الوسائل المادية تقوم الوسائل الثقافية والاعلامية بدور هام في اعداد الناس لتقبل التطور المنشود . من بين هذه الوسائل الكتاب والاذاعة والتلفزيون والسينما . ولا شك ان الصورة وسيلة اكثر اقناعا ، وانها اكثر جدوى بالنسبة لمن لا يعرفون القراءة . وفي السنوات الثلاثين الاخيرة تأكد الدور الاجتماعي والثقافي لوسيلة هامة هي السينما التسجيلية او الوثائقية . وثبت من تجارب بلاد عديدة الاكائيات الثرية لمثل هذه الوسيلة

الثلاثينيات من هذا القرن. وكان الاتحاد السوفييتي يقدم على تحقيق الخطة الخمسية الأولى . وكانت الخطة تجابه كثيرا من المشاكل والصعوبات . وفكر الفنان الشاب المتخصص « مدفدكين » في وسيلة يسهم بها في انجاح الخطة ، جمع في عربة قطار قديم معدات سينمائية للتصوير والطبع والقطع ، واعد بالقطار مطبخا وحجرة طعام وحجرة نوم ومطبعة صغيرة واخذ مع مجموعة من زملائه اجهزة بسيطة للتصوير ، وقام القطار من موسكو الى اوكرانيا وكان وقت الحصاد . وينزل « مدفدكين » وصحبه من القطار ليصور العمل في الموقع . ثم يقومون بتصوير وطبع الفيلم ، وفي اليوم التالي يعرضونه على الفلاحين . يجمع الفلاحون لمساعدة عملهم ومناقشة ما يكون قد حدث من اخطاء . ثم يقوم القطار وتنزل المجموعة الى احد المصانع .



من فيلم : « لاوس .. الأرض الحمراء »

ويناقش العمال في الفيلم المعروض امامهم ما حدث من اخطاء . لماذا حدثت هذه الاخطاء ؟ كيف يمكن تجنبها ماذا يمكن ان نفعل من اجل زيادة الانتاج . تقوم الصحيفة الصغيرة بنشر المناقشات والقتراحات حتى يستفيد منها العمال في المصانع الاخرى ، كانت الكاميرا تنتقل بسرعة الى مواقع العمل ترصد وتعرض وتناقش . بل وتقدم وتحاسب ثم تعود الى نفس الموقع لتسجل ما حدث من تغير . وبذلك اسهمت هذه التجربة في تحقيق وانجاح الخطة .

هذه التجربة التي كانت جديدة ورائدة يمكن ان يقوم بها التلفزيون اليوم ، لكن في ذلك الوقت لم يكن هناك تلفزيون ، ومن هنا كانت جدتها واهمية سرعتها في الحركة ومع ذلك فبعد اربعين عاما من التجربة القديمة يقوم بعض السينمائيين الفرنسيين اليوم بنفس التجربة في فرنسا وتعرض افلامهم في نوادي وتجمعات العمال في مناقشات مثيرة . ويطلق هؤلاء السينمائيون الفرنسيون على عملهم مجموعة مدفدكين . تواجه السينما التسجيلية المشاكل الاجتماعية

على فكر الشعب ولم يكن هناك في هذا الوقت الا الافلام التجارية التي تقتصد اساسا الترفيه والهروب من الواقع ففكر « جريسون » في نوع من الافلام يفيد المجتمع . واستفاد من دراسته في الاقتصاد والاجتماع وهو يعد تجربته السينمائية الاولى عن صائدي السمك في اسكتلندا ، وكناهم من اجل القوت ، ومشاكلهم الحياتية . وآمن بدور الفيلم في تسجيل مشاكل المجتمع من اجل مستقبل افضل .

وتنمو حركة السينما التسجيلية في العالم ، تراها مختلف الحكومات التي تتخذ منها وسيلة للتقدم ولترية الشعب . هذه كندا يقوم فيها المجلس القومي للفيلم بانتاج حوالي اربعة الاف فيلم سنويا في مختلف المجالات الاجتماعية والعلمية والفنية وهذه بولندا تقيم اكثر من ستوديو ووحدة انتاج لتقدم اربعمئة فيلم تسجيلي كل عام من مختلف الانواع ، وصارت السينما التسجيلية وسيلة للتقدم الاجتماعي ، ومجالا لعرض قضايا الشعوب المكافحة من اجل حريتها واستقلالها، وسلاحا يقف بجانب المدفع ، يصور معارك النضال في سبيل التحرر .

مهرجان لايزج

هذا منخل لا بد منه لاحدكن عن اكبر واحم مهرجان دولي للسينما التسجيلية ، وهو مهرجان لايزج الذي يقام من عام منذ اربعة عشر سنة في مدينة لايزج بجمهورية المانيا الشرقية وتشترك فيه الدول الشرقية والغربية رسالية واشتراكية ونامية ، بافلام تصور تجاربها الاجتماعية والعلمية ، ومعاركها من اجل البناء والتقدم ، ومن اجل التحرر والسلام . ومقتدي الاول والاخر هو مناقشة مدى ايكانيات السينما التسجيلية لبلاندا العربية وهي تسعى نحو التطور وتعمل جاهدة على التغلب على اسباب التخلف والحقا بركب الحضارة ، ثم وهي تجاهد ، اليوم من اجل ازالة اثار العدوان الرابض على بعض اراضيها ، والتحرر من كل اثار الاستعمار .

السينما والمجتمع

كيف يمكن ان يسهم الفيلم التسجيلي في حل المشاكل الاجتماعية والاقتصادية ؟

اعرض لك تجربة رائدة شاهدناها في مهرجان لايزج الدولي الاخرى في فيلم فرنسي باسم « القطار الذي يسر » . قدم فيه مخرجه « كريس ماركير » تجربة المخرج السوفييتي « الكسندر مدفدكين » في



« جنوب افريقيا »

.. حتى في مجازيات كرة القدم .. خط حاجز
بين السود والبيض .



الافلام فيللمن انتاج فرنسي اشترك في اخراجه ستة من كبار المخرجين الفرنسيين منهم « كلود ليلوش وجان لوك جودار وبوريس ايفانز وكريس ماركيز وابنيس ثاردا » .. اجتمعوا بهدف : كيف يمكن ان يسهموا بفنهم السينمائي في خدمة قضية شعب فينتنام وكفاحه ضد العدوان الامريكي .. اعد كل منهم جزءا من الفيلم يمثل وجهة نظره .. « جودار » يلتقي بسيدة فينتنامية فقدت زوجها واولادها في الحرب .. لقاء مع خلفية من الاحداث

وتناقشها من اجل ايجاد الحلول لها .. هذا فيلم الماني اثار الإعجاب باسم « هي » للخرجة « جيتا نيكل » التي تعرضت لمشاكل المرأة العاملة . لقد نالت المرأة الأوروبية حقوقا متساوية مع الرجل في التعليم والاجور بالنسبة للعمل الواحد . ولكن ما زالت حقوق المرأة تمثل مشكلة اجتماعية . فرغم المساواة القانونية تعاني المرأة العاملة كثيرا من المشاكل التي تنصل بحياتها العاطفية ، سعادتها الزوجية التي تعصف بها احيانا الازمات مما يؤدي الى الطلاق ، مع تغير الظروف الاجتماعية ومع تقدم التكنولوجيا تشعر المرأة العاملة بان السعادة رغم التقدم ليست بالامر السهل .. لماذا ؟ تقوم الكاترا بزيارة نماذج عديدة من النساء العاملات ، الموظفة ، العاملة في المصنع ، المعلمة ، المتزوجة وغير المتزوجة ، تستطلع آراءهن في مناعيهن ، يتحدثن بصراحة .. وتقول المخرجة التي اخرجت اكثر من فيلم يدور حول المشاكل الاجتماعية : « ان من مسؤوليتي ان اعمل على تسجيل التغيرات الاجتماعية كما تنعكس على الحياة اليومية ، اقدمها واحلها بصدق وبصراحة وانفتاح وبلا خجل .. الفيلم التسجيلي اذن لا يقوم بمجرد تسجيل الواقع بل هو يحمل في تصويره للحاضر تصويره للمستقبل . وهنا دور المخرج الذكي الذي يقدم الحاضر والمستقبل معا .

ما بالك اذن بما يحدث اليوم في عالمنا العربي من تغير كبير وسريع يمكن ان تلهمه بين عام وآخر واثر هذا في تطور العلاقات الاجتماعية وما ينتج عن هذا من مشاكل .. اين دور السينما التسجيلية ؟

لكن ماذا عن الدور السياسي للفيلم التسجيلي .. ما هو دور الفيلم التسجيلي في الدفاع عن قضايا الشعوب المكافحة وعرضها على الراي العام العالمي .. وتوضيح وجهة نظرها بأسلوب فني وموقع ؟

ان هذا المهرجان — مهرجان لا ينزج — يرفع شعار « افلام العالم من اجل سلام العالم » .. وفيه شاهدنا اكثر من فيلم من معارك الشعوب من اجل التحرر ومن اجل السلام . قدمت احداث العالم الساخنة من خلال افلام يعايش فيها الجمهور القضية ويتعاطف مع صاحب الحق .

فيتنام والسينما

نتال قضية فينتنام وجنوب شرقي اسيا جانبا كبيرا من الاهتمام .. فلتر كيف يتناول السينمائيون هذه القضية وبأي اسلوب واهب اولا ان اشير الى ان الافلام التي شاهدناها في مهرجان لاينزج عن فينتنام انتجها فنانون احرار من الشرق ومن الغرب وبعضهم من الولايات المتحدة الامريكية نفسها .. ومن اهم هذه

نهاية الحوار

وهذا فيلم انجليزي جريء يدين التفرة العنصرية في جنوب افريقيا .. عنوانه « نهاية الحوار » صوره مجموعة من الشبان الافريقيين من اعضاء المؤتمر الوطني لجنوب افريقيا وهو حزب وطني يدعو لحرية الاهالي الافريقيين ، بمعونة بعض الانجليز الاحرار .. لقد سمعنا وقرأنا الكثير من التفرة العنصرية في جنوب افريقيا .. ولعل اخر ما صدر هو عدد مجلة « رسالة اليونسكو » الاخر .. ولكن ما تسع وما تقررا لن يستطيعا ان يجسدا لك الحقيقة كما تشاهدها في فيلم يأخذك الى داخل جنوب افريقيا لترى كيف يعيش الافريقيون الذين يشكلون سبعين في المائة من السكان في ظل ظروف من الفقر والحرمان من جميع الحقوق السياسية والانسانية في مجتمع عجيب يتحكم فيه الرجل الابيض في ثروات البلاد وفي حريات الافريقيين وفي حياتهم العامة والخاصة . في هذه الجمهورية التي تسمح فوق بحر من الذهب والماس يعيش الافريقيون الذين يشقون ويعرقون من اجل استخراج هذه الثروة في « جنو » قدر فقر منعزل عن احياء البيض المحيط به السياج ، يعيش الافريقيون كالفراة حريتهم مقيدة ، حركةهم محسوبة فلا يسمح لأي افريقي ان يتواجد في اية بلدة في ساعات معينة من الليل الا اذا كان بيده تصريح كتابي موقع عليه من صاحب العمل او الموظف المسئول . العامل الذي يعمل في المدينة الكبيرة عليه ان يمدو قبل المساء الى قريته البعيدة والا اعتقل وفرضت عليه غرامة مالية اذا تخلف في المدينة . خادمة البيت السوداء تعيش في حجرة فقيرة محرم على زوجها زيارتها واذا ضبط معها يلقى به في السجن . تتجول بنا الكamera بين احياء الاهالي الافريقيين والاطفال فيها شبه عرايا وبين احياء الاوربيين البيض ومساحهم وشواطئهم وفيلاتهم حيث تعلق دانا لانقة « لا يسمح لغير البيض » .. اغلب الاطفال الافريقيين لا يذهبون للمدرسة ومن يذهب حظهم سعيد لانه سيتناول وجبة يحرم منها اشقاؤه المحرومون من التعليم . من اجل هذه الوجبة يواظب التلاميذ الافريقيون على المدرسة التي لا يمكن ان تقارن بمدرسة الاطفال البيض ..

الفيلم وثيقة هابة لادانة النظام والقوانين السائدة في تلك الجمهورية التي يحرمها ميثاق الامم المتحدة ولهذا علنت الامم المتحدة على استنكار هذه الاوضاع رسميا .

وتدخل كاميرا التلفزيون السوفياتي الى قلب الاحداث المثيرة في شمال ايرلندا لتقدم لنا المشكلة

الرهبية .. « ليلوش » يصور حافلة طائرات امريكية ويلتقي ببعض الجنود .. « فاردا » تصور انتحار راهب بوذي حرقا امام الكونجرس الامريكي .. « اينانس » يعيش مع الثوار في حياتهم المعادية في فيتنام .. وهكذا خرج فيلم « بعيدا عن فيتنام » الذي كان له اثره الكبير في الرأي العام العالمي وتجنيد القوى لمساندة شعب فيتنام .

وفي افلام مهرجان لايبزج الاخر مثل « فتيات هونج كونج » او « قرية على نهر ترا » وغيرها تدعوك الكamera الى معايشة الفيتناميين في حياتهم اليومية . في علمهم بالحقل وهم يزرعون ويحصدون والدفع على ظهورهم . في اغانيهم ورقصاتهم التي قدمت فيها الموسيقى الشعبية . في معيشتهم وفي المخايء حيث يتعلمون ، ويصنعون الذخيرة ، وينامون مع اطفالهم بينما الحراس يترقبون بعيون يقتله اي هجمة للعدو . هذه المعاشية للناس العاديين .. للفتيات والنساء والاطفال .. تدفعك الى التعاطف معهم حينما يتعرضون لغارة وحشية من الطائرات .. ويستقبلون في مقاومتها ومطاردتها وينجحون احيانا في اسقاط بعضها بدافعهم البسيطة ..

من اهم الافلام التي قدمت في المهرجان فيلم امريكي باسم « اوراق البناتجون » يقدم فيه الاستاذ دانييل الزبيرج الذي كان مستشارا للبناتجون - وزارة الدفاع الامريكية - ثم ذهب في زيارة استطلاعية الى جنوب فيتنام ولاوس ، وشاهد بعينه احوال القوات الامريكية هناك وكيف يفقد الجندي انسانيته تحت وطأة الضغط النفسي والذعر الذي يعيش فيه .. كيف يغدو القتل متعة جنونية .. كيف يحاول الجندي الصغير الشاب الذي ترك جامعته واهله ان ينسى من خلال الانفاس الزرقاء او تعاطي المخدرات .. لقد تشار ضمير الاستاذ الامريكي المتكف .. وكتب تقريره المشهور .. ثم اراد ان يعرف به الرأي العام في داخل بلاده وخارجها فقام بنشره في بعض الصحف مما اقام حوله زوبعة كبيرة عرضته للمحاكمة .. وفي الفيلم ترجم كل وثائق وحقائق التقرير الى صور من خلال لقاء المخرج « جيري ستول » مع الاستاذ الزبيرج نفسه الذي يتحدث بصراحة ليدين التورط الامريكي في فيتنام وليرسم صورة رهيبة من الفظائع التي ترتكب في جنوب شرقي اسيا في حق النساء والاطفال العزل من غير موجب عسكري .. واذا كان هذا الفيلم لم يعرض في دور العرض العامة فقد عرض في ١٢٥٠٠ ناد وهيئة ومنظمة شبابية وطلابية ونسائية واجتماعية في الولايات المتحدة نفسها .. وكان سندا للداعين الى انسحاب القوات الامريكية من فيتنام .



من فيلم : « على الجندي ان يكون مستعدا ! » .

١٩٦٧ في فيلمه « العدوان على الشرق الاوسط » ،
 ايا المخرج التلفزيوني « ابراهيم الشقنيري » فقد اذاع
 في فيلمه « السادة لانتزعوا » العنف على مدى
 التاريخ منتهي بالعدوان الصهيوني . ثم قدم المخرج
 التلفزيوني « سعيد مزروق » في فيلمه « اعداء الحرية »
 عن طريق الصور الثابتة والمونتاج ، عرضا لمظاهر
 العدوان الامريكي في العالم وفي الشرق الاوسط . ويقدم
 الفيلم السوري « بعيدا عن الوطن » زيارة لاطفال
 اللاجئين الفلسطينيين وامالهم واحلامهم في المستقبل .
 واما فيلم « نحن بخير » من انتاج التلفزيون السوري
 فيقدم بطريقة ساخرة احوال العرب في داخل الارض
 المحتلة على هدى اذاعة اسرائيل ورسائلها التي يقوم
 فيها بعض العرب « نحن بخير » .
 مجهودات طيبة بلا شك اخرها الفيلم اللبناني
 « مغربون مع الرياح » الذي يقدم حياة فناة فلسطينية
 لاجئة نزحت عن بلادها سنة ١٩٦٧ ثم تصوراتها
 وتصورات الاطفال الاخرين عن فلسطين والمسجد
 الأقصى وكنيسة القيامة والحياة في فلسطين .. نقول
 مجهودات طيبة ، ولكنها لم ترتفع الى درجة العرض
 الشامل للقضية الفلسطينية ، والى جذور هذه
 القضية الحيوية ، وما يتصل بها من نزاع في الشرق
 الاوسط وحرب وعدوان يلقى السلام العالمي .

في اصولها التاريخية وتصور الاحداث التهجيبية هناك ،
 تفجير القنابل ، والبيوت المتهدمة ، والقنابل في
 الشوارع ، وتلقي بضابط انجليزي شارك في الحرب في
 جزيرة قبرص ثم في حرب السويس وكان بالفيلم يربط
 بين الاحداث الثلاث من خلال هذا الضابط بدلالة لها
 مغزاها .

القضايا العربية في السينما

تدعونا هذه الانلام وما تقوم به السينما التسجيلية
 اليوم في عالمنا من دور سياسي ونضالي هام ان
 نتساءل وماذا عن قضايانا العربية في السينما . وكيف
 نقدمها للرأي العام العالمي . وهذا محور هام في حديثنا
 هذا كله .

لقد كان لمهرجان لايبزج الدولي للافلام التسجيلية
 دوره في عرض القضايا العربية من خلال افلام عربية
 وافلام اجنبية . لا بد من الاشارة مثلا الى فيلم
 « هيا ياابناء الجزائر » الذي قدمه المخرج الالماني
 « كارل جاس » لمساندة كفاح شعب الجزائر .. كما
 سجل الفيلم الفرنسي « الجزائر في ساعة الصفر »
 ساعة تحرير الجزائر . وسجل المخرج « سعيد نديم »
 العدوان الصهيوني على البلاد العربية في يونيو (حزيران)



من فيلم : « لاوس » . الأرض الحمراء

وطبقهم الأصلي . يفضلون الموت على المعيشة بعيدا عنه . يؤكد الخرج هنا على اصرار اسرائيل على بقاء يهودية اللاجئين الى ديارهم او تعويضهم حسب قرار الأمم المتحدة .

ثم تزور الكابرا بلدة « الكرامة » لتقدم لنا صورة عنها قبل العدوان الاسرائيلي ثم بعده وما حدث فيها من دمار . تلتقي مع بعض الفدائيين ممن قاوموا هذا العدوان ليتحدثوا عن المعركة التي ناضل فيها الفلسطينيون بكل قواهم حتى انسحب الاسرائيليون بعد ان احرقوا المزروعات وتركوا الارض خرابا . ثم تلتقي الكابرا بعد جولة في عمان وجسر الملك حسين ، ببعض الفدائيين ليتحدثوا عن احداث سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٧٠ وما حدث فيها من مذابح .

ومن اهم اللقاءات لقاء مع ياسر عرفات رئيس منظمة تحرير فلسطين وقائد (فتح) في حديث عن اهداف المقاومة في اقامة دولة فلسطينية ديموقراطية . وضرورة عودة الفلسطينيين الذين اخرجوا من ديارهم . ويؤكد عرفات اننا نقاتل الصهيونية وهي جزء من مخطط امبريالي عالمي ، لا اليهود . يتحدث عن الثورة الفلسطينية وانها مثل السمكة لا يمكن ان تعيش بغير الماء ، ولهذا لا بد ان نكافح ونقاتل من اجل حياتنا . ويتخلل الفيلم مشاهد لتدريبات طلائع الفدائيين في معسكراتهم واستعدادهم بالسلاح .

فيلم الماني عن فلسطين

المعجب ان محاولة قامت في هذا الاتجاه ولكنها تأتي من جانب بعض السينمائيين الشباب الاحرار في المانيا الغربية قدموا فيلم « فلسطين » امام وفود ٤٨ دولة من الشرق ومن الغرب ، وقد عرض الفيلم للقضية ابتداء من وعد بلفور وكيف ان فلسطين كانت دائما ارضا عربية يسكنها العرب مع قلة من اليهود في سلام . ثم بدأت الهجرة اليهودية مع وعد بلفور وفي ظل الانتداب البريطاني ويعرض لتزايد الهجرات الشرعية وغير الشرعية واستيلاء اليهود على الاراضي العربية واقتلهم للمعسكرات وبعد حديث عن مطامع الصهيونية الفوسعية في اقامة دولة من النيل الى الفرات ينتقل الفيلم الى احداث يونيو (حزيران) ١٩٦٧ ، وما ابداه زعماء اسرائيل وموشي دايان من اراء استعمارية . يصور الفيلم الحياة في بعض معسكرات اللاجئين ليلتقي ببعض الفلسطينيين الذين يتحدثون عن احداث ١٩٤٨ واضطرابهم للخروج من ديارهم وارضهم . نظام المعيشة في ظل معونة الأمم المتحدة . ما تقدمه وكالة الغوث لا يكفي . تزور الكابرا بعض المدارس الفلسطينية . الخيام وما تتعرض له في البرد والحر . لقاءات هامة مع اللاجئين كلهم يريدون ان يعودوا الى

دور السينما في التطوير الاجتماعي



دعوة الى التعاون المربي

رغم ان هذا الفيلم يحاول ان يقدم القضية الفلسطينية في شيء كبير من الموضوعية الا اننا نرئو الى فيلم عربي كبير عن القضية الفلسطينية في ابعادها المختلفة من وجهة نظر عربية .

وهذا يدعونا الى العودة الى التساؤل الذي سبق وان طرحناه .. ما هو دور السينما التسجيلية في البلاد العربية . هناك جهود طيبة بدأت تنشأ في بعض البلاد العربية . وهناك شبان مثقفون اخذوا يسهمون في الانتاج السينمائي التسجيلي . وهناك اجهزة رسمية اخذت تقدم المون المادي . ولكن الفيلم الروائي التجاري ما زال هو الطاغي والمسيطر . نحتاج الى بذل كثير من الجهد وكثير من العناية للفيلم الذي يساعد على عملية التطوير الاجتماعي ، والذي يعرض لقضايانا بالوسيلة الفنية المتقنة ، وهذا يستدعي :

- اهتمام بتوسيع شبكة دور العرض ، والزامها بعرض الافلام التسجيلية مع الروائية .
- مزيد من العناية بالفيلم التسجيلي من جانب التلفزيون .
- ميزانيات خاصة وامكانيات مادية متاحة للفيلم التسجيلي .
- اهتمام من جانب جامعة الدول العربية بانتاج افلام تسجيلية عن القضايا العربية يقوم بانتاجها سينمايون عرب .
- تجميع جهود السينائيين التسجيليين العرب في اتحاد عام لهم ينسق بين مجهوداتهم ويناقش مشاكلهم وتعاونهم في عرض القضايا العربية امام الراي العام العالمي ، ويؤدي الى تعريف اعرق عن طريق الفيلم التسجيلي ببلاد الوطن العربي بعضها ببعض الاخرى، وتبادل الخبرات والزيارات والافلام .

فوزي سليمان

انتخاب الهيئة الادارية لجمعية المؤلفين والكتاب العراقيين لسنة ١٩٧٢ — الدورة الثالثة عشرة

اسفر انتخاب جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين عن النتائج التالية :

- ١ — الدكتور يوسف عز الدين — رئيسا
اساذ في كلية الادابوامين المجمع العلمي العراقي
- ٢ — الدكتور عبداللطيف البدري — نائبا للرئيس
عضو المجمع العلمي العراقي ورئيس قسم الجراحة بكلية الطب
- ٣ — السيد محمود بهجة سنان — سكرتيرا
كاتب ومؤلف مختص بالخليج العربي في تاريخه وجغرافيته .
- ٤ — الدكتور ضياء الدين ابو الحب — امينا للصندوق
اساذ في كلية الاداب له عدة مؤلفات في علم النفس .
- والسادة التالية اسماؤهم اعضاء الهيئة الادارية:
- ١ — الدكتورة سائحة امين زكي
رئيسة قسم العقاقير في كلية الطب وكاتبة وباحثة
- ٢ — الدكتورة باكرة رفيق حلمي
عضوة المجمع العلمي الكردي — استاذة في فقه اللغات السامية
- ٣ — السيد نور الدين الواعظ
محامي وكاتب قانوني
- ٤ — السيد نعمان ماهر الكتعاني
مؤلف وشاعر وكاتب ووكيل وزارة الاعلام سابقا
- ٥ — السيد عبدالرحمن التكريتي
كاتب اخص بقضايا الامثال والمأثورات الشعبية

لقاء



شعر

عبدالصاحب الملائكة

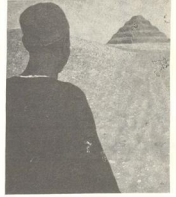
تقبله عاشق بضم الحبيب
كزنبقة على غصن رطيب
كأخلام العذارى أو نسيم
من الفردوس ريان اليوب
كانفاس من الفجر المندي
تهب على ربا الحقل الخصيب
خطرت فمالت الازهار شوقا
تبت على طريقك كل طيب
وازهرا بلقح مرت عليه
خطاك فعاد في ثوب قشيب
ووشئت الورود تقول هذي
لنلك ، نظرت للحد الخصب ؟
لقد سرق النسيم اللون مني
فاغنى وجنتيها باليب
وقالت وزدة بيضاء : مني
شاي اللؤلؤ الغض الرطيب
فرد الزنبق القاني : ولوني
هدية ذلك الثغر الشيب
وقم فراشة حطت برفق
على الجيد المضمخ بالطيب

أثارت لفتة عجلي إلينا
وأين تلفتت الرشا الريب
فما اعتقت نواظركا اثباتا
كأشهي من معانقة القلوب
ولا أفواهنا هتكت بلفظ
كأعذب ما تتأغت بالوجيب
ولا اهتزت جوانحنا للقياء
كما ارتعشت بإحساس غريب
وسرت إلي في أحلى حياء
وغلغل في دمي أحلى دبيب
وأومض في عيونك برق شوق
تلاقى من غيوني بالنسب
فما استطاعت لحاظك كتم سر
جهدت لطيفه طي العيوب
وأشرق في مراشيك ابتسام
وصرت إلي أقرب من قريب
فياجمال خصرك في ذراعي
وما أشهى سراك : يا حبيبي



(بغداد — عبدالصاحب الملائكة)

نماذج للبيطل في الرواية المصرية



بقلم / يوسف حسن نوفل

"الحلقة الثانية"

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

الشوك ، لمحمد فريد أبو حديد ، واني راحلة ليوسف السباعي ، وبعد الغروب لمحمد عبدالحليم عبدالله ، وراى ان ابطال هذه الروايات (١) سلبيون .

ففؤاد بطل الرواية الاولى سلبى ، لانه يحب تعويضة ، فينالها منه شاب بدوي مثلها اسمه قوية ، ثم يحب عليه اخت صديقه سعيد فينالها منه قريبها صديقي ، ولا يتحرك في مواجهة هذين الحداث الهامين في حياته ، مما دفع بالنقاد الى اعتبار تلك الشخصية سلبية ، وساعد على ذلك في نظره عدة امور :

(١) كثرة المصادفات ، فهو يلتقي مصادفة بسعيد على شاطئ الاسكندرية وقوية في حديقة الحيوان ، وعليه بفندق بلبنان ، وقوية بحلقة ذكر بطنطا .
(٢) كثرة الفلسفة التي تجري على لسانه ، وهي في الحقيقة افكار المؤلف .

(٣) خلو الرواية من الصراع فهو يتخلى عن تعويضة ، دون ان نلح صراعا يكسب الحدث قيمة . . وهو لهذا يلتقي باللوم على المجتمع ، وينسى نفسه، ونلاحظ ان الموقف الايجابي الوحيد لديه هو حين حاول اصلاح ما بين عليه وزوجها ، وان كان يرى الناقد انها ايجابية زائفة ومثالية . وعائدة في الرواية الثانية

كان تناولنا في عدد سابق للصف الاول من بطل الرواية المصرية وهو البطل الايجابي ، والان موعدا مع الصف الثاني وهو :

البطل السلبى

وكما حفلت الرواية بالنماذج الايجابية فانها حفلت بالكثير من النماذج السلبية ، ولعل ذلك هو طبيعة الاشياء ، اذ يوجد الشيء وتقيضه دائما ، وحين تخوض البلاد معاركها قبل او بعد الثورة ، لا شك انه يوجد المتوقفون ، جنباً الى جنب مع الخاضعين ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فان تبويب ، او تصنيف النماذج السلبية هنا يعطي حجمها اتساعا وشمولا وعميقا .

فمن السلبى من يمكن تسميته بالمستسلم ، وهو من الناحية الفنية ذلك الذي لا تنمو شخصيته مع نمو احداث الرواية ، وغالبا ما يكون ذلك راجعا لكاتب الرواية ، الذي يقصر في تحديد وتصوير خطوات صعود هذه الشخصية ، مع اوج الاحداث ، حتى لتبدو كالمفرج ، كما يعبر الدكتور عبدالقادر القط، وكما اشرت في حديثي عن البطل الايجابي وما اود ان استكمله هنا، فلقد استشهد الدكتور بثلاث روايات هي : ازهار

تستسلم لابيها ، فتقاطع حببيها وابن خالها احمد ، وترضى بالتزوج من « توتو » المخطئ ، ثم تدور الايام لتلتقي باحمد بعد وفاة زوجها ، ثم يموت بالصران الامور فتحرق الكوخ عليهما معا هي وهو ، وتلقى بقصة حبهما خارج الكوخ .

ويستند السيد الناقد في تبرير حكمه ، على خلو الرواية من الصراع ، وعلى وجود المصادفات بها .
وعبدالعزيز في الرواية الثالثة سلبى ، لانه لا يوفق في حب بنت صاحب العزبة التي يعمل بها نانظرا للزراعة ، وتنعكس السلبية على بائي ابطال الرواية الذين يضحون غالب يضحي بمستقبل ابنته حين يفرض عليها غير من تحب ، وابنته تضحي بحبيبها لعبدالعزيز ، لترسخ لابيها ، وزينب الخادمة تضحي بحبيبها لعبدالعزيز . الخ .
ويلاحظ على الناقد انه ، كما سبق ، يربط بين روح السلبية سفير ، وبينها اجتماعية ، ولقد ايدته في ذلك الدكتور فسيار القلماوي في تعليقه على الكتاب (٢) .

وفي ردي السابق ما يكفي لالقاء الضوء على وجهة نظري في هذه الجزئية . الجزئية الثانية ان الناقد يقرن بين السلبية ، وبين روح القهر او الضغط الخارجي وهي باسيتسع المجال لشرحهمند حديثي عن البطل المتهور ، وهو الذي يقع ضحية شيء خارج ذاته ، ويمكن ان يدخل فيه عبدالعزيز باعتباره ضحية النظرة الطبقيية الذي حاول ان يقتحمها فلم يستطع ، وهذا ما اميل اليه . وان قرر عبدالعليم ببطله وهو يدافع عن عبدالعزيز انه ايجابي ، حيث تحمل مسئولية عائلية ، وعمل ، ثم لما صدم جند قلبه لخدمة مجتمعه بعيدا عن النظرات الطبقيية المتعصبة ، وهو يقارن بينه وبين بطل هينجواي في رواية المعجوز والبحر ، فبرى في بطله ايجابية ، بينما يرى في بطل هينجواي بطلا دمره القدر تدمرا ، حيث رجع من الصيد بهيكل مغمي لسكة قد اكمل سلك القرش لحيها ، رغم ذلك ، فانني اعد هذا البطل متهورا ، وضحية ، ويدعم ذلك قول عبدالعليم عبدالله عن ابطاله مدافعا عن دعوى صفة السلبية لديهم : « وليس ابطالي مستسلمين تاركين جبل الامور على غاربيها ، لكنهم يتعمون باليقين ويعلمون ان هناك قوة غير قوتهم ، قد تعارض اراذتهم ، وقد تساعدها ، فاذا ساعدت اراذتهم زادت سعادتهم ، واذا عارضت اراذتهم لم يكونوا ناصقين ، بل يقفون موقف من ادى واجبه ، لكن من هو اقوى منه غلبه على امره (٣) .
وفي حديثي عن البطل المتهور فيما بعد ما سيوضح ذلك .
ومثل عبد العزيز في قهره عايدة في اني راحيلة ليوسف السباعي ، فهي ضحية تسلط تربية الاب ، وضحية المناخ الاجتماعي الجامد .

١ - اما النموذج الاول : مؤاد ، بطل ازهرل

الشوك ، فاني اتفق مع السيد الناقد في جعله نموذجا للنوع الاول ، من نوعي البطل السلبى ، وهو المستسلم .
٢ - يأتي بعد ذلك النوع الثاني من انواع السلبية لدى ابطال الرواية المصرية ، وهو ما يمكن ان اسميه القصر ، وان كان يتفرع بدوره الى فصيلتين :

(١) فصيلة اسميها غير المبالي :

- ويمكن ان اكتفى للاستشهاد بها بالنماذج التالية :
المعلم نونو صاحب مبدا « لمعون ابو الدنيا » في رواية « خان الخليلى » .
- سناء بطلة « العيب » ليويسف ادريس في مرحلة معينة اطلقت فيها شعارها « ولا يهيك » .
- محيي احد ابطال « في بيتنا رجل » لاحسان عبدالقدوس ، في مرحلة معينة في الرواية .

(ب) فصيلة اخرى اسميها المضاد :

وهي تتمايز من الاولى بأنها لم تقتصر على المرحلة الاولى من السلبية وهي اللامبالاة ، بل تعدتها الى مرحلة اخرى اشد خطورة ، حين اتخذت موقفا ضد مجتمعا ، ورسالتها فيه ، مثل : طلبة مرزوق ، وسرحان البحري في رواية « ميرamar » . او ضد بني جنسها مثل : البنات في « العيب » ، وعبدالحميد « في بيتنا رجل » في مرحلة معينة ، ورؤوف علوان في « اللس والكلاب » لتجيب محفوظ ، ومصطفى عوجة في « انا الشعب » لاحمد فريد ابو حصيد .

١ - البطل غير المبالي :

وهو ذلك الذي لا تتحدد له وجهة نظر في ما حوله ، فيعتمد لديه الهدف والوسيلة على حد سواء ، وهو لا يحفل بدوره في المجتمع ، فلا يتحرك في صنع شيء حسن او سييء ، وبذلك فانه كمن يعيش في الحياة على هامشها سواء اكنى بذلك او تحرك لاعداد غيره ، والتأثير عليه ، ويصادفنا في هذا المجال : المعلم نونو صاحب فلسفة « لمعون ابو الدنيا » ، فهو يردد هذا الشعار بنسابة وبلا مناسبة ، ولا يمنعه من ذلك ان تكون له اراء جنسية في المرأة ، وان يكون من مدمني « الحشيش » ، وهو يؤثر على الشخصية الضعيفة « احمد عاكف » ، الذي سأناقش قضيته في حديثي عن البطل الفاشل ، ويتخذة احمد صديقا له ، وتلكه الدهشة المزوجة بالاعجاب ، حين يستمع لرائه ، بل انه يلعن فريسة اغرائه على تعاملتي « الحشيش » ، يقول له : ألم تسع عن « الحشيش » ؟ .. طواعني .. الحياة ملأى بها هو الذ من الكتب .. وحين يلح خوفه من الشرطة ، يقول له : « اعرف كيف اتقي شرها » ، ثم تكون النهاية حين يخضع له خضوعا كاملا ، فيتعاملتي « الحشيش » ، بعد ان قال له المعلم نونو : هلتر رجل حكيم ، ولا يداخلني شك ان الفضل الاول في

مهارة خططه راجع للحشيش (٤) .

وهو يفسر فلسفته بقوله : دع الهموم واضحك ، واعبد الله ، الدنيا دنيا الله ، والفعل فعله ، والإمر أمره ، والنهاية له ، فعلام التفكير والحزن ، بلعون أبو الدنيا (٥) .

على أن المعلم نونو ليس مثلاً فردياً ، بل هو نموذج لكثيرين غيره ، وقعوا تحت تأثير المجتمعات الغابرة ، حيث عرفوا السلبية واتخذوا المواقف غير المبالية ، نتيجة حرص الاستعمار والسلطات الحاكمة على بث روح السلبية واللابالاة في صفوف الشعب ، وخاصة الفئات المخلفة والمحرومة من الثقافة وقد استمرت بقايا قليلة لهذه الظاهرة حتى الآن ، على أن ذلك لا يعني أن الظاهرة لم تخف حدتها ، فلتقد صاحب المد الثوري قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وخاصة في الأربعينات من هذا القرن ، صاحبه تحولات عديدة لدى كثير من غير المبالين ، وضاعف من قوة هذه التحولات ، احساس الشعب بمكاسب الثورة ، وقد رأينا بطلاً مثل محيي ، بطل غير مبال ، حتى ينقله إبراهيم حمدي بطل « في بيتنا رجل » إلى مرحلة إيجابية ، فيبدأ في الاهتمام بالسيسامة ، والقضايا الوطنية ، على نحو ما رأينا في حديثي عن البطل الإيجابي .

ومثل هذا البطل من اختلاف الدوافع ، حسني علام ، ابن العائلة الإقطاعية والذي يعيش بلا هدف ، ولا انتباه ، لا الحاضر ، ولا الماضي ، ولا المستقبل وكذلك عمر بطل « الشحاذ » .

وقد يكون موقف اللابالاة في مجال غير سياسي ، اجتماعي على وجه الخصوص ، وتكون دوافعه في الأعم الاحساس بالفسياح ، وبمرارة الضغوط الاجتماعية القاسية ، مثل بطله « العيب » سناء ، التي سأناقش قضيتها في حديثي عن البطل المتهور ، والم هنا بوجه من وجوه بطولتها ، فلتقد أحست سناء بفساد الحياة الاجتماعية والوظيفية المحيطة بها ، كما أحست بتسوة ظرومها العائلية ، ثم انفتحت لها مغاليق الأمور في طرق غير مشروعة ، فاولجتها أول الأمر مجبرة ، رافعة شعارها : مخفارة ، حتى بلغت حفيف السقوط ، رافعة شعارها : « ولا يهك » ، فترتشي ، وتباشر الجرائم الخلفية والجنسية ، غير مبالية بقيم ولا تقاليد .

ب - البطل المضاد :

ولكل موقف موقف آخر يتخذ شكلاً من شكلين المؤيد أو المضاد ، والمؤيد هو الإيجابي المتعاطف ، أما المضاد فهو المعارض ، وغير المتعنت مع الحرص على تحرك عكسي فعال .

وأول نماذج المضاد هو من اتخذ موقفاً مضاداً من الثورة ، ونماذج هذا النوع محصورة في الطبقة أو الطبقات التي أضرت من قيام الثورة ، بما

استتبته ذلك من القضاء على الاستعمار ، والإقطاع ، والراسالية المستغلة والمسيطرة على الحكم ، والاحتكار ثم صدور القرارات الاشتراكية ، بما أدى بالضرورة إلى مجموعة أحست بأن هذا العالم لم يعد عالمها ، ومنها من كان صامتا كالبطل الفاشل عيسى الدباغ في « السبان والخريف » ، والذي سأناقشه في مكانه من هذا البحث ، ومنها من تحرك تحركاً عكسياً مضاداً ، ودورهم في الروايات ثانوي ونافس ، نظراً لأن حركتهم نفسها كانت من الضلالة بحيث لم تحدث أثراً في الحياة العامة ، وانعكس ذلك على الرواية فصورتهم كالتقاعل المذمورة المولية ، أو كالخفافيش التي تتحرك في الظلام ، وتخذ منذ شروق الفجر ، ولعل أصدق مثل لذلك هو طلبة مرزوق بطل « مرامبر » لتجيب محفوظ ، أنه واحد من رجال الحكم السابق ، منافق ، جبان ، يميني ، لا يصرح بآرائه إلا إذا أمن الخطر ، ويحلم بجني أمريكا وسيطرتها على الحكم وهو هنا مختلف جد الاختلاف عن عيسى الدباغ الانتهازي كما سيتبين .

ومن الشخصيات التي خانت رسالتها ، فوقتت بذلك ضد مجتمعهما ، سرحان البحري ، بطل « مرامبر » غالباً لديه الاهتمام بالحاضر ، وهو لهذا يتسلسل عن معنى الحياة بلا « فيلا » وسيارة وإثارة .

ومن تاريخه السياسي نعلم أنه كان وفدياً قديماً ، ضمن لجنة الطلبة الوفديين ، لكنه غير مؤمن بذلك ، ويحصل على ركاك الوريوس التجارة ، في ظل مجانية التعليم ثم بدأ مرحلة التنظيمات السياسية بعد الثورة ، فكان عضواً في الاتحاد القومي ، ثم عضواً في لجنة العشرين بالاقتصاد الاشتراكي العربي ، كما انتخب عضواً في مجلس إدارة إحدى شركات القطاع العام ، ويرقى وكيلاً للحسابات بها ، ويستمتع بالحصول على المكافآت ، بما يعني أنه حصل على جميع أنواع المكاسب الاشتراكية في مجتمع الثورة ، ولو أضيف إلى ذلك أنه من الريف ، وعائلته من صغار الملاك ، بما يعني أنه ينتمي للطبقة الوسطى ، فانتا سوف نرى الأيسام تكشف دخيله ، فهو يتطلع للمال ، والمتعة ، والجنس من طريق خادمة الفندق « زهرة » ، وعن طريق غيرها ، وأقصى غايات التطلع تتطور حين يتآمر مع صديقين له ، ليسرق مخزن الشركة ، التي يعمل بها ، فيقبض عليه ، ثم ينتحر .

وتتمثل انتهازية وتسلق سرحان البحري في ضعف إيمانه بما يمتنع ، فهو يضك مع صديقه رأيت أمين ، حين يتنكر أن اجتماعات مماثلة ، قبل الثورة لاجتماعات الاتحاد الاشتراكي ، ويتضح من أحاديثها عدم إيمانها بها ، بما يصنعان ، وظهر ذلك كله في محاولة السرقة المكشوفة ، ومع هذا كله ، فلقد كان يحرص على أن يبدو ثورياً مخلصاً .

الحياة ادى الى ندرة عنصر الاخلاص والصدق في
المواقف البشرية .

وهكذا تحدد موقف السليبي المضاد في ناحيتين :
ناحية وطنية اجتماعية وناحية فردية تتصل بالعلاقات
المتبادلة بين الناس من زمالة في المثال الاول والرابع ،
وخلفية ناشئة في المثال الثاني ، وصداقة زائفة في المثال
الثالث .

على ان من الاهمية بمكان ان اشير الى انني
لا اقصد بالسلبية المستسلبة او اللامبالية او المضادة ،
لا اقصد بها ان اسجل عيبا فنيا لدى الكاتب ، بل على
العكس من ذلك فان نجاح الكاتب في تصوير اي من
هذه النماذج عمل يستحق التقدير ، كما ان هذا لا يعني
انه لم يلاحظ على هذه الروايات مواقف مفتعلة غير
واقعية ، ولعلي في ذلك لا اتفق مع المرحوم الدكتور محمد
منصور الذي عاب على شخصيات « طريق العودة »
ليوسف السباعي انها غير ايجابية وسلوكها منساف
للاخلاق ، مما جعل المؤلف يرد عليه ردا بمنغلا حادا
منكرا عليه ذلك (٦) ، وانا اتفق مع يوسف السباعي ، لان
الكاتب يصور الجانب الذي يراه ويلاحظه .

وعلى العكس مما ذهب اليه الدكتور منصور نجد
الدكتور جمال الدين الرمادي يعجب بشخصيات الرواية
ذاتها ، لانها « دائرية » كما يعبر « غورستر » في
تقسيمه للشخصيات في كتابه مظاهر الرواية الى :
مبسطة وهي التي لا تتغير ولا تطرا عليها الحوادث
تتغير بها ، واقستدير بها ، والى دائرية وهي التي
تتغير تبعا للظروف كالدائرة التي تجابه كل وضع بناحية
منها وتتغير في دوراتها (٧) .

وسرحان هنا لا يمثل نفسه فقط ، بل ان دوره
لينسحب على كثير من افراد الطبقة الوسطى ، وخاصة
القطاع المثقف منها ، فما زال المجتمع في حاجة الى
المثقف الثوري حقا ، ليس معنى هذا انعدام هذا
المثقف ، بل معناه ان بين صفوفه يوجد المندس ،
والمخادع ، والمضلل ، وهذه ظاهرة على خطورتها
لا تدعو للازعاج ، كما لا تؤدي للفشل ، فهكذا تعاني
مجتمعات التحول من بلاء التغيير وتعتري في بعض
الاحيان .

والنموذجان السابقان يتفقان في موقفهما المضاد
من المجتمع ، وان اختلفا في طريقة سلوكهما ، فاولهما
سلك طريق الانتهازية والتضليل ، والثاني سلك طريق
الجبن والخوف ، وكان موقفهما المضاد من المجتمع
والوطن ، ككل ، اما النماذج التالية ، فان موقفهما كان
ضد افرادهن من الافراد .

واول هذه النماذج ، موقف زملاء وزميلات سناء
بطلة « العيب » ليوسف اديس منها حين وقعت في
ضائقة مالية ، فمنهم من حاول ان يجد ذلك طريقا
لشهوته كالجندي ، ومنهم من انتهزها فرصة لاجبارها
على تغيير رأيها في الرثوة ، ومنهم من تلقت شكواها
ببرود ، وهي زميلتها نور ، انها تكتفي بعد ان سمعت
شكواها بان تقول : « والبي زعلتيني يا بسنن .. »
انها ضروري حلاتي حل ان شاء الله ، عن اذنك بقي
لحسن المنش زمانه مشي وتبقى وتعتني بسوءه »
(ص ٩٢) .

وكل هذه المواقف ناجمة عن موقف واحد هو
الموقف المضاد لسناء ، والضغط عليها في ظل ازمتها
المالية بغية اقتناعها عن العدول عن رأيها .

وباتي **المثل الثاني** وهو عبدالحديد بطل « في بيتنا
رجل » لاسنان عبدالقدوس ، انه يتقدم لخطفه سامية
أخت محيي ويرفض ، ثم يجيء البطل ابراهيم حمدي
ليخفني عند محيي وتجنه نوال أخت سامية ، وينتهر
عبدالحديد الفرصة ليهدد الأسرة وليحقق اماله فتوافق
الأسرة ظاهريا . وحين يهرب ابراهيم يجن لان فرصة
الضغط قد ضاعت فيذهب لرئيس القلم السياسي
ليبلغ عنه ، ثم يبدأ في التحول ، انه يدخل السجن حيث
وقع في الشبهات حتى يتحول الى الإيجابية .

اما **المثل الثالث** فهو رؤوف علوان الصحفي
الوصولي في رواية « اللس والكلاب » لتجيب محفوظ .
والنموذج **الرابع** هو مصطفى عوجة في رواية
« انا الشعب » لمحمد فريد ابو حديد الذي لم يكف عن
الدس لبطل الرواية .

وتحليل مواقف النماذج الاربعة الماضية نجد انها
تنبع من منبع واحد هو الحقد والانتانية ، وذلك يعني
ان طغيان الحياة المادية واشتغال حدة التنافس في

(١) في الادب المصري المعاصر ص ١ - ٤٤ .

(٢) ص ١٢٤ - ١٢٥ مع الكتب .

(٣) من حديث له مع غزوف شوشه - نشر بمجلة الاداب - والبيع
بالاذاعة .

(٤) الرواية ص ٩١ .

(٥) الرواية ص ٤٦ .

(٦) ايام وتكرات - (برافو شيخ النقاد) - يوسف السباعي
ص ٣٧ .

(٧) من اعلام الادب المعاصر - د. جمال الدين الرمادي ص ١٦٥
وص ٨٢ وما بعدها من كتاب : اركان القصة - ا.م. غورستر
ترجمة : كمال عباد جاد - مراجعة حسن محمود - دار الفكر
١٩٦٠ - القاهرة .



الأم التي لا تموت

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

صورة من كفاح المرأة ضد الاحتلال - عن بيرل باك

بقلم / فاطمة البديري حماد

كلية تدور في غرفة دراسة أخيها . وبذا أمكنها ان تحفظ دروسه كلها . ولو أتبع لها ان تجلس للامتحان مع أخيها في النهاية لتفوتت حتما عليه .

اما السر الثاني فقد ولج قلبها حين انتقلت الى منزل الزوجية وهي لم تتجاوز السابعة عشرة ، وعرفت ان زوجها امي جاهل بالرغم من ثرائه الواسع ، فراحلت تبذل جهدها لتخفي عنه ما احاطت به من علم وثقافة ، ولتشرعه بانها اقل منه اطلاعا وشخصية .

واقبل السر الثالث عندما امتلأ بيتها بالاولاد . ولم يخطر ببال احدهم انها مثقفة ذات اطلاع واسع ، بالرغم من تشجيعها لهم جميعا على ارتشاف العلم وحثها لهم على المزيد منه .

اما رابع هذه الاسرار واخرها فقد اسكنته اعماق

مدام سيان من اسرة « صينية » عريقة واسعة الثراء ، ولقد كانت بارعة الجمال ، واسعة الثقافة ، وان كانت مقومات ثقافتها الشخصية سرا من اسرارها المخفية العديدة .

ولقد طرق اول هذه الاسرار باب قلبها عندما كانت في سن التاسعة ، اذ لاحظت اختلاف معاملة ابويها لأخيها وإيثارها إياه عليها . وحين جرّوت يوما وسالت أمها عن سبب اعتنائها به دونها ، أجابتها الام قائلة : الا يكفيك ان تعلمي انك انثى وانه ذكر ؟ ومن ثم بدأت هذه الاسرار تتراكم في فؤادها ... كان اخوها يتلقى الدروس الخاصة في المنزل ، ايا هي فكان عليها ان تجلس في غرفة مجاورة تطرز وتخط ، فحاولت ان تجعل مكانها على مقربة من الباب بحيث تستطيع ان تسمع كل

نفسها ، عندما أعلنت الحرب بين الصين واليابان ،
وعندما علمت ان الاعداء على مقربة من بلدها . وليس
لاهل البلدة الا ان يبادروا للرحيل .

ولقد اشرفت مدام سيان بنفسها على حزم الامتعة
لاسرتها الكبيرة والاستعداد للسفر . وكانت طيلة الوقت
تتصور حال البيت وما سيؤول اليه من الهدوء اذا ما
رحل الجميع . وكان هذا حافظا على تعلقها بفكرة البقاء
وحدها في البيت .

وما ان اخفت السيارات الثلاث مقلة افراد
الاسرة عن انظارها حتى دخلت منزلها لتراه خاليا ساكنا
لاول مرة منذ عرفته ، فداخلتها راحة نفسية عجيبة .
وبعد ان دارت في ارجائه خرجت الى حديقة وجلست
تتمتع بمنظر غروب الشمس . وما كادت تعمل حتى دوت
صفارات الانذار معلنة تقدم طائرات العدو .

لم تتحرك السيدة من مكانها ، ولم تصافره الى
المخبأ ، بل ظلت ترتقب الطائرات المعادية حتى رأت
احداها تقذف شيئا كالشهاب يسقط متجها نحوها .
الا انه لم يصيبها بأذى وانما وقع على حائط الحديقة
مثيرا غبارا كثيرا يفتي الابصار .

وحين اخفت الطائرات واتجلت حجب الغبار
خرجت مدام سيان الى الشارع لتري الفجوة التي
احدثتها القنبلة . واذا بها تسمع ضجة كبيرة . وما
عنيت ان وجدت نفسها بين جمع حاشد من الجنود
الصينيين الفارين . فحاولت ان تقول شيئا . ولكن
المفاجأة عقلت لسانها الى ان اختفى هذا الجمع عن
انظارها ، وهنا استطاعت ان تجمع شتات افكارها

وتنظر مشفقة في اثرهم ، واذا بها تلاحظ جميع اخر
جلهم من الشباب يهرولون خائفين وجلين ، فنظرت
اليهم بازدراء ، وبادرتهم بقولها : « يا للعار . ليس
من الخزي والشئار ان تتركوا العدو يدخل البلدة
بهذه السهولة ؟ اليس لديكم اسلحة ، السم الرجال
الذين اعتمدت عليهم هؤلاء النسوة ، والاباء الذين ركن
اليهم هؤلاء الاطفال ، والابناء الذين استمرختم اولئك
الامهات ، فتركتموهن جميعا فريسة للعدو القاسي
الذي لا يرحم ؟ هيا ارجعوا عن غيكم وعودوا الى
صنوفكم » .

واعارها السمع بعض الجنود ، وتجاهلها البعض ،
ووقف آخرون ينظرون دهشين الى هذه السيدة المسنة
التي طلعت تخطب بهم وكأنها فتاة في العشرين .

واعجب بها تونج لي قائد الجيعة ، وهو شاب
توي فتى ، وتقسم منها معلنا اسفه لما صدر عنه وعن
اصحابه من الجبن ، واضعا نفسه رهن اشارتها .
وكان ان رسيت لهم الخطة الاولى ، وتخلص في ان
ينخفي الجنود في لباس القرويين والمزارعين ويتركوا
العدو يدخل البلدة فيقطعوا عليه خط الرجعة ،

وينتفضوا على افراده ويبيدوهم عن اخرهم .
ونظر اليها الجمع نظرة اعجاب وتقدير ، ورجوها
ان ترافقهم لتعمل معهم وتكلمهم ببركتها ورعايتها ،
فلم تجد بدا من الرضوخ ، والا فسد ما دبرته ، وهنا
ادركت انها ما ودعت حياتها الاولى الحافلة بالعمل
الا لتستقبل حياة اخرى تزخر باعمال اجل واسمى ،
فنظرت الى بيتها نظرة وداعية اخيرة وسارت بين من
استجذت من الإنساء .

دخل اليابانيون المدينة واحتل قائدهم منزل مدام
سيان الفخم . لانه كان افضل بيوت القرية وانظفها ،
ولجأت هي الى كوخ فلاح فقير ليس فيه من الاثاث
الا سرير خشبي وحشية من الثبن ، وكرسی وطبالة .
وكان تونج لي يزورها في هذه الغرفة يوميا لمرواحان
يرسمان الخرائط والمواقع والاهداف ، ويضعان الخطة
لحصار الاعداء ، وعندما خيل الى تونج لي ان الامور
قد انتهت الى غايتها فاجأته مدام سيان بفكرة لم تخطر
له على بال ، اذ عرضت عليه ان يرسل جاسوسا
الى ثكنات العدو ، يتعرف على اسراره ، ويشير
الى مواطنيه بما يتقون به شره ، ولما اخبرها بانسه
ليس ثمة جندي واحد يفهم اليابانية ، انبرت له قائلة :
سوف اذهب انا لخدمتهم ، فقد تعلمت قليلا من اليابانية .
وخرجت لتوها مبتكرة في زي فلاحية تبيع الفطائر ،
وعطفت فطائرهما بقطعة نظيفة من القماش . اذ كان
اكثر ما يكره اليابانيون القذارة . وما ان رآها جنودهم
حتى نهضوا عليها لشراء فطائرهما ، وبلغ امرها القائد
فطلب اليها ان توافيه بفطائرهما كل يوم . ومن ثم اخذت
تقوم على خدمته وخدبة زملائه . واخذ حذرهم منها
يخف على توالي الايام نظرا للسداجة والبلاهة التي
كانت تتظاهر بها . وصارت السننهم تنطلق بها لا
يجب ان يسمعه صيني ، فتسارع مدام سيان الى تونج



سيرة

على هامش الجناز
المستكرة ضد العمل
الفدائي الفلسطيني

شعر / هارون هاشم رشيد



الأم
المجاهدة

يا أمّتي .. الى متى تكرّر المجازر
الى متى يجيء أيلول ويأتي آخر
الى متى وثالث وخامس وعاشر
الى متى تنوّسنا الأنياب والأظافر
الى متى يدوّننا الجنود والعساكر
الى متى ... الى متى ويكثر التحاوّر
ويكثر الجدال والكلام والمحاضر
وتتدبّر الأوراق والأقلام والمحابر
ونحن بين النطع والسياف نسلو حائر
فليُنْبا قنابل .. ويومنا خناجر
والعذر في ظهورنا والختل والتأمر
والأمة التي بها وباسمها نفأخر
الأمة التي لها لظهرها نغمّر
نبذل كل نبضة فينا ولا نكابر
تنام لا صوت يرد لا مناصر
فألف ألف صرخة تطلقها الحناجر
فلا يرد سماع ولا يجيب ثائر
كأنما عفت بها وماتت الضمائر
يا أمّتي أقولها جهراً ولا أحاذر
إذا هوت أعلامنا وأغتلت العناصر
عليك في غدٍ تحدر أمّتي الدوائر

لي تنقل له ما تسمعه من القائد والضباط اليابانيين
بحذافيره ، وتعين له المواقع والاماكن المحصنة ، وتخبره
بعدد الحامية الذي سيكون موجودا في المدينة في اليوم
المقرر لانسحاب معظم الجنود منها ، وتبدي رأيها بأنه
سيكون هو اليوم المناسب للانتفاض على ما يتبقى من
الحامية . وفي اليوم الموعد ذهبت مدام سيان الى خدمة
القائد ، وكانت قد خبأت مشروبات زوجها في بسر
قريبة من الحديقة واخبرت القائد انها اكتشفت هذا
المخبر . وكاد القائد يطير من الفرح والابتهاج بهذا
الكثر من المشروبات المعنقة . وبدأ يعبث هو واصحابه
دون وعي حتى ثلوا . وطار هي الى تونس الى اخوها
بالامر ، فهرع هو وجنوده الى الاعداء حيث ابادوهم
عن اخرهم .

وخيل الى مدام سيان ان مهمتها قد انتهت وانها
ستعيش في منزلها الذي انتقته ، عيشة الهدوء
والسكينة ، ولكن هؤلاء الجنود الشجعان تشبثوا بها
ورجوها ان ترافقهم في حملة الحاق بالاعداء قائلين ان
قوتهم مستندة من « الأم المجاهدة » كما كانوا يسمونها.
وهنا علمت ان ساعة راحتها لم تكن بعد ، وبشت بين
ابنائها ترغو لهذا ثيلها ، وثبتت لذلك زره ، وتضد لآخر
جراحه ، الى ان كان يوم .. وحين موعد الراحة ..
ولكنها هذه المرة كانت راحة ابدية في خرفة ضيقة
احترها لها بعض ابنائها الجنود على طريق النصر .
وحين عادت عائلة سيان يوبا الى البلدة ، بعد ان
امنت هجوم العدو كرة اخرى ، راحت تسأل عن ربة
البيت ، فلم تجد من يخبرها بأمرها ، لانها كانت في
حياتها قد نسيت القصر الفخم والاثاث والرياش ، ولم
يخيل لاحد من ابناء البلدة انها كانت هي ربة القصر
وصاحبة الاثاث والرياش .



الماسوشية

بقلم / عبد الرحمن بن عبد الله

شريحة لحياته والتي يفترض ان تكون باعنا للتكامل في شخصه لا من الوجهة الجنسية محسب ، بل من جميع النواحي ايضا . والواقع ان معظم الرغائب الشبقية يتم اشباعها في هذه المرحلة الطفولية على صورة سلبية ولكنها لا تقل قوة وعنفا عن اشكال الاشباع الأخرى .

والاشباع هنا وثيق الصلة بالتنظيم الشبقي في مرحلة الحياة الطفولية ، وهو كذلك نتاج العناية الجنسية . والباحثون يعثرون لدى بعض الماسوشيين على نفس اللون الشبقي وعلى مستوى كل بقعة من البقع الجلدية في الذات ، وهو شيء شبيه الى ابعد حد بها تجده عند الطفل في هذه المرحلة المتطورة من مراحل الجنسية .

هناك ، ولا جدال ، عوامل تكوينية غامضة تعتبر محركا للواقف الماسوشية ، بيد ان سلوك الام او من يقوم مقامها ، والطريقة التي تعتمدها في تعضيد هذا اللون من الاشباع او الاسلوب الذي تترسبه في القضاء عليه ، كل ذلك يشكل عناصر من شأنها ان تحدد معالم المصير الذي يترصد مستقبل هذه العادات الشبقية الطفولية ولجوء الماسوشيين اليها على شكل تراجع او تكوس .

واغلب الظن ان الكبت الشديد للمكونات الجنسية الايجابية يعود بالوظيفة القضيبية الى الشوط السلبي الاول .

على ان السلبية ليست العامل الوحيد الذي يقرر مصير الاتجاه الماسوشي اذ ان من المسوغات الاساسية

الماسوشية لصيقة بالمدسة الفرويدية ، بيد انها لم تعرف النور كشعبة مستقلة لها وزنها البالغ في جلاء المكونات التي تقوم وراء بعض الاضطرابات النفسية الا بعد ان تصدى لها الدكتور ناخث ، فافرد لها حيزا ليس بالقصير من حياته اذ انصرف اليها دراسة وتحليلا وترجمة ، فجاءت البحوث موضوعية مركزة تتنحى على القارئ والباحث عالمها وتشد انفسها اليها حتى ... الثمالة .

والدكتور ناخث ، اضافة الى ذلك ، يجمع الى الاقتدار في تناول الموضوع ، كفاية جليلة في حسن الاداء ، فهو سلس الاسلوب عميق النظرة يشرح المسوغات في غير كلفة ويضع يدك على ابعادها في يسر ويمنحك عصاره بحثه وتفكيره في دقة وبساطة متناهيتين .

من اشهر كتبه « الماسوشية » :
من منشورات مكتبة بابو بباريز .
والؤلف من اعضاء الجمعية الفرنسية للتحليل النفسي المبرزين .
يقع المؤلف في ١٨٤ صفحة ، موزعا الى ستة فصول .

والدكتور اذ يعترف بان الماسوشية حاصيلة تفاعلات بين عوامل عدة يرى انه بيد جذوره ايضا الى بعض الاشكال الجنسية الطفولية التي بقيت على حالها فانسمت بالتثبيت (FIXATION) فالطفل في هذه الحالة يتخذ طيلة هذه الفترة موقف الخضوع والاستسلام والاذعان تجاه الام فيقوده ذلك الى اعتماد نفس السلوك تجاه المرأة التي يجعل منها

والدكتور يؤكد على حقيقة لا يرقى إليها الشك ، وهي ان الطفل اما يعيش هذه التطورات عندما يحرم الليبدو من الاشباع المرغوب فيه فيتألم الطفل من الاعساق دون ان يجد في ذاته من القوة ما يبره الى مرحلة الجنسية الرجولية ، واما ان تكون هناك مكونات اصلية في نفسه واما ان يفتقد الاشباع التعويضي (الحسان مثلا) .

على ان مركب اوديب يسهم الى حد بعيد في اذكاء آثار هذه المؤثرات : فالخوف من الخصي الذي يقابل بالسلبية من لدن الطفل ، يعود بالماشوشية على صورة تراجع ، الى المراحل السلبية والجنينية السالفة .

حتى اذا تغلفت هذه السلبية في اعماق الطفل ، اخذ يستجيب للدوافع العدائية التي تنطلق فيه نتيجة الوان الحرمان الجنسية السابقة والاوبسية بتفريش ذاته لضرباتها في شيء من الاستسلام والاذعان .

ويرى الدكتور ناخث ان العقاب البدني ، اعتبارا لقويته الشبقية ، يقوم بدعم هذا الاتجاه الشاذ ويبدد الطفل بقاعدة فسيولوجية تتيح تحويل الشعور بالاستهجان الى الاحساس بالغبطة ، اضافة الى انها قد تنفص في مجموعة الاستجابات التي تصدر عن الطفل او المراهق في الادانة الشخصية اللاشعورية على شكل عقاب بشه الشخص ، لضرورة استبدال الغبطة بالآلام .

الخلق الماشوشي :

اذا نظرنا الىه من الزاوية الذاتية فانه يبتدىء على صورة شعور دائم بالحسرة والالم والضغط الوجداني والحاجة الى الشكوى والظهور بظهر الشقي المعاجز الذي اناخ الدهر عليه بكله ، مع الجنوح الى مواجهة ايسر مشكلات الحياة بوصفها معضلات في غاية التعقيد والاستعصاء ، والمغالاة في وصف المصائب اليومية التي تعترض الانسان ويواكب ذلك كله عجز فاضح في استغلال ملذات الحياة .

اما اذا عايناه من الوجهة الموضوعية ، فانه سلوك غير صائب ، لا يتأتى تطويعه لمتطلبات الحياة . تعوز المرونة ويراه الاخصائي في غير عناء لان الشخص يتمت بذلك عادي . من ذلك انه يستقطب حقن الاهل والاصدقاء ، يؤمن بان القدر يعاكسه فهو لا يتفادى نوائب الدهر وصروفه ، بل انه يقدم وجنته للضرب كـ يقول العلامة فرويد . وبكلمة ، فانه سلوك يبين عر الحاجة اللاشعورية لإيلاء الذات والحق من الظاهر الشخصية بالنشل في جميع المشاريع والتظاهر بظهر الشقاء الابدي .

على هذا النحو تتسلل الى السلوك الانساني انماط نفسية في منتهى التباين نتيجة السيطرة التي تصطبغ بها النزعة الماشوشية التي تجد الاشباع

التي تحتل مكان الصدارة في تحديد الموقف الماشوشي — كما يرى المؤلف — القاعدة الفسيولوجية التي تقوم على الالم والشعور الشبقي . فهي العنصر الجوهرى الذي يحدد الاتجاه الجنسي الذي ينتظر الطفل في اطار مجموعة الظروف التي تتصدر نموه ، فالطفل الذي يفتقد مثلا اشباع عطشيات الليبدو المصعدة اي الملبسة بالعطف والحنان والذي يعيش ، عن غير قصد ، تجربة التهيج الصادرة من الالم عند قذف بيذل على نحو لا شعوري من الجهد ما يستثير به الوان العقاب التي تبعث فيه روح النشوة العارمة بالرغم عن طابعها المستهجن الذي لا يتقبله الشخص العادي .

وبما يحدث غالبا ان الطفل يغيره شعور حقيقي او خيالي بانه اصبح من عداد المهجورين اما لانه اصبح كبيرا فالالم لا تحوطه بكل غنايتها واما لان اهتمام الام غدا مضمرا لان هم اقل منه سنا من الاخوة والاخوات ، فسيبيله لتزسيخ مركزه ، بهما كلفه الامر من ثمن ، ان يثير الغضب والعقاب . ودعواه من الوجهة اللاشعورية ان استجلاب الغضب والعقاب خير من البقاء على الهامش حتى تتأصل العادة وتسمى شيئا مطلوباً !

طبعي ان الطفل يحب كل الذين يعنون به ، واللم الأدلة على ذلك ان العناية التي تخصص بها تربية لمدة من الزمن ، مصادر شبقية ووجدانية . بيد ان حبسه سرعان ما ينقلب الى حقد دفين عندما يفتقد الى ذلك هذا « الدور » تجاه رغبته .

ومن غريب ما نلاحظه عند المصاب بهذا اللون من الشذوذ انه يتوق دوماً — ان كان رجلا — الى الزواج بامرأة تتوافر لها خصائص الرجولة ، في الوقت الذي تحتفظ فيه بظواهر الانوثة التي يسقط عليها نفسه . وهو الميكازم الذي يسمى عادة بعملية الاستقاط (PROJECTION) .

وهذا النوع من الزوجات يجسدن احسن تجسيد تصورات الطفل لآلام الرجولية . ويعود الدكتور ناخث الى تلخيص ما سبق ان تولى جلاله فيقول :

ان الشذوذ الماشوشي يستند الى الميكازم العادي في الوان الشذوذ جميعها : يبدأ الكائن البشري بالتثبيت ثم النكوص والتراجع الى مراحل جنينية سابقة من مرحلة التطور الجنسي . فتأتي طفولة الشخص وقد استمتت بالسلبية والحاجة الى الخوض والتبعية . هذه السلبية التي تعود الى اولى مراحل النمو الجنسي ، خاصة عندما يتم كبت الانطلاقة الضرورية للبرور الى الاعراض الجنسية الايجابية تكون مدعاة للرجة التي تصيب الشخص فتقتضي على رجولة الفياضة .

شعر عوين بسيسو

أقوال أحد النashرين في معرض أشهر أفلاسه

كنت أطوف بكل مقاهي الارصفة ابيع
روايات وقصص الجنس السرية والعنلية ..
ما كان هنالك أحد يدفع حتى عقب المائة تبغ ..
ثم كتاب في الفقه او النقد او الشعر
ثم ارتفعت السنة التبرائ ..
كان اسم البركان الارض المحنة ...
بسات تلك الارض المحنة تزحف بقصائدها ..
بدا هجوم الناس على الاشعار التورية ..
كانت اورقا تستر عورتنا ..
تلا بالذهب وبالفقر خزاننا ..
رحمة ابيع .. ابيع .. ابيع ..
صار هنالك سوق سوده
باع بها الشعراء ..
اصبح عندي (شك)
واشته الزحف ..
كانوا يقولون طواوير .. طواوير
اصبح من القصة قصائير ..
اصبح عندي مطبعة .. دار للنشر ..
ثم الوردة سقطت تحت الحافر ..
سقطت من عروة معطف ذاك الناثر ..
والشاعر
بعد السوق السوداء ..
للشعراء ..
صار هنالك سوق بيضه ..
ما عاد هنالك نخاس او (ناش)
يدفع (نعليه) ثمن الشاعر ..
ذاك البركان ..
من كان المانكان ..
افلس .. افلس ..
ما عاد هنالك أحد يقرأ شعرا ثوريا
في الدم والحربه
افلس ..
بعت الكشك وبنت الطبعة ودار النشر وعدت
عدت اطوف بكل مقاهي الارصفة ابيع روايات وقصص
الجنس السرية
والعنلية ..

المطلوب في العديد من اشكال الالم .

واذا كنا قد اكدنا اتفقا عن الدور القيادي الذي
تلعبه السلبية في الماسوشية عموما فانها تنفرد بنصيب
الاسد في الخلق الماسوشي ، فان هذا الآخر ينخذ
بواقف سلبية بكيفية ارادية حتى انها تمتد فتمشغل
كل السلوك العام ، وقد تقف عند حدود التشايط
الجنسي .

وفي الحالة الاخيرة يتقبل الشخص الحب ولكنه
لا يسعى الى اغتيابه ، فهو محبوب وليس محبا وهو
ينتظر العطاء ويتفحسه .

لم نفتأ في هذا العرض المتضبط تلح على ضرورة
اعتناية بالاهمية التي يتم بها الوثوب من المرحلة
السلبية القضيية الى المرحلة الايجابية . ذلك ان تطور
الليبدو يستتبع حتما قبول واستعمال المكونات الايجابية
القوية .. فاذا اعترها نوع من الكبت قبل ان يتوى
« الانا » ويشد ازرها بالتربية الواعية الهادفة فدا دخول
هذا الشوط الجديد في حكم المستحيل . وكذا الامر
بالنسبة للدواعي الايجابية حين تنقلب وبالا على صاحبها
في مراحل سابقة ، فان النوازع الايجابية تحبس
بصورة شبه نهائية لان المرحلة السلبية قد خلفت بصماتها
على شخصية الفرد بصورة بيئة ورسخت دعائمها
ظروف التربية وسلوك الاءاء .

ويعتقد الباحثون ان الماسوشية تنحصر بالسادية .
فالماسوشية تتبع دون شك من السامية التي تهدها
بالطاقة اللازمة . ويعلمون دعواهم بان نفس التسوة
الفريزية تنتهي الى ظواهر عكسية بعد ان تعثرها
بعض التفريزات . والطابع المسيطر على كل هذه
التفريزات هو الخوف . فالخوف لحمة الماسوشية ، يقتحم
نسيجها وهو يسهم دوما والى حد بعيد في تمييز
الماسوشية عن غيرها من الوان الشذوذ الاخرى .
ويختتم الدكتور كتابه بقوله : ان هناك انماطسا
ثلاثة في الماسوشية الخلقية .

فالاول يتعلق خاصة بالفرد ذاته اذ يتميز نشاطه
بالفشل الدائم والميكانيزم هنا لا يعدو ان يكون اسلوبا
استجابيا بالنظر الى المركب الاوديبى : معاقبة النفس
للانفلات من الخصى .

والنمط الثاني خاص بالشخص الذي لا يثير
الاغراق فحسب ولكنه يتدها الى الرضى عن الالم .
والميكانيزم هنا له ايضا وشائج وثيقة بالصراع الاوديبى
فهناك الخوف مما يستدعي الدواعي العدائية للانقلاب
ضد الشخص حتى تهيى مصدرا للهمة .

اما النمط الثالث فيعتبره الاخصابيون مجموعة
بمعطيات وجدانية هي سمة الشخصية بجميع مكوناتها،
فالفرد في هذه الحالة لا يعرف من الحياة الا وجهها القاتم
ولا يتقبل الا الم .

فدائيون في تاريخ الاسلام

مع كتاب

بالجهاد ، بل هو يتعدى مرحلة الجهاد إلى مرحلة أكثر شمولاً وإيجابية ، وهي مرحلة القداء ، التي تقوم على الإيمان بالله عز وجل ، وبعدله وحسابه ، وبحياة أخرى خالدة ، وتسعى إلى إحقاق الحق والعدل والحرية ، ولذا يقول المؤلف (صفحة ٣٨) : «القداء هو قمة الجهاد ، والجهاد هو طريق النصر .» وفي كتاب «فدائيون في تاريخ الاسلام» يقدم الأستاذ الدكتور الشرباصي ، في أكثر من ثلاثمائة وستين صفحة ، دراسة علمية منهجية جديدة لنيف وخمسين نموذجاً من نماذج هؤلاء الفدائيين الذين خلد التاريخ الإسلامي ذكراً وأسماءهم وكفاحهم . ولم يقصد المؤلف القاضل أن يترجم لهذه الشخصيات العربية الإسلامية ، فهو ليس كتاب سير وتراجم ، ولكن المؤلف أراد أن يفلسف الجهاد والقداء ، من نوايا دراسته هؤلاء الأعلام من الفدائيين ، فكان القداء هو الإطار الكبير الذي ضم هذه الشخصيات التاريخية المجيدة ، على اختلاف عصورها ، ودوافع جهادها ، وأماكن فدائها ، وميادين كفاحها ، وصور نضالها .

في ظل معركة المصير التي يواجهها العالم العربي اليوم ، تقدم العالم الجليل الأستاذ الدكتور أحمد الشرباصي إلى قراء العربية بكتابين قيمين أضافهما إلى سلسلة كتبه العديدة التي تحتل مكانة بارزة في المكتبة العربية الإسلامية . أما الكتاب الأول فهو عن «القداء في الإسلام» الذي كان له وقعه ونفعه . ولكن حجم كتب السلسلة التي ظهر فيها هذا الكتاب لم يشبع رغبة المؤلف الجليل في أن يكون قلمه في خدمة القضية العربية المصيرية ، فأثر أن يقدم إلى اخوانه في العروبة والإسلام بدراسة علمية موسعة ، يقدم فيها نماذج خالدة لفدائيين في تاريخ الإسلام . والكتابان في الحقيقة يمثلان صورة حية للوحدة العربية ، فقد ظهر الكتاب الأول في القاهرة ، قلعة العروبة والإسلام ، ونشر الكتاب الثاني في بيروت ، وهي مركز كبير من مراكز الإشعاع الفكري العربي . ظهرت خلال السنوات الأربع الأخيرة التي عاشتها الأمة العربية في معركة المصير ، كتب عديدة تتحدث عن الجهاد في سبيل الله والوطن ، ونحث على النضال والكفاح ، ولكن الأستاذ الدكتور الشرباصي لا يكفى



تأليف : الدكتور أحمد الشرباصي عرض : الدكتور علي حسني الخربوطلي

زيد بن الخطاب ، شقيق الخليفة العادل : عمر بن الخطاب ، فيقول المؤلف (صفحة ١٧٤) : « ولا ريب أن شهرة عمر بمآثره ومفاخره حجبت بعض التور المتألق في شخصية أخيه زيد ». رغم أن زيدا كان إسلامه ومولده قبل عمر .

كما أشكر للمؤلف إنصافه لبعض الشخصيات ، التي لم ينصفها التاريخ ، أو دارسو التاريخ ، ومنها شخصية أبي موسى الأشعري ، فقال المؤلف (صفحة ٢٦٨) عنه : « وعامة الناس لا يعرفون عن أبي موسى الأشعري إلا موقفه يوم التحكيم بين علي ومعاوية ، ويرون أنه كان غير بصير بمدخل السياسة وأساليب الخداع ، ولكن أبا موسى رجل له تاريخ وجهاد وبطولة » .

وشاء المؤلف الجليل أن يجمع فداء الرجل

وإذا أمعنا النظر في الشخصيات التي اختارها نرى أنه لم يدرس جهاد وفداء الشخصيات المعروفة المتداولة دراستها في سائر الكتب ، بل عمل جاهدا على التنقيب في أمهات المصادر التاريخية ، حتى يستخرج لنا صورا عديدة مجيدة لقديسين كانوا معروفين لمعاصريهم ، ولكنهم مجهولون لنا في عصرنا الحديث ، وأراد المؤلف أن يجعلهم قدوة لشبابنا فقد ظلت هذه الشخصيات دهرًا تبحث عن مؤلف ، حتى وجدته في الأستاذ الجليل الدكتور أحمد الشرباصي . وألاحظ أن الغالبية العظمى من الشخصيات التي انتقاها المؤلف كانت تعيش في عصر الرسول عليه الصلاة والسلام . فقد أراد المؤلف الفاضل أن يركز دراسته القيمة في « مدرسة الرسول » باعتبارها المدرسة الأولى والمثالية للجهاد والفداء . فيقول المؤلف (صفحة ٢٨٣) : « لقد خرجت مدرسة سيد الأنام محمد صلى الله عليه وسلم رجلا نظروا فاعتبروا ، وتفكروا وتدبروا ، ثم عرفوا فسلكوا ، وأقاموا على الطاعة في مختلف المجالات ، لا يفرقون بين خشية في عبادة وصرامة في الجهاد ... فهم الأتقياء أهل الصفاء ، وهم الأوفياء أهل القداء » .

وتباينت شخصيات الكتاب ، فهناك شخصيات كثيرة برز جهادها وفداؤها في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ، وشخصيات أخرى ظهر جهادها بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ، ولكن تربيتها ونشأتها في ظل عهد النبوة كان لها أكبر الأثر في الصور التي شهدناها في صدر الإسلام للجهاد والقداء .

وأشكر للمؤلف اهتمامه بإبراز شخصيات تاريخية عظيمة ، أهلها التاريخ . فتحدث المؤلف عن هؤلاء القديسين المجهولين في صفحة (٢٢٨) فقال عنهم أنهم « شاركوا في الفضال أفضل المشاركة ، في صبر وصمت وإخلاص ، ثم مضوا إلى ربهم كراما شهداء » ، دون أن يظيل الناس ذكرهم ، أو يتوسع التاريخ في سيرتهم ، فظلوا جنودا مجهولين » .

وأذكر من هذه الشخصيات على سبيل المثال ،

والمرأة بين دفتي كتابه ، فالمرأة نصف المجتمع ، وعليها واجب الجهاد والقداء ، ولكن نصيب الرجل الفدائي كان أوفر وأوضح في الكتاب ، فقد اقتصر المؤلف على دراسة فداء كل من أسماء بنت أبي بكر ، وأسماء بنت عميس ، ولا أستطيع أن أصف هذا القصر بأنه تقصير في حق المرأة ، أو تحيز من المؤلف للرجل ، ولكن المؤلف الفاضل في الحقيقة وجد نفسه أمام آلاف من صور الفداء الرائعة ، عبر العصور الإسلامية ، فأثر أن يتنى منها أبرزها وأشهرها . كما أن المؤلف في آخر صفحات كتابه القيم يذكر أن باب الحديث عن الفداء لا يزال مفتوحاً ، ثم يقول : « ما زال تاريخ الاسلام يطوي الكثير من أنباء الفداء ، وما زال هناك كثيرون من الفدائيين » . ولعل صوتنا نساتنا يرتفع الآن فيطالب المؤلف بأن يضيف كلمة « الفدائيات » إلى كلمة « الفدائيين » . ولكن من اليسر الرد على هذا الصوت ، فالمؤلف (صفحة ١٢٣) يرى : « أن الجهاد يجب على الرجال والنساء عند الزحف العام من الأعداء » . كما يرى (صفحة ٢٢٣) أن الأم المثالية والزوجة الصالحة من وسائل إعداد الرجال الأبطال .

ومنهج المؤلف في دراسته لهذه الشخصيات الكثيرة الخالدة هو أن يبدأها بدراسة فلسفة جهاد وفداء كل شخصية ، ويثم بيان ظروف النشأة والتربية والبيئة وأثرها في الاتجاه إلى الجهاد والفداء . والمؤلف دائماً يدعم دراسته بالآيات القرآنية الكريمة ، والأحاديث النبوية الشريفة ، والأقوال الماثورة ، وأبيات الشعر المشهورة .

ولا شك أن لكل كتاب فلسفة خاصة به ، والأستاذ الدكتور الثرباصي حين يقدم لنا العديدين من الفدائيين المسلمين ، فهو يتخذهم صوراً واضحة ، وأدلة دامغة على فلسفته وعلى أفكاره ، وعلى تصويره للجهاد والفداء . والمؤلف دائماً يرتب هذه الشخصيات التاريخية المجيدة ، ويحركها ويحدد أبعاد اتجاهاتها البطولية ، ويربط بينها ، ليقدم لنا صورة كاملة

متكاملة لفلسفته وأفكاره حول الجهاد والقداء . ولم يشأ المؤلف أن يخصص فصلاً في أول كتابه يدرس فيه أبعاد الجهاد والقداء ، شأنه في ذلك شأن بعض المؤلفين . ولكن مؤلفنا الفاضل أثر أن يتبع منهجاً جديداً خاصاً به ، فرأى أن يعرض فلسفته من خلال دراسته المستفيضة الشيقة لهذه الشخصيات المجاهدة الخالدة . فقد رأى المؤلف أن يرتبط بين القاعدة والتطبيق . وقدم لنا صوراً متطورة ارتبط تطورها باختلاف العصور ، فالجهاد والفداء يسيران في طريق واحد مع تطور الحياة والأحداث ، وفي ذلك يقول المؤلف (صفحة ٧٧) : « من شأن المؤمن أن يكون ابن وقته كما يقول الأثر الإسلامي الحكيم ، وأن ينهض بكل ما يستطيعه من تبعة وواجب » . وقد جرت عادة المؤلفين أن يبدأوا بدراسة حياة الشخصيات ثم ينتهوا إلى الدروس المستفادة من هذه الدراسة . ولكن المؤلف يبدأ حديثه عن الشخصيات التي انتقاهها بإبراز فلسفة جهادها واتجاهات فدايتها ، فقد أثر المؤلف أن يضع العبرة والعظة في أول دراسته لكل شخصية ، إذ رأى أن يمهّد ذهن القارئ ، ليستوعب الصورة التاريخية المجيدة التي سيعيش معها خلال عدة صفحات من الكتاب .

وقدم المؤلف للقارئ العربي نيفاً وخمسين صورة تطبيقية إيجابية حبة لفلسفة الجهاد والقداء في العصور الإسلامية ، واستخلص المؤلف من ترجمته لهذه الشخصيات أفكاره الخاصة حول الجهاد والقداء ، التي تحققت عملياً في صدر الإسلام ، ورسمت طريقاً للنصر والعزة والمجد ، ويمكن لنا في تاريخنا المعاصر أن نحضي في هذا الطريق القويم ، لنعيد أمجاد الأجداد .

ويجمل الأستاذ الدكتور الثرباصي الإيمان هو الأساس الأول للجهاد والقداء ، فيقول (صفحة ٩) : « أصبح من الحقائق المسلمة أن المقاتل الذي يخرج إلى الميدان دون يقين أو إيمان لا يصلح للاقدام أو الثبات » ويقول أيضاً (صفحة ٨٣) : « إن العقيدة فوق كل شئ » ، وإن المؤمن يضحي في سبيلها بكل عزيز

في الميدان والتحاماً مع الأعداء ، أم كان حراسة أو إطفاء أو سقاية أو ترميضاً ، أو غير ذلك من شئون تتسع وتنفس ، حتى تشمل كل قادر على أي معونة مباشرة أو غير مباشرة لخدمة المعركة » . ويرى المؤلف أيضاً (صفحة ١٠٥) أن المجاهد المؤمن الصادق يجب عليه أن « يضع نفسه وحسه تحت الطلب لخدمة عقيدته ومبادئه ، فهو مستعد دائماً لحمل التبعات ومواجهة الأزمات » .

والمؤلف بحث كل مواطن على ألا يدخر وسعاً في الاسهام بأي جهد مهما كان قليلاً لبناء مجتمعه وتحسينه ووطنه ، سواء أكان ذلك بالقول أو العمل أو المشاركة بماله ، أو بتقويم حاله . كما يحثه على « اليقظة والحذر ، والتدبير والنظر ، والتأهب للخطر ، وتوقي الشر والضرر » . ويرى المؤلف أيضاً أن الجهاد لا ينقطع في وقت السلم والسلام ، بل على كل مواطن حينئذ أن يوطد دعائم وطنه بالتعمير والتشجير ، حتى يكون المواطن صالحاً في نفسه ، مصلحاً لغيره ، نافعا لبلاده .

والمؤلف (صفحة ٥٥) يدعو إلى تقدير المجاهدين وإثابة المحسنين ، تنفيذاً لشرعية الحق والعدل ، وحتى لا يضيع عمل عامل . كما أن المؤلف (صفحة ٧٠) يمجّد الطلائع الفدائية التي تسبق إلى تمهيد الطريق في الجهاد وتبادر إلى التعرض لمواطن الاستشهاد ، إذ لها من الفضل ما ليس سواها .

والجهاد عند المؤلف ليس القتال فحسب ، بل هو المساهمة في شئون الحياة العامة ، فيقول (صفحة ٢٥) : « ما أروع المؤمن الفدائي حين يحسن الجمع بين الجهاد الصادق في سبيل الله ، والعبادة الخالصة لوجه الله ، والكسب الطيب الذي لا يخالطه ما يغضب الله » . ويمتدح المؤلف في (صفحة ٢٤٨) الذين « أحسنوا الجمع بين البراعة في صنعة الحياة ، وتحصيل علم الأئمة الهداة ، وإتقان الجهاد في سبيل الله » .

• • •

وإذا كانت هذه هي فلسفة الجهاد والفداء عند

ونفيس » . ويرسم المؤلف (صفحة ٩٠) أبعاد الشخصية المؤمنة فيقول : « إذا توافر للإنسان إيمان وطيب بدعوة الحق وملة الصدق ، وعبادة مخلصه لرب السموات والأرض ، وسعي في الحياة مشكور حميد ، وشجاعة مقدمة في مواطن الرجولة والبطولة ، وثبات على المبدأ والعقيدة حتى الموت ، فقد ازدان بعناصر الشخصية المؤمنة » .

ورسم المؤلف الخطوات الأولى التي يبدأ بها المؤمنون طريق الجهاد والفداء . أما الخطوة الأولى في رأيه ، فهي الاتحاد ، والاعتصام بحبل الله ، واتلاف القلوب ، حتى تكون خير أمة أخرجت للناس (صفحة ١٢٩ - ١٣٠) . أما الخطوة الثانية فهي أن يكون الجهاد خالصاً لوجه الله عز وجل ، مترها عن الغرض والعرض والمرض (صفحة ١٩) .

ويشير المؤلف (صفحة ١٦٤) إلى وسائل تكوين الفرد المؤمن المجاهد ، مما يؤهله للنهوض بالتبعات ، ويمكنه من أداء الواجبات ، فيقول أنه « يجب أن يكون قويا في بدنه وعقله ، وأن يكون « عتيق الإيمان سريع الاستجابة للحق » ، وأن يكون « شجاعاً مقداماً » .

ودرس المؤلف مرحلة الجهاد التي توصل إلى مرحلة الفداء ، ويرى المؤلف (صفحة ٢٣٢) أن « مراحل الجهاد تحتاج في بعض مواقعها ومواطنها إلى عمل فدائي بطول استشهادي » . ويعمل المؤلف (صفحة ٩٨) « الاستشهاد بقصة الجهاد » ويرسم المؤلف المقومات التي تعين المجاهد على بلوغ ذروة الجهاد ، فيرى أنه في حاجة إلى « تربية دينية خلقية واسعة المدى حتى يقدم المرء على بصيرة ، ويضحى بنفسه في يقين » .

وأهتم المؤلف بدراسة دور كل فرد من أفراد المجتمع في ميادين الجهاد والفداء ، فهي ليست قاصرة على الجنود حاملي السيوف . بل يرى المؤلف (صفحة ١١٦) أن « يصبح كل فرد في هذه الأمة مطالباً بأن يقوم بعمل من الأعمال التي تسهم في المعركة ، وتعاون على كسبها ، سواء أكان هذا العمل قتالاً



تلك المواقف بالصبر والاحتجال ، ثم بالتدبير والاعتبار ، ثم بالحيلة والخدع بعد ذلك ... ولعل الأخلاف يتابعون الأسلاف في ذلك ، فلا يقبلون لأنفسهم أبدا أن يلدغوا من جحر واحد مرتين .

وجمع الكتاب بين القائدة العلمية وبين التشويق وجاذبية القراءة ، فقد كان قلم المؤلف دائما رشيقا جذابا خفيف الروح ، فنجد بين طيات الكتاب صورا اجتماعية طريفة ، وهي تربط أيضا بين الماضي والحاضر . فالمؤلف (صفحة ٩) يسخر من الذين كانوا يهربون في مطلع القرن العشرين من الجندية ، فيخفي أحدهم في مزرعة قصب أو ذرة ، حتى يقبض عليه الخفير ، وينتهي أمره إلى العمدة ، ثم الضابط ثم المركز ثم المحافظة حتى يصل إلى المعسكر . وفي (صفحة ١٤) ينتقد المؤلف استخفاف بعض الناس في مجتمعنا بالقيم التي تتولى أمه تربيته ، أو تزوج أمه رجلا آخر ، هذا بينما نجد في تاريخنا الإسلامي العاطر نماذج طيبة لمؤلاء يتألم الذين وجدوا في ظل المجتمع الإسلامي من يأخذ بأبليسهم إلى مواطن الرجولة والبطولة ، ومواقف التضحية والفسداء ، وفي مقدمتهم سمرة بن جندب ، البطل الإسلامي المعروف .

وبعد ، فإني أهني الأستاذ الدكتور أحمد الشرباصي على كتابه القيم «فدايون في تاريخ الاسلام» ، وأرجو أن يكون سلاحا من أسلحتنا للنصر ، وأن يجد كل قارئ عربي فيه الفائدة المرجوة ، مما يزيده إيمانا بالله ، وبوطنه وبمستقبله ، مما يدفعه إلى المضي في طريق الجهاد والفسداء ، حتى يتحقق للعرب النصر في معركة المصير .

وأريد أن أذكر الأستاذ الدكتور الشرباصي بما جاء في آخر صفحات كتابه وهو : «ما زال هناك كثيرون فدايون في تاريخ الإسلام ، وما زال الأمل معقودا على مزيد من الحديث ، فإلى لقاء ...» . وأقول له : أرجو أن يكون اللقاء قريبا .

الدكتور

على حسنى الخربوطلي

الأستاذ الدكتور الشرباصي ، فلننتقل إلى الحديث عن المنهج الذي اتبعه في كتابه . وقد حرص المؤلف على المنهج العلمي حرصا دقيقا ، فقد اهتم بذكر مصادره في الحواشي ، كما ألحق بالكتاب قائمة طويلة لكثير من المصادر الدينية والتاريخية والأدبية . والحواشي ليست قاصرة على ذكر المصادر ، بل ضمت دراسات وإضافات كثيرة نافعة ، فقد حرص المؤلف على تقديم نبذات عن الأعلام الذين ورد ذكرهم في متن الكتاب ، كما أمدنا ببيانات وافية عن الأماكن والمواضع ، وشرح الألفاظ اللغوية .

والمؤلف في كتابه عالم دين ، ومؤرخ ، وأديب ، فيبدو في الكتاب الإيمان العميق بالله والوطن ، وتظهر الحاسة والعقيلة التاريخيتان ، ويتضح الذوق الأدبي الرفيع الرقيق . والمؤلف دائما يربط بين الماضي والحاضر ، ويتطلع إلى المستقبل ، ويبدو ذلك واضحا في جميع صفحات الكتاب ، ونذكر - على سبيل المثال - ما قاله المؤلف (صفحة ٣٣٩) : « وإذا كنا قد جنينا المر في حاضرنا من انخداعنا بمكر أعدائنا ، فإن أجدادنا العظام قد تعرضوا لمواقف خيانة الأعداء ومكرهم ، وابتلاهم ربهم في ذلك المجال ابتلاء محصا مؤدبا ... ولكن أسلافنا رضوان الله عليهم قابلوا

ها قد انتهى الآن يومان من العيد .. ومضى
أكثر النهار من اليوم الثالث .. وكان محسن
جالسا على مكتبة المتواضع في غرفته الصغيرة ..
حزيناً .. كثيراً حتى أنه لم يجد أي رغبة في متابعة
هوايته المحببة في التسلل من الكتب التي تحت يده ..
وخرج من المنزل وقصد « الفريج » ليروح عن نفسه.
ولكن شارع « الفريج » كان خلواً من الأصحاب ..
أين هم يا ترى ؟ وماذا يفعلون ؟ ... وسار إلى ساحة
« الصفاة » وكانت لا تزال تعج بالرجال والنساء
والأطفال .. ووقف مع الواقفين لمشاهدة « العرضة »
.. ولكنه لم يجد متعة في المشاهدة .. ولم تستهوه
الأغاني الحربية التي ينشدونها المنشدون لرتابتها ..
ولا استثارته رقصات السيوف والبنادق البطيئة
المكررة .. فخلص نفسه من زحمة الواقفين .. وتوجه
إلى « الديرفة » وهي تستقبل البنات الصغيرات
بملابسهن الجديدة الزاهية الألوان .. حتى إذا امتلأت
بهن دفعها صاحبها المعجوز وهو يغني بصوته الإبح
المتهدم ..

يا زارع المشيوم فوق السطوح

والصغيرات (كالكورس) يرددن وراءه سميدات
... وتجوّل بعد ذلك دون غاية .. أو هدف .. فمشاهد
بائس « الباجلا » و « اللوبيا » .. و « الكبة »
و « الزلابية » ... وغيرهم وكل منهم قد اتخذ له
مكاناً واختر بنادي على بضاعته أو يغني مشيدا
بها .. والأطفال على مختلف الأنسان يقبلون
فيشترتون بها تبقى لديهم من دربهات آخر أيام العيد
ويأكلون صاخبين .. مرحين سعداء .. وقادته رجلاه
بشكل عفوي مرة أخرى إلى المكتبة .. فتوقف ..
وراح يتأمل بالذات أفلام الجبر بالوانها المختلفة
البديعة ... وأطال الوقوف .. وأطال التأمل
.. ولكن ما الفائدة ؟ .. وترك المكان وهو يتهدد
وكأنه يودعه الوداع الأخير ... وعاد إلى المنزل
بطيئاً .. متثاقلاً ... كأنه يحمل رجله حملاً ..
وكان الفلام قد بدأ يغني المعالم ... ودلف إلى المنزل
... متقبض النفس .. مثل المصدر .. بادي الحسرة
.. أن كل ما حصل عليه في العيد لا يتعدى الست
آتات ... وهذا يعني أن عليه أن ينتظر عاماً كاملاً
حتى يهل عيد آخر .. واستهول طول الدة .. ودخله
اللباس ... وتحقق في قرارته أن منيته صعبة
التمثال ...

بقية

المنال الصعب



كان اليوم الأول من العيد مليئاً بالحوادث .. فبعد
الصلاة عاد محسن إلى البيت .. وأخذ أفراد الأسرة
يتوافدون حتى اكتمل شملهم .. وكانوا يتبادلون التهاني
بالعيد .. ويتحدثون ... وفي الضحى قدم افطار
العيد الدسم .. كبدة وكلاوي مقلية وخبزاً وثياباً ..
وبعدهما بدأوا يتفرقون .. وحانت فرصة محسن آخر
الامر فخرج من البيت وهام في غيرة العيد مع كل ما
يشتمله من مظاهر الزينة والبهجة والإنشراح .. ولكنه
كان حزيناً منذ البداية على ألا يقع قريبة الأجراء
... والا يصرف شيئاً مما في جيبه قبل أن يحقق
أمنيته ... وصادف مروره على المكتبة والتقطت عيناه
أفلام الجبر بالوانها المختلفة من اسود وأزرق وأحمر
وبني وأخضر وقد صفت بشكل جذاب خلف الزجاج ..
ولكن يجب عليه أن ينتظر .. ويصبر ، لعل الفرج
يأتي ثاني أو ثالث أيام العيد حينها يكتمل لديه المبلغ
المطلوب ... وقابل بعض زلاء « الفريج » والدرسة
في الطريق فتبادل معهم التهاني ومشى في صحبتهم إلى
ساحة « الصفاة » .. ولكنه حرص على ألا يشاركهم
في لهوهم في امتطاء الحمر أو تأجير الدراجات
أو تناول الطلويات .. كان يكتفي بالاعتذار كلها دعي
إلى المشاركة حتى خشي أن تظن به الظنون ويعمد
من جملة البخلاء .. ومع ذلك فقد احتفظ بخواطره
لنفسه .. وهل من المعقول أن ينفي اليهم رغبته ؟ ..
وحتى لو فعل فهل من الممكن أن يصدقوه ؟ .. كلا ..
أنه لا يفعل ذلك .. ولعل زملاءه ظنوا لسبب أو لآخر
أنه لا يحمل في جيبه مالا .. وأن لم يلحوا له بذلك
.. ولكن .. فليدع الظنون تذهب بهم كل مذهب ..
فانه لن يوح لهم بشيء عما يعتل في صدره ..

قتيبة وليس

مسرحية
غنائية
للأطفال



شعر / سليمان العيسى

طفلة : ARCHIVE

حكاية من نور
وقصة من نار
وارضا الطمحين
تنتظر التهار
يطلعه غدا
فرسانها الصغار

الاطفال :

((ندفون جميعا في هذا النشيد)):
ليك يا بلادنا
ليك يا عماء !
انثر على اسماعنا
درسا من الحياة

طفلة :

((تسأل عن حادثة))
امس يا عم اذاعوا
عن فتاة عربية
عمرها في شقة الورد
تسابع ندية
انبتتها ارض رام الله
سمراء ابية
لقت جيش الفزاة
السود درسا

ليس ينسى
قبل عنها .. لست ادري
كلمات فوق عمري

خذنا من رقبال
ملك البحر الاحمر
خبرنا عنه .. يقال
قد كان له عسكر
من شجعان الاطفال
ولذلك لم يقهر

الطفل نزار « معارضا »

قصص البحر تمتع
تضحك الناس تفرح
لست بالجن مولعا
انا بالارض مولع

الاطفال :

ليس بالجن مولعا

هو بالارض مولع

الطفل نزار :

انا اهوى حكاية
بيدي الان تصنع
من بلادي غيرها
بالبطولات يسطع

العم ابو علي :

صدمت يا نزار
احسنت يا نزار
البلد الجريح
يفضل الاسمار

الأشخاص

« مجموعة من الاطفال
يتخلقون حول العم ابي علي . »
« العم ابو علي يقص عليهم
الحادثة بعد هذه المقدمة . »
العم ابو علي :

انا ابحت عن اطفال
والحب يطوف معي
اروي قصص الابطال
وبفني الشعر معي

انا ابحت يا اولاد
عنكم خلف الافق
تحت القصن المباد
في هينة العبق

احلامي يا اطفال
ان يشتد الساعد
ان يهدر كالشلال
جيل الامل الصاعد

الاطفال :

يامن تروي قصص المجد
جينا جينا
نتحلق حولك كالعقد
وتسولنا

طفل :

اسألوا عنها اراجيح الضياء
اسألوا درب الفداء
تعرف الارض خطاها والسماء
بنت رام الله ، بنت القدس ،
بنت العرب
تربة تعطي البطولات .. وتاريخ
أبي

المعلم أبو علي :

نعم يا صفاري
حدث الفتاة صحيح
وفي كل يوم فتاة
وقصة مجد
وروعة رد

على الغزو في أرضنا والتحدى

الأطفال :

« يتدفقون في النشيد التالي » :

يا منبت السلام والرجال
يا وطني .. لن يبدأ القتال
لن يبدأ الكفاح
لن نلقي السلاح
حتى يزول الغزو والفراة
وتضحك الحياة ..

المعلم أبو علي :

بمهدكم يا صفاري
بهذه الكلمات
تجددون ربيعي
تنضرون حياتي
يلقي الكفاح عليكم
روائع التنبأت
القدس تزو اليكم
والنصر لا بد آت

طفلة :

وعدتنا بقصة جميلة
من قصص الفداء والبطولة
ولم نزل ننتظر
المعلم أبو علي :
لا بد أن تنتظروا
حتى بنام القمر
دعوا المزاح الآنا
وارهقوا الآذانا

اسم الفدائي البطل

عرفان عبد الله
ستحفظون اسم البطل
على مدى الحياة

الأطفال :

عرفان عبد الله
عرفان عبد الله

يظل في قلوبنا

على مدى الحياة
أبطالنا يا عم ضوء
المر في الجباه
أبطالنا أغرودة
الخلود في الشفاه

المعلم أبو علي :

هيا اذا .. ولترفع الستار !
ولنشهد المأساة يا صفار !
« المعلم أبو علي يواصل الحكاية »
عربي من فلسطين الحبيبة
عاش للأرض السليبية
لهتاف البيت خلف الراية
حل فيه طافيه ..
ورأى الليل يطول
وأفابعه تصول

عربي من فلسطين مشرد
الم خلف الخيام السود اسود
عرف الدرب فسار
كلم النار .. بنار
هكذا أجدى الحوار
أصبحت آذانهم تسمع شيئاً
يا صفار

جاء عرفان المدينة
يبس الشارع والناس حبيته
جاء يتناح خطاهم للرجال
جاء يهتفوا فوق التلال
انه في زحمة الناس خيال
عابر كالضوء ، كالفكرة ، في
أعماق شاعر
تتمطى ثورة عملاقة للحن ،
وشلال بشائر
واحتواه الشارع المزخوم

نبخة في قلبه المكوم

وفجأة .. أحس يا صفار
شيئاً صغيراً منه قد هوى
في الدرب من حزامه هوى
وكانطلاق البرق ، كالشهاب
كالتسر ينقض من السحاب
دوى النداء : ابتعدوا !
ستقتلون .. ابتعدوا !

وعلق الناس على الرصيف
انفاسهم .. كان على الرصيف
قنبلة وجسد
ممزق .. ممدد
أزاحهم بصرخة عن الخطر
ثم أرتوى يروض القدر
مغطياً بالجسد التحيل

قنبلة مشبوبة الفتيل
ومر يا صفار
عرفان كالنهار

يضى ، باستشهاده .. يضى
لكل جيل بعده يحيى
الأطفال « في حماسة وقوة »
نحن الذين بعده نجى
نمضي على شعاعه المضي

عرفان عبد الله
يظل في الشفاه
أنشودة رائعة تجدد الحياة
تبارك الحياة
وتربط الانسان بالاله
عرفان عبد الله
مواكب تسير
وشعلة تنير
في جنبات الوطن الكبير
في الزحف ،
في معركة المصير ..
عرفان سطر خالد
في قصة التحرير

ختام



الغصون

كَيْفَ يَجْزِي بِنَفْسِهِ قَيْثَارَهُ
شَاعِرٌ فِي الْخَيْالِ تَسْبِيحُ عَيْنَاهُ وَتَسْبَاخُ فِي الْمَدَى أَنْظَارَهُ
يَمْلِكُ الْحَزْنَ صَبْحَهُ وَمَسَاءَهُ
لَوْ تَمَزَّ الْبُرُوقُ فِي شَفْتَيْهِ
قَدْ تَهَاوَى أَحْبَابُهُ فَتَهَاوَتْ
أَيْنَ مِنْهُ أَشْعَارُهُ ؟ أَفْتَشْتَفِي
بَعْضُ مَا فِي فَوَادِهِ أَشْعَارُهُ ؟

إِيهِ لِبْنَانُ مَا ذَكَرْتُكَ الْآ
وَحْنِيْنِي إِلَيْكَ خَفَقَةُ حَبِّ
أَنْتَ لِلْخَفَقَةِ الْحَبِيْسَةِ مَجْرَاهَا وَلِلشَّوْقِ عَاصِفًا مَضَاهَا
أَنْتَ مَجْلَى الْقُتُونِ فِي أَفْئِدِ الشُّرُوقِ وَأَنْتَ ابْتِسَامُهُ وَأَقْتَرَارُهُ
مَا أَغْنِيكَ وَالْخَوَاطِرُ كُلُّهَا وَالْأُنْسَى مُسْتَفِيضَةٌ أَنْهَارُهُ ؟
وَسِمَاءُ الْخَيَالِ فِي الْبَيْدِ نَشَاءُ فَلَا كَوَكَبَ يَشْعُ مِنْارُهُ
صَوْحُ الرُّوْضِ مَذْنَانَا عَنْ الرُّوْضِ فَلَا زَهْرَهُ وَلَا أَطْيَارَهُ
لَا تَسْتَلْنِي عَنْ الْهَيْبَةِ فَعَنْدِي غَيْمُهَا قَدْ تَجَسَّسَتْ أَمْطَارُهُ
يَضْفَعُ الذَّهْرُ أُمْنِيَاتِي وَتَجْرِي بِالَّذِي لَا أَوْدَهُ أَقْدَارُهُ
أَنَا كَالطَّيْرِ فِي الْخَرِيفِ حَزِينٌ مَنَوَاةً شَجِيَّةً أَشْفَارُهُ
كَلِمَا لَفَةِ الضُّلْبَابُ بَاقِي وَاحْتَوَاهُ عَيْبُوسُهُ وَاعْتَكَرَهُ
حَطَّ فِي رَوْضَةٍ يَمَالُجُ جُرْحًا وَتَوَارَى فِي رِيْشِهِ مَنَافَرُهُ
إِيهِ لِبْنَانُ هَلْ أَجِيْدُ غِنَاءُ وَغَنَائِي جَرِيحَةُ أَوْتَارُهُ ؟
كَيْفَ يَسْتَنْقِظُ الْمَسْرَةَ عَانَ غُرَقَتْ فِي شَجُونِهِ أَبْصَارُهُ ؟
الْخَرَى وَالسَّفُوحُ جَنَاتُ عَدْنٍ فِي الْأُسَى لَا يَطْوِلُهَا مَنَظَارُهُ
أَنْ لِي فِيكَ ذِكْرِيَاتٍ حَزَانِي رَبِّ شَجْوٍ يُثِيرُهُ تَذْكَارُهُ

نظمت في الذكرى الاولى لوفاة ابي
المرحوم سالم علوش الذي توفي بحادث سيارة
في حين كان يدرس الهندسة في الخرطوم . هذا
وكان قد نقل جثمانه الى بير زيت في الضفة
الغربية ودفن الى جانب احد اخوته في حديقة
البيت ، تلك الحديقة التي لا يزال لها في
نفسى احلى الذكريات . وكنت قد تلقيت نينا
الوفاة في لبنان .



الفَ عَذْرٍ إِذَا تَبَوَّعَ جِرْحِي وَدَمِي مِنْ أَسَى تَوَالِي أَنْهَارِهِ
لَمْ أَكُنْ أَقْصِدُ الْمَتَابَ وَلَكِنْ كُلَّ جَمْرٍ رَمَادُهُ وَشَرَارُهُ
لِيَقُلْ فَيْكَ مَا يَقُولُ الْمَجْبُونُ فَهَذَا حَقْلِي وَهَذِي بِذَارُهُ
الفَ ذَكَرَى زَهْرَاءَ غَشَى عَلَيْهَا لَيْلٌ ذَكَرَى كَثِيفَةً أَنْتَارُهُ
لَمَسْتُ أَنْسَى يَوْمًا تَجَلَّهَ الْحَزَنُ وَغَشَّتْ سَمَاءُهُ أَكْثَارُهُ
غَرَّقْتُ بِالذَّبُوعِ أَصَالَهُ الْفَرْغُ وَغَارَتْ فِي غَيْهَبٍ أَسْحَارُهُ
يَا لِيَوْمٍ قَمَسَتْ جَنَاحِي مَنَاعِيهِ وَهَزَّتْ فَرَائِصِي أَخْبَارُهُ
قِيلَ لِي : قَدْ هَوَى اخْوَك وَجَعَتْ شِفَتَاهُ وَصَوَحَّتْ أَزْهَارُهُ
قِيلَ لِي : قَدْ هَمَّتْ دِمَاءٌ عَلَى التَّرَبِّ قِيلَتْ مِنْهَا غَلِيلاً حَجَارُهُ
قِيلَ لِي : أَطْبَقَ الْجَفُونُ وَوَلَّى وَخَيَالٌ مِنْ أَهْلِهِ يَزْدَارُهُ
قِيلَ لِي : كُنْتَ أَنْتَ أَوَّلَ لَفْظٍ عَقَلْتَهُ فِي نَزْعِهِ أَفْكَارُهُ
اسْلَمَ الرُّوحَ بِابْتِسَامَةٍ هَزَمَ دَفَعْتَهَا لِفَتْرِهِ أَغْوَارُهُ
وَتَبَقَتْ إِشْنَاعَةٌ فِي مَحِيئَةٍ إِلَى أَنْ حَوَّتْهُ فِي التَّعَشُّ دَارُهُ
لَمْ تَزَالِيهِ بِسَمَةِ هِيَ مِنْهُ فِي الْمَلَمَّاتِ طَبْعُهُ وَنَجَارُهُ
أَكْذَا يَنْطَوِي الثُّنْبَابُ وَيَقْوِي بِيَدِ الْمَوْتِ طَبْعُهُ وَيَسَارُهُ
أَكْذَا تَبَنَّى الْحَيَاةَ وَعَمَرَ لَمْ تَقَمَّ بِسَاحِلِهَا أَدْوَارُهُ
أَوْ لَا تَرْكَمُ السَّمَاءُ صَرِيحًا يَفْجَعُ الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ اخْطَارُهُ
أَيُّ عَدْلٍ فِي أَنْ يُشَكِّبَ غَضَنٌ لَمْ يَزَلْ بِمَدِّ نَاضِرٍ نَوَّارُهُ
يَا صَرِيحًا عَلَى الرَّمَالِ طَرِيحًا وَالسَّوَابِي غَطَاؤُهُ وَدَنَارُهُ
كُلَّ جِرْحٍ مِنْ بَعْدِ جِرْحِكَ هَيِّنٌ كُلَّ خَطْبٍ خَفِيئَةٍ أَوْقَارُهُ
أَمْصَابٌ وَلَا حَبِيبٌ يُوَاسِيكَ وَلَا صَاحِبٌ إِلَيْكَ بِدَارِهِ !
لَمَتْ جِرْحَكَ الرَّمَالُ فَرَوَى ظَمَأًا لَيْدًا تَزُقُّهُ وَأَنْهَارُهُ
لَهْفَ نَفْسِي عَلَيْكَ يُغْرِبُ عَنْ عَيْنَيْكَ عَمْرٌ شَهِيئَةٌ أَوْطَارُهُ !
لَوْ ذَرَى الْمَرْءُ وَهُوَ يَصْحَبُ ذُنْبَاهُ إِلَى آيْنٍ سَعِيهِ وَمَسَارِهِ
لَوْ ذَرَى أَيُّ حَفْصَةٍ تَحْتَوِيهِ أَوْ وَعَى أَيُّ مَضْجَعٍ يَخْفَارُهُ
لَهْفَ نَفْسِي كَمْ فِي الْحَفَائِرِ مَيِّتًا لَمْ يَصْنُ عَهْدُهُ وَيُرْعَ ذِمَارُهُ !

شعري جميل علوش



يَا حَبِيبًا بَشَتْ عَيْنِي وَبَنَى كَلِمًا لَاحَ لِي تَرَفَّقْ جَفْنِي
وَأَمَرَى صَفْوٌ مَدْمَعِي اسْتَعْبَارُهُ كَيْفَ بَنَى وَفِي الْجَوَانِحِ مَثْوَاهُ
وَفِي حَبَّةِ الْفُؤَادِ قَرَارُهُ ؟ أَذْهَابٌ بِلَا إِيَابٍ إِلَى آيْنٍ ؟
وَعَهْدُ الثُّنْبَابِ لَمْ تَخْبُ نَارُهُ أَتَبَلَّفْتُ مِنْ حِلَالَةٍ دُنْيَاكَ غَاغِرَاكَ
عَلَقْتُمْ تَهْنَاتِهِ ؟ أَوْعَشِرُونَ مِنْ سَنِيكَ تَوَفِي مَا يَطِيبُ اغْتِنَاهُ
وَأَخَارُهُ أَزْهِيَةٌ عَلَيْكَ أَنْ يَوْحِشَ الرَّبِيعُ وَيَنْفَضَّ ذَهَابُ سَنَارِهِ ؟
فَنَقَعِي ظِلَالَهُ وَضَوَائِحِيهِ وَيَخْبُو بِرَيْقِهِ وَازْدَهَارُهُ وَتَدْمِي مَحَاجِرَ وَخُدُودَ نَالَ مِنْهَا نَكْلٌ وَحَزَّتْ شِفَارُهُ .

من أغنية
محب
فلسطينية

شعر
محمود درويش

وجهه غاب في المساء
وعيون المهاجرين
وعلى ساحل السماء
تطر الشمس ياسمين
ودخاناً .. ولاجئين !

أنا عصفورة الوداع
وحبيبي بلا زمن
أنا زيتونة اللقاة
كل غصن هنا .. وطن
صورتني تسكن المدى
صورتني تكسر الجهات
رجبيني على الردى
كوكب يوقد الحياة
وحبيبي بلا زمن !

صدره ضاع في الحقول
كتقاطيع سنبله
هل أميّه مستحيل
أم مواعيد منزله
ترجع الله للجليل ! ...



بالأنى المرّ عارم غواره ؟
طوق شعري طلوعه وانحداره
ومن الروح نرفعه واعتصاره ؟
وقصور إبحازه واختصاره
جفّ شعري وأضلت أحجاره ؟
وهي الدمع عاتياً مزاره .
وطويقي عيشة أقباره
كان لا بدّ أن يدوي أنجساره
يشمخ الشجر هل يجوز اقتساره ؟
ما يكون احتجازه واعذاره ؟
أن حزني كالخمر تغلب الراس فيمروه بعد حين دواره
عبق الشجر أو يعم انتشاره ؟

فترخي غداً أشجاره .
ويبدو مجلجلاً زمواره
وخيال يهزني استحضاره
في طواياك بشره واقتزاره
قد توالى على الردى زواره
أعجز الموت جوعه وسعاره
فوق ثنان ناي وشط مزاره
وهما وثب خافقي ونفاره
فلقد هد سائراً تشيابه ؟
لهو عندي قبر حميد جواره .

يا اخي ما أقولُ فيك وصدري
جبلٌ انت من أسى يتحدى
كيف لا يمجز القصيد ويعبى
الوفيك بعض ما أنت أهمل ؟
ما كفّاني في يوم خطبك اني
خلفتني عن بث حزني القوافي
وتولّى عامٍ وليلي بهيم
أن حزناً ثوى بصدري وأرسي
قلت والنفس في ذهول إذا لم
ليت شعري وقد تصرم عام
أن حزني كالخمر تغلب الراس فيمروه بعد حين دواره
كيف في غمرة العواطف يشدّي

يا ضريحاً تنوح من حوله الريح
يتهادى من حوله ملك الموت
أن لي فيك الف ذكرى وذكرى
كم أخ فيك قد ثوى وتوارى
شكره أنت مثل لحد « المعري »
قد شكّا من طوى فاذ عاجلوه
أيها القبر أن فيك حبيباً
لهما كل صبوني وحبيبي
أيها (الروض) هل لقاء وشيك
أن قبراً يضم أعظم أهلي

جميل علوش